الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس ، مستغانم

كليّة الأدب العربي و الفنون

قسم الدّراسات اللغوية

# أسلوب الشّرط في الخطاب القرآني

## - دراسة لسانية دلالية -

أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في اللسانيات


إعداد الطالبة:

برّان نصيرة

إشراف الأستاذ الدكتور :

لطروش الشارف


لجنة المناقشة

| اللقب والاسم | الرتبة | جامعة الانتماء | الصفة |
|---|---|---|---|
| 1 ـ حفار عز الدين | أستاذ | جامعة مستغانم | رئيسا |
| 2 ـ لطروش الشارف | أستاذ | جامعة مستغانم | مشرفا ومقررا |
| 3 ـ قوفي أحمد | أستاذ محاضر أ | جامعة مستغانم | ممتحنا |
| 4 ـ مسكين حسنية | أستاذ محاضر أ | جامعة مستغانم | ممتحنا |
| 5 ـ بكير سعيد | أستاذ | جامعة الشلف | ممتحنا |
| 6 ـ بويش نورية | أستاذ محاضر أ | جامعة معسكر | ممتحنا |

السنة الجامعية: 2020م-2021م

# كلمة شكر وتقدير

نحمد الله ونشكره لأنعمه إذْ شرّفني بدراسة أي القرآن الكريم .

كما نتقدم بالشكر الجزيل والاحترام إلى صاحب الفضل الكبير علينا والجميل

العظيم إلينا أستاذنا الدكتور الفاضل " لطروش الشارف" ،

كما نرى حتما علينا أن نشكر ونثني بذكر أعضاء لجنة المناقشة الفضلاء رئيسا

ومشرفا ومناقشا لموافقتهم هذا الموضوع ، كما نوجه شكرنا إلى من ساعدنا

وأشرف على طباعة المذكرة .

# إهداء

إلى روح والدي الطّاهرة تغمّده الله برحمته الواسعة .

إلى من أستظل بعطفها وأزداد همة بدعائها أمّي العزيزة عفاها الله وأطال

عمرها .

إلى كل من علّمني عمق الدلالة في صمت الحرف والجهاد في الصبر إلى

أبرياء هذا الوطن.

أهدي إلى أولئك كلّهم جميعا هذا العمل المتواضع .

# بسم الله

# الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

الآية 3 :سورة الزخرف

صدق الله العظيم

" القرآن الكريم كلام الله، ولا سبيل إلى علمه وإدراك معانيه إلا بالتبحر في علم هذه اللغة".

أبو نصر الفارابي

**مقدمة**

الواقع الذي لا ريب فيه أنّ النحو العربي أمر لا يعرف نهاية، فقد وقف الدّارسون القدماء والمحدثون أمام قضاياه اللغوية ومسائله المتعددة ليصلوا إلى تحديد ماهيته وأدواتِه التّعبيرية، ذلك أنّ مقاييسه متغيرة وتجلياته مختلفة، وقد اتفق أهل النحو على آليات الاستقراء بُغْيَة وضع قواعد وضوابط، غير أنّ المتتبّع لشرط الاستقراء الذي آمن به النّحاة يجده لم يستقر على حال، ولا سار على شاكلة واحدة من الوضْع والاسْتِنْبَاطِ، الشيء الذي جعل من هذا النّوع من الضّبط يختلفون فيه إلى مدارس راحت تتنوع على حسب التصور والوظيفة، ولما كان النحو يطلق لدى أهل الاخْتصاص على كلّ ما يتعلّق بعالم التّراكيب، جاءت الدّراسات قديما وحديثا وفْق ما يمْليه هذا التّركيب من أحكام مفاهيمية تَبَايَنَت باختلاف السياقات والمقامات، الأمر الذي نشأ عنه ما سُمِّيَ في مجال الدّراسات الوظائفية بالنّحو الوظيفي، وهو النّحو الذي يتعامل مع المفاهيم وفق ما تقتضيه طبيعة الوظيفة داخل السياق وخارجه .

وقد حاولنا البحث في ما كُتِبَ في مجال التّراكيب النحوية قديما وحديثا، فلفت انتباهنا أثناء تلاوة آيات القرآن العظيم أسلوبه المعجز، الذي كان ومازال رمز البلاغة العربية والفصاحة والمعجز ببيانه وألفاظه، وانطلاقا من هذه الحقيقة رغبنا أن نقف على جانب واحد من أساليب الكتاب العظيم ألا وهو " الشّرط" وتتبع الآيات التي تضمّنت هذا الأسلوب، وذلك لاضطلاع الشّرط بالتّعبير عن مقاصد الشّريعة، فعزمنا البحث عن حقيقته وسط تراكم معرفِي زاخر ومميّز عن بقية الجمل العربية، فوجدنا غَالِبِية ما كتب كان يَنْطلِق أساسا من تلك القواعد التي اسْتَقْرأها النّحاة عن طريق ما ورد في كلام الله تعالى أو النّبي (صلى الله عليه وسلم) أو ما نطقت به العَرَبُ على السليقة أو الفطرة الشيء الذي جعل من مثل هذه الضّوابط والأحكام المعيارية أن يَتَنَاوَلُهَا الأفق الحَدَاثِي وِفْقَ مَا تُمْلِيه طبيعة الوظائف، تماما ما وجدناه مجسّدا بوضوحٍ في المدارس والاتجاهات اللسانية المعاصرة. غير أنّ الولوج إلى هذا العالم من المعرفة الذي يغْلبُ عليه الطّابع المعياري، إنّما يكون باقتطاف بعض الآيات من القرآن الكريم، ودراسة كلّ ما يتّصل بمعنى الشّرط وجوابه، ويرفع متكلم العربية إلى تدّبر ما فيه من دقائق العربية وأسرار تطور الجملة الشّرطية وتوسّعها في تراكيبه وسعتها التي بها

حاجة إلى دّقة رائعة وصولا إلى الدلالة المتوخّاة، وذلك بالنظر لما يطبع أدبية الإعجاز من خصائص إفضائية تتلامس مع ما يمكن أن يسمّى" علم الجمال". فإشكالية النص القرآني العظيم، تقوم على مفارقة مرتبطة بحقيقة الكتاب القرآني، فهو من جهة نص ناطق بلغة البشر، وجار في مقوله على السّنن العربي في أجْلى تمظهُرَاتِه البيانية، وهو من جهة أخرى لا يمكن أن يتماهى في مرجعية إبداعية بشرية. ولا نظير له في أسلوبه، من هنا يتوافر إمكانية استيعاب كنه وطبيعة هذا الشّرط في النص الإبداعي، وهل يمكن أن نعدَّ أسلوب الشّرط في القرآن حكما لغويا أم مجرّد آلية تعبيرية ؟، وكيف أثّر الشّرط في توليد الدّلالة في الخطاب القرآني، ولهذه الإشكالية الإعجازية بُعْدَهَا الأدبي البياني، عندما يتعلّق الأمر بسبر حقيقة هذا الأسلوب اللغوي وتبيّن مقوّماته البلاغية والتّعبيرية، والتّوقف عند مفهوم نحو كيف تجسّد فيه عن طريق مبدأ الاستعمال من جهة والوظيفة السياقية من جهة أخرى، هذا المفهوم هو الشّرط بصوره وأشكاله التّركيبية والدّلالية التي يأخذها داخل السياق وخارجه، ذلك أنّ هناك تراكيب نحوية لها دلالات خاصة تخرج عن الأصل الذي وضعت له، وهذا الخروج يأتي لمقاصد بلاغية يهدف إليها المتكلّم، بالإضافة إلى توضيح الأغراض البلاغية التي يفيدها داخل عوارض التّركيب .

كما نهدف من خلال البحث إلى وصف البنية الشّرطية وأسرارها باعتماد نص قرآني ومظاهر استعمال أساليبها. بالإضافة إلى الوصول إلى منهج علمي يمكّن من دراسة جانب الإبداع فيه، وقد وضعنا لبحثنا تصورا يقوم على مدخل وأربعة فصول وهي كالآتي :

حاولنا أن يكون المدخل دراسة نظرية نعرّف فيها بعض المفاهيم مركزّين على ماهية الشّرط ومصطلحاته–الخطاب والتّداولية وعناصرها. وقد وسمته بمفاهيم نظرية.

وأما الفصل الأوّل الموسوم ب " الشّرط مفاهيمه ومجالاته فتناولنا فيه القضايا المتعلقة بمفهوم الشّرط لدى النّحويين وأتبَعْنا ذلك تناوله عند الأصوليين ثمّ اللّسانيين، الشّيء الذي جعلنا نأخذ الكثير ممّا ورد في هذه المدونات من تحديدات واستعمالات للشّرط التي كان يغْلُبُ عليها الطّابع التّقعيدي المعياري الذي راح يختلف باختلاف مَحَك الاسْتِعْمَال .

ثم أرْدفْنا ذلك بفصل ثاني وسَمْنَاهُ ب "..فحص الحصيلة التركيبية والدلالية لأحرف الشرط".

في هذا الفصل حاولنا بكلّ ما تيسّر لنا جمْعه من مادّة معرفية أن نتوقف عند بعض النماذج ويندرج اختيارها بالتحديد انطلاقا من سورة يونس إلى سورة النّاس ضمن مشروع البنية اللسانية للتركيب الشّرطي، نسعى من خلاله إلى وصف بعض الأساليب الواردة في النصوص القرآنية وفْق إجراءات التحليل الوصفي، الإعرابي والتداولي، من أجل النظر في فعالية هذه الإجراءات وإمكانية وضعها كقاعدة علمية، تتبني عليها جدلية النصوص وفهمها فهما يرْتكزُ على التّحليل اللغوي الذي يستمدُّ مشروعيته العلمية من تحديد موضوع الدّراسة أي أخذ عينة يسيرة من النصوص القرآنية بداية (من سورة يونس....إلى سورة..... الناس )، بالإضافة إلى زاوية النظر والتحقق من الفرضيات أثناء البحث في مضمونها.

أمّا الفصل الثالث فقد وسَمْنَاه ب :" الفحص التحليلي لأسماء الشّرط في ضوء البعد التّركيبي والدّلالي "حاولنا فيه أن نتعامل مع الشّرط من جهة الأسماء والظروف، وذلك تبعا للمدونة المختارة وهو الخطاب القرآني، كما حاولنا البحث في الايحاءات الدّلالية لبعض الأساليب التي ورد فيها الشّرط والتّراكيب التي تتداخل معها، ولم نجمع بالدّراسة كلّ التّراكيب الشّرطية، وإنّما اقْتَصرْنا على الأكثر ورودا في متنه وإيحاء بالمعنى مع الإشارة إلى بعضها في الهامش .

وبحلول الفصل الرّابع الموسوم ب "أساليب الشرط في ضوء البعد الوظائفي "عرّجنا على دراسة الجملة الشّرطية الوظيفية فدرسنا هذه الأساليب تبعا للنص القرآني الذي اخترناه نموذجا، على أساس أنّ الاجراء المتّخذ لهذا العمل والاطار الوظائفي الدّلالي الذي قام في جلّ السّياقات على ما تؤديه أدوات الشّرط من أبعاد دلالية ووظائفية تختلف بتباين مبدأ الاستعمال.

الشيء الذي جعلنا نحاول بالقدر المستطاع أن نتعامل مع الأدوات الجازمة وفق ما تؤدّيه وممّا لاشكّ فيه أنّ الإعلان عن المصادر والمراجع النظرية التي توجه عملية التّحليل الأدبي للنصوص العربية هي شرط البعد المنهجي الذي يكشف عن الوجه الأول من التّفاعل الجدلي بين النظرية والممارسة، ولقد استعان هذا البحث بمجموعة

من المصادر والمراجع التي كانت نِبْراساً في مسيرة العمل، منها ما كان خاصّا بالقرآن الكريم وعلومها من مثل كتب الأصول ومنها ما خص جانب الدلالة، ونورد منها على سبيل الذّكر لا الحصر: – الكتاب لسيبويه، – الشّرط في القرآن الكريم لعبد السلام المسدي ومحمد الهادي الطرابلسي، شرح المفصل لابن يعيش،– والمعاجم من مثل لسان العرب لا بن منظور. بالإضافة إلى كتب أحرى قد أشرنا إليها في المدخل ومقدمة هوامش كل فصل.

ثم لدراسة هذا النوع من الإشكال دراسة علمية موضوعية، استوْجب من المقام أن نستعين بالمنهج الوصفي التحليلي الذي همّه الوحيد هو سرد الحقائق النّحوية المتعلّقة بمفهوم الشّرط، ثمّ محاولة تحقيق نوع من التّرابط بين القواعد ومبدأ التّحليل التداولي والتوجيهات الوظائفي الذي يعتمد أساسا على الوظيفة من بابها الشّاسع. ثم يليه إحصاء أدوات الشرط التي وردت في الآيات الكريمة .

وقد كانت أكبر عقبة واجَهَتْنَا هي مهابة الخوض في آيات الذّكر الحكيم، والتحرّج من الخوض في غمار معترك الحقائق والأحكام الشّرعية، في الوقت الذي نقرُّ فيه أنّ مثل هذا النّوع من الدّراسة يتطلّب بحثا عميقا سواء على سبيل التحديد أو الوظيفة التي تتجاوز حدود القاعدة إلى مبدأ التّراكيب الوظائفية، وذلك نظرا لاتساع الموضوع .

وفي نهاية المطاف، لن نزعم أننا سنحيط في هذه المقاربة بكل مظاهر الأسلوب في الخطاب القرآني لهذه المدونة الموضوع، بل سنركز على بعض الجوانب التي تلقي بثقلها في خضم تفاعلات الإنتاجية، وتفرض نفسها على المتلقي بدءا وعودا. كما لا نزعم أن هذا البحث قد بلغ منتهاه، أو قال كلمته الأخيرة في شأن الموضوع نظرا لاتساعه وتشعبه، لأنّ الكلمة الأخيرة لا يمكن أن يستأثر بها الباحث في عمله. أمّا إذا قصرنا في بعض الجوانب فنرجو أن تتيح لنا الأيّام الفرصة لإتمام ذلك النقص.

ولا يسعنا في الختام، إلاّ أنْ نتقدم بالشّكر الجزيل إلى أستاذنا الفاضل الدّكتور "الشارف لطروش" الذي كان له الفضل الكبير في توجيهنا وإرشادنا لإنجاز هذا البحث كما نشكره على سعة صبره ، وتسديد آرائنا وإغناء البحث بأفكاره فجزاه الله خير الجزاء، وجعل ذلك في ميزان حسناته، ونتوجه بالشكر والاحترام إلى لجنة المناقشة مشرفا، رئيسا، ومناقشا، وممتحنا على ما أسدوه لنا من الملاحظات القيمة

والتّوجيهات وكل من وقف بجانبنا وساعدنا، وأسأل الله التّوفيق والسّداد، و هو الهادي إلى الصراط المستقيم . وإنْ فاتنا مجهود لم نقف عليه، فنقول ما من علم إلاّ وأخذنا منه شيئا يسيرا وتركنا أشياء كثيرة. ولله الحمد.

**المدخل : مفاهيم نظرية**

**تمهيد**

**1. تحديد الإطار اللغوي الدلالي للشرط**

**1.1 معنى الشرط**

**أ. مصطلح الشرط**

**ب. تعريف الشرط في الاصطلاح**

**2. أسلوب الشرط عند اللغوين المحدثين**

**3. التعريف بمفهومي الجزاء و الجواب**

**4. الخطاب و أبعاده التواصلية.**

***1.4. مفهوم الخطاب***

**2.4.الخطاب في اللغة و الاصطلاح**

**3.4. مفاهيم متعلقة بالخطاب التفاعل و*السياق***

**5. التّداولية في السياق التاريخي**

**1.5.علاقة التداولية بالبلاغة العربية**

لعلّ أهمّ المشكلات مرتبطة بصعوبات الفهم التي تنتج عن كثرة المصطلحات المتداولة التي تعد خزانات للمفاهيم وتشعبها نتيجة تعدد مصادرها وطرائق وضعها نظرا لتباين وجهات الباحثين الدارسين في توظيفها في الخطاب ناهيك عن غياب سياسة عامة تجعل ضمن أهدافها ضبط منهجية المصطلح وتوحيده، وفي هذا السياق يتنزل هذا المدخل المهيكل للدراسة النظرية كما يمكن اعتباره مدخلا معجميا يسعى إلى تقديم مادة لسانية نصية أساسية بأسلوب علمي بسيط ينسجم مع طبيعة المتلقي وغرض العمل المنجز ليساعدنا بمضمونه ومحتواه في استيعاب البحوث اللسانية النصية الرائجة في البيئة الأكاديمية ولنتمكن من معالجة بعض المصطلحات المقررة في بحثنا أي المفاهيم المختارة في ضوء سياقاتها التي تكون أكثر تداولا في رسالتنا بوجه خاص وتلك المتصلة بمستويات التحليل وكيفيات الإجراء وعليه تم التركيز على تقديم بعض التعريفات الموجزة لها في ما يأتي:

## 1. تحديد الإطار اللغوي والدلالي للشرط:

### 1.1 معنى الشرط

حاول النحاة العرب تحديد هذا المفهوم من منظارين لغوي ودلالي، فمن حيث المنحى اللغوي يعني إلزام الشيء والتزامه في البيع ونحوه مثل الشريطة، ج شروط وبالتحريك العلامة، ج ، أشراط[1]/

أما الشرط- بالسكون- فجمعه شروط ويقال في جمع القلة منه "أشرط" كفلوس وأفلس[2]. ومن حيث بريرة: شرط الله أحق، أشرط الشيء: أوائله، قال بعضهم، ومنه أشرط الساعة وذكر الشيء والاشتقاقات متقاربات لأنه علامة الشيء أوله ومشاريط (السّاعة) الأشياء: أوائلها كأشواطها وحكى الخطابي عن بعض أهل اللغة أنه قال: أشراط الساعة ما تنكره الناس من صغار أمورها قبل أن تقوم السّاعة[3] أمّا الجانب

[1] القاموس المحيط الإمام مجد الدين بن محمد بن إبراهيم الفيروز ابادي دار الكتب العلمية بيروت لبنان منشورات محمد علي بيضون ج2 ص 259

[2] مباحث التخصيص عند الاصوليين و النحاة ، د/ محمود سعد الناشر منشأة المعارف بالإسكندرة ، جلال حزبو شركاه (د.ط.ت) ص 171

[3] لسان العرب، أبو لفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر (د.ط) ص 420

الدلالي فيكمن في أن الشرط "وقوع الشيء غيره[1] فالأصل أن يتحقق وقوع الثاني على الأول ويكون الجواب مرهونا بوجود الشيء (الشرط) لأن وجود الثاني معلق على حضور الأول.

وتختلف الصيغة الفعلية للشرط عن باقي الصيغ في دلالة الفعل، فهي صيغة مستقلة تخالف الصيغ في مدلول الفعل وهو الحدث والزمن لأن الفعل في جملة الشرط معلق. الفعل فهي صيغة مستقلة تخالف الصيغ في مدلول الفعل وهو الحدث والزمن لأن الفعل في جملة الشرط معلق كل منها معنى من معاني الخبر والإنشاء وإن كانت جملة الشرط جملة خبرية ولكنها مركبة، وكل جزء منها خارج عن أن يكون خبرا أو إنشاء[2]. معناه أنّ الشّرط يشكل نظامنا لغويا متميزا لا يخضع إلى معيار تصنيفي يندرج في نوعية الأسلوب الخبري .

**أ. مصطلح الشّرط:**

نتيجة تعدد مصطلحات الشرط أدى ذلك إلى اختلاف استعمالها فبعضهم من تناول المصطلحات الخاصة بالأسلوب الشرطي بكامل عناصره نذكر منها: هذا التّعريف "هو أسلوب لغوي ينبني على جملة شرطية تتركب من أداة (حرف أو اسم ) ومن تركيبين، سمي الأول الشرط والثاني الجزاء، تقوم الأداة بربط الشّقين ربطا وطيدا يحول دون استغلال احدهما عن الآخر ينزل الشق الأول منزلة السبب اما الثاني منزلة المسبب " [3]

1. الشّرط و الجواب أو الجزاء[4]
2. المجازاة[5]
3. التركيب الشرطي[6]

---

[1] المقتضب (محمد بن يزيد المبرد) ت: محمد عبد الخالق، عظيمة، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب بيروت (د.ط.ت) ج2 ، ج2 ، ص 45

[2] ينظر : نحو الفعل أحمد عبد الستار الجواري ص 50

[3] الألسنية العربية ،ريمون طحان ،دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،لبنان ( د،ط) ص 91

[4] الألسنة العربية ريمون طحان ، ص 91

[5] مصطلح للشرط في الدرس النحوي محمد الكراكي مجلة ع : 6 ، ص 49[5]

[6] بنية الجملة ودلالتها اللغوية البلاغية في الادب الكبير لابن المقفع ، محمد الكراكي ، عالم الكتب الحديث اريد، الاردن ط 2008 ص 106

الجملة الشرطية التي تعتبر قسما ثالثا أضافه الزمخشري كصنف من أصناف الجمل.[1]

الفعل الأول أو فعل الشرط (لبيان نوعه)[2]

المتقدم ويسمى المناطقة الأول مقدما والثاني تاليا فإذا انحل الرباط الواصل بين طرفيهما صار الكلام جملتين[3]، العلة المسببة[4]

وفيها يخص المصطلحات التي تعتبر عن جواب الشرط منها:

جواب الفعل الأول[5].الأخر[6].

حدوثه أو وقوعه فهو إذن ليس مفيد[7]، معنى ذلك أنه يحتاج إلى جواب فعل الشرط يتمم دلالة الأول مثل إن تذهب أذهب. فهناك تعلق الذهاب من المتكلم على ذهاب المخاطب فالمتكلم لم يقع منه الذهاب والمخاطب كذلك لم يقع منه ذلك وإنما علق المتكلم ذهابه على ذهاب المخاطب بأداة الشرط.

**ب. تعريف الشرط عند الأصوليين**

**عرفه المالكية:** هو الذي يلزم من عدمه العدم ولا يلزم من وجوده وجود[8] نخلص إلى **أن تعريف الشرط شامل للشروط الأتية:**

أولا : الشرط العقلي كالهواء بالنسبة للحياة.

ثانيا: الشرعي كالوضوء شرط للصلاة.

---

[1] البحث النحوي عند الأصوليين ، مصطفى جمال الدين ، دار الرشيد الجمهورية العراقية (د.ط.ت) ص 256

[2] مصطلح للشرط في الدرس النحوي (محمد الكراكي، مجلة لغوية أدبية ( القلم) ديوان المطبوعات الجامعية وهران ع : 6جويلية 2007.ص 49

[3] البرهان في علوم القران، عبد الله الزركشي، ت. محمد ابو الفصل إبراهيم المكتبة صيد بيروت ، دار طلاس، دمشق ط 1 ، 1987 ص 25

[4] التعليل النحوي في الدرس اللغوي القديم والحديث، خالد بن سليمان بن مهنا الكندي، دار الميسرة، عمان، ط، 1427/2007 ، لا 1430/2009 ص 131

[5] خصائص الخطاب الشعري في ديوان أبي فارس الحمداني (دراسة صوتية و تركيبية) دار مومة، بوزريعة، الجزائر (د.ط.ت) ص 255

[6] المرجع نفسه ص 255

[7] نحو الفعل أحمد عبد الستار الجواري، ص 49 المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت الصنايع لبنان ط جديدة 2006.

[8] من المباحث الأصولية ، مباحث التخصيص عند الاصوليين و النحاة ، محمود سعد ، ص 172

**وعرفه البيضاوي:** ما يتوقف عليه تأثير المؤثر لا وجوده[1] أي المؤثر يتعلق بالوجود والتأثير معا، وقد يتوقف المؤثر على التأثير فقط دون وجوده.

**2- التعريف بمفهومي الجزاء و الجواب:**

**الجزاء:** هو المكافأة، وهو جزى، الجزاء المكافأة على الشيء جزاه وعليه جزاءا، وجازاه مجازاة، وقول الخطيئة "من يفعل الخير لا يعدم جوازيه"[2]

**أما الجواب :** عبارة عن مقابلة السؤال بالقبول أو بالرفض[3] كما تعتبر مادة (ج.و.ب) الجذر و ما تفرع عنها من اشتقاق في معجم السبيل على قسمين هما:

قسم وقف على معاني المادة نحو:

استجابة :SATISFACTION ; REPONSE. ومعنى ذلك إن النوع الأول اهتم بالمفهوم المقصود بالاستجابة عموما وهي إما لفظية أو انفعالية أو حركية أما القسم الثاني فقد تبث الجانب النحوي للمادة مثل: جواب الشرط [4]APODOSE ". فالضرب الثاني مرتبط بالأحكام التركيبية والوظائف الإعرابية.

لقد وقف على أصل من أصول العربية وهو الدلالة على المعنى بالحركات إذ لا غنى للمعاني الملتبسة عن الحركات الإعرابية إ ذ يزيل غموضها ويجلي الفهم ونعتقد أن تسمية العبارة الثانية للشرط بالجواب كما نتبيّن مع ذلك مفارقة في الجانبين من الناحية الشكلية حيث تشتمل على تركيب مزدوج متلازم بين العبارتين، أمّا الجانب الدلالي فيتمثل في معنى آخر متمم للمعنى الأول فمعناه تكملة لفكرة تامة. وهذا يسمح بتنفيذ آلية إتصال وترابط بينهما ويتجسد في شيء من الإضافة والتوسع في الشكل والمضمون وتعني الموسعة هي التي يضاف إلى ركنيها الأساسيين عنصرا أو أكثر يؤثر في مضمونها تقييدا أو توسعا أو تنويعا وتأكيدا نحو استغنيت عن شيء دعه أي إذا استغنيت عن شيء فدعه .

---

[1] الالفاظ و الدلالات الوضعية ، نذير بوصبع ، دار الوعي ، الجزائر (د.ط) 2008 ص 201.

[2] لسان العرب لابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ،(ب.ت.ط) ج ، ص 421.

[3] السؤال والجواب، دراسة نحوية، وبلاغية وقرآنية، موسوني محمد، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ص 35.

[4] المرجع نفسه، ص 37-38

## 4. الخطاب وأبعاده التواصلية.

### 1.4. *مفهوم الخطاب*

إن من المصطلحات المثيرة للنقاش في الدرس اللساني مصطلح الخطاب، فقد تعددت وجهات نظر الدارسين قديما وحديثا من حيث هو وحدة تواصلية تبليغية يتوسل اللغة دائما في مقاصده وغاياته، إذ يتحقق بوساطة اللغة، ويعد تنميط الخطاب من الأطروحات المدافع عنها والذي اعتنى بدراسته اللغويون العرب القدامى والمحدثين من حيث طبيعته وبنيته وبوجوه الدلالة ودرجات تجليها في الخطاب، كما عني بتصنيفه في حقول متنوعة ومختلفة مثلا على ذلك النقد الأدبي، الشعرية والبلاغة والسيميائيات واللسانيات والتداوليات) ويمكن "أن نرجع المعايير التي اعتمدت إلى حد الآن في تصنيف الخطابات إلى ثلاثة معايير: المجال والقصد (الهدف) والأولية والقناة[1].

عن تصنيف الخطاب يرتكز على معايير محددة، فمن حيث المجال يتناول الخطاب الأدبي والعلمي والجغرافي والسياسي والديني والإعلامي وغير ذلك أما من حيث القصد يكون الخطاب إخباريا أو إقناعيا وتفسيريا وغير ذلك.

ومن حيث الآلية يتميز بين الخطاب السردي والوصفي والحجاجي وكل هذا يجعله يتميز بأنماط محددة ومتعددة أما عن حضور هذا المصطلح في تراثنا العربي فهو غني عن التعريف ولعلّ ما يساعدنا على معرفة دلالة هذا المصطلح في التراث العربي القديم هو القرآن الكريم فقد ترددت مادة "خ.ط.ب" في القران اثنتي عشرة مرة موزعة على اثني عشرة سورة[2]

ونورد فيما يأتي بعض صيغ تواتر المادة "خ.ط.ب" وبعض الآيات التي تضمنتها: خاطبهم:" وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا "[3] وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ "[4]

---

[1] اللسانيات الوظيفية المقارنة ، دراسة في التنميط و التطور، احمد المتوكل دار العربية للعلوم ، دار الامان (ص76) الرباط – ط1 1433 هـ 2012م ، ص 76

[2] تحليل الخطاب السردي و قضايا النص، عبد القادر شرشار دار القدس العربي وهران ط 2009، ص 16

[3] الاية 63 من سورة الفرقان

[4] الاية 37 من سورة هود

خطبك: قال " مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يوُسُفَ عَنْ نَفْسِهِ....."[1] والخطب مصدر، خطب الأمر إذا طلبه في معناه,ما طلبك له والغرض منه الإنكار وتعظيم صنعه.

الخطاب: " وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَ آتَيْنَاهُ الحِكْمَةَ وَ فَصْلَ الخِطَابِ[2].

ومن هنا نسجل استعمال هذه الكلمة في القرآن الكريم بصيغة الفعل "خاطبهم" والمصدر في قوله: "فصل الخطاب وهي كلمة "الخطاب"

فقد وصف الخطاب أيضا ببعض الشروط البيانية التي تجعله فصلا بينا ولا يخالف قواعد الفصل والوصل والعطف والإضمار والحذف والتكرار وغيرها من الشروط البيانية والأسلوبية التي تعتري الخطاب فهو إذا (فن القول ومما يتصف به الخطاب القرآني ذاته أنّه راعى مقتضى أحوال المخاطب من حيث الصدق في المنطق وترك ما لا يحتاج إليه والدقة في التعبير وعدم التناقض في القول والإشارة أحيانا إلى المعنى دون التصريح به، والجدال والحجاج والبرهنة البناء المحكم وغيرها[3].

أي لم يفصل البني اللغوية عن واقع استعمالها فضلا عن وصف اللغة أثناء استعمالها خطابا ويصف القواعد التي تشكل تعليمات لاستخدام كل عبارة من هنا فإن مفهوم الخطاب لا يتحدد سماته إلا من خلال تفريعة وتنميطه "كل ملفوظ يشكل في حد ذاته وحدة تواصلية قائمة الذات"، ويجوز أن تحدد من تفريعة الخطاب الديني الذي يتصف بالصفات الخواص الآتية :[4]

تقنيته للعبادات والمعاملات موضوعا.[5]

---

[1] الآية 51 من سورة يوسف.

[2] الآية 20 من سورة ص.

[3] في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم خليفة بوجادي بيت الحكمة الجزائر ط1، 2009ص 191.

[4] تحليل الخطاب في نظرية النحو الوظيفي الغيمة الزهري منشورات صفات الاختلاف دار الامان، الرباط، 1435هـ 2014 ص 100 .

[5] جدلية الحركة والسكون نحو مقاربة اسلوبية دلائلية في الخطاب الشعري عند نزار قباني "الغاضبون نموذجا، نواري سعودي ابو زيد ط 2009 بيت الحكمة العامة الجزائر ص 14.

إلهيته من حيث المصدر وحجاجيته من حيث الألية ترغيبا وترهيبا.[1] انقسامه إلى جمل وآيات من حيث بنيته اللغوية ووعيا منا بأنّ الخطاب الديني بات اليوم أكثر من أي وقت مضى مرشحا لمفاعلة الآخرين و توصيل كنهه إلى ما وراء حدوده .

أمّا الخطاب كمصطلح هو الوحدة اللغوية الممثلة في الجملة كحد أدنى، يرد في شكل متتالية لسانية إبلاغيه منطوقة أو مكتوبة تبين حدي البداية والنهاية.

من هنا فإنّ مفهوم الخطاب لا تتحدد سماته إلاّ من خلال تنميطه وتفريعه إلى خطاب ديني، أدبي، سياسي، علمي.... إلخ. وكلها تتصف بالصفات التي تميزه عن غيره.

**مفهوم الخطاب عند التهانوي:**

الخطاب عنده توجيه للكلام نحو الغير للإفهام"[2]، أي ننقل بواسطته كلاما نحو السامع لأجل إفهامه ما نريد قوله.

فالخطاب هو كل كلام تجاوز الجملة الواحدة والتي تعد أثناء تحليله الوحدة الصغرى التي يتكون منها الخطاب.

**الخطاب عند يمنى العيد:**

الخطاب عند يمنى العيد خطابان: يندرج الأول تحت نظام اللغة وقوانينها، وهو النص الأدبي.

ويخرج الثاني من اللغة ليندرج تحت سياق العلاقات الاجتماعية يضطلع بمهمة توصيل الرسالة الجديدة، وهو الخطاب.

فالأول فضاؤه واسع، والثاني – الخطاب – يتشكل ابتداء من عملية (التركيب، الصياغة أو (التركيب، العبارة)، فيمعن في الصياغة ليخلق التعبير بالابتعاد عن التركيب"[3].

---

[1] جدلية الحركة والسكون، المرجع السابق ص 15.

[2] المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب 6، نعمان بوقرة، جدار للكتاب العلمي عمان، الأردن، ط1 2009/1429، ص13.

[3] اللسانيات وتحليل النصوص، رابح بوحوش، جدار للكتاب العالم، علم الكتب الحديث، الأردن ط1 2007، ص 105.

ومعنى ذلك أن الخطاب يندرج في نظام اللغة، وقد يكون صياغة تعبيرية، ويخرج من اللغة عندما يخضع لسياق العلاقات الاجتماعية.

**الخطاب عند زيليغ سابيتي هاريسZELLIG SABETTAI HARRIS*[1]**

لقد عرفه من منظور مختلف له في الدراسات الأدبية التي تقوم على دعائم لسانية كما نادى بمبدأ الربط البنيوي بين العناصر اللغوية بدءا من الفونيم، ثم الجملة، ثم النص، مخالفا في ذلك البنيويين الذين حاصروا لسانياتهم في حدود الجملة فقط. ومفهوم عنده "ملفوظ طويل"، أو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية، وبشكل يجعلنا نظل في ميدان لساني محض "[2].

و"يعرف الخطاب عموما على أنه" استخدام اللغة" ويضيف البعض بعدا تواصليا مثل (2006:2)« "بالتريح"، الذي يعتبر الخطاب بالنسبة له "لغة أبعد من الكلمة، من مجموعة الكلمات ومن الجملة، مرتبة بكيفية من أجل نجاح عملية الاتصال"[3].

وهكذا يتضح معنى الخطاب فيتميز عن كل ما سواه ويتحرك بحرية واستقلالية وهو منظم.

نؤشر في الأخير على مجموعة من الخصائص التي تميز الخطاب باعتباره مكونا هاما في الفعل التواصلي ينجح في ربط الجسور بين التواصل وتمكن كل طرف منهما من إدراك مدى استيعاب الطرف الآخر فحوى الرسالة الموجهة إليه التي قد لا تكون مجسدة مباشرة فيما يتكون منه الخطاب من مكونات معجمية وبنيات

*من أعلام النهضة بالدرس اللغوي في الغرب زيلغ سابيتي zelling sabbetai harris ولد بروسيا1909ي ويعد أول عالم لساني سعى إلى الانتقال من تحليل الجملة إلى تحليل الخطاب في كتاب ألف سنة 1952 بعنوان تحليل الخطاب .وكتب عددا من الأعمال في علم اللغة.

[1]زيليغ هاريس ZELLIG HARRIS: (1909) لساني أمريكي من أصل روسي ويعد أول عالم لساني يسعى الى الانتقال من تحليل الجملة الى تحليل الخطاب في كتاب ألف سنة 1952 بعنوان تحليل الخطاب

[2] تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحداثية، دراسة في تقد النقد، محمد عزام، من منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق – 2003، ص 170-171.

[3]Discours et analyse du discours, Dominique Maingueneau. Une introduction, Armand colin 2014 paris p : 17, texte trad : le discours est communément défini comme "l'usage de la langue"…certains y ajoutent une dimension communicationnelle comme B.paltridge (2006:2) pour qui le discours est "langage au dela du mot, du groupe de mots et de phrases", agencé de façon à ce que la communication réussisse"

تركيبية، فالخطاب من خلال ما قصدناه يتميز بالتفاعل داخل هذه البنية بمكوناتها لسانية وغير اللسانية.

### 2.4. الخطاب في اللغة و الإصطلاح:**

الخطاب مادة لغوية بصيغة المصدر مأخوذة من الفعل الثلاثي (خطب) ومنه خطب وبعنب الأمر أو الشأن ومن الجذر نفسه اشتقت مادة الخطابة والخطبة ويراد بهما الجنس الأدبي النثري القائم على المشافهة.

أما الخطاب كمصطلح هو الوحدة اللغوية الممثلة في الجملة كحد أدنى أو ما يريد عليها في شكل متتالية لسانية إبلاغية منطوقة أو مكتوبة بين حدي البداية والنهاية من هنا فإن مفهوم الخطاب لا يتحدى سماته إلا من خلال تنميطه "كل ملفوظ يشكل في حد ذاته وحدة تواصلية قائمة الذات.

"ويكاد يستقر على استعماله لما يحمله من دلالات أوسع من دلالات النص) لاسيما من ناحية إيحائه بالاستعمال والتداول[1]ويقوم تمييزه بين المصطلحات الجملة النص

---

* ويلخّص محمد العبد أهمّ الفروق الأولية بين النص والخطاب الذي انعقد الإجماع عليها نظريا –كما يقول – في أنّ النص بنية مترابطة تكون وحدة دلالية ، في حين أن الخطاب ينبغي النظر إليه على أنّه موقف ينبغي للغة أن تحاول العمل على مطابقته ، وعلى ذلك فإنّ الخطاب أوسع من النص فالخطاب ليس بنية بالضرورة ، ثم إن غلبة النص على المكتوب والخطاب على الملفوظ ليس حاسما، فأحدهما يلتبس بالآخر على سبيل التوسع، ولكن يذكر محمد العبد فرقاً آخر يباين بين النص والخطاب، يعتمد فيه على معيار الطول والقصر، حيث إن الخطاب يتميز بالطول ، في حين أن النص قد يطول وقد يقصر .

ويبدو أنّ هذا الفرق الأخير غير أساسي، إذا لا يمكن الاعتماد عليه في التفريق بين النص والخطاب، فالخطاب قد يقصر ويطول أيضاً، علاوة على ذلك فإنّ الطول والقصر في ذاتهما نسبيان لا ضابط لهما .

وبسبب مما تقدم فإنّ من الواجب القول إنّ اللبس لما لا يزل ضاربا أطنابه فوق الخطاب ، فلا بد للباحث أن يكون حذرا في مقاربته لمصطلح "خطاب " ، وأن يبين منذ البداية المقصود به في التناول المعرفي الخاص به، فمفهوم الخطاب عند فوكو في أركيولوجيا المعرفة –على سبيل المثال – مفهوم خاص به يختلف عن كل المفاهيم السابقة، لذا ينبغي أن يعي القارئ ذلك المفهوم من الوهلة الأولى وإلاّ وقع في اضطراب مصطلحي واضطراب عملي يؤدي به إلى نتائج مغلوطة .وهناك فريق آخر وضع حدا لهذه الإشكالية بأنّ ميّز كلا منهما بما ينهي الخلاف حوله ، ما يسمّى ب " الكرافِية النصية " والأدائية الخطابية أو التواصلية >>.

وللإشارة فإن الدراسة ستتبنى الرؤية القائلة بترادف الخطاب والنص، وعليه سنستخدم المصطلحين معا على أساس هذا الترادف.

[1] في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم خليفة بوجادي ، بيت الحكمة ط1 ، 2009 ، ص 190.

على أسس تداوليه أهمها الاستعمال ومن بين مجموعة من التعريفات التي تتداخل مع بعضها ويكمل بعضها بعض نتوقف عند التعريفان الآتيين:

نشير في الأخير الخصائص التي تميز الخطاب باعتباره مكونا أساسيا في الفعل التواصلي ينجح في ربط الجسور بين طرفي التواصل و تمكن كل طرف منهما من إدراك مدى استيعاب الطرف الآخر مضمون الرسالة الموجهة إليه والتي قد لا تكون مجسدة مباشرة في ما يتكون منه الخطاب من مكونات معجمية وبنيات تركيبية فالخطاب من خلال ما قدمناه يتميز بالتفاعل داخل هذه البنية بمكوناتها لسانية وغير لسانية ولا يتم "المرور من الدلالة اللسانية إلى الدلالة الإيحائية ولا نجاح الفعل التواصلي دون مد الجسور بين المقومات السياقية الداخلية والخارجية .كما ينمو السياق ويتسع من خلال الذاكرة الخطابية التي يكونها الملتقى.

### 3.4. مفاهيم متعلقة بالخطاب والتفاعل والسياق

إن دراسة قضية التفاعل من أهم معارف الفلسفة اللغوية وهو موضوع يقتضي "معرفة نوع هذا التفاعل، تواصلي، أم تأويلي أم جمالي، ويعرفه فلاسفة اللغة بأنه " سلسلة من الأحداث يكون فيها عدة أشخاص هم المعنيون بوصفهم فاعلين"[1].

لقد تجلت فاعلية التفاعل في اشتمالها على جميع صنوف المتلقين من مستهدف إلى فطري، ومنهما إلى نموذجي أو مادي أو سلبي أو إلى إيجابي إلى ظاهر أو مضمر ومن تم فقد تسلسل في حلقة مكتملة لتشكل صنفين من المتلقين صنف مؤمن وآخر كافر.

ومن هذه الأنواع نجد على سبيل المثال لا الحصر "المتلقي المستهدف فالذي هو عنصر دائم الحضور في الخطاب بناء على جملة من المعايير منها: أن التخاطب اللساني حدث يشترط وجود طرف مقابل أو أكثر يتلقى الخطاب، أي وجود عنصر مستهدف يحقق الخطاب.

إنّ كثيرا من الآيات جاءت بلفظ الخصوص المراد به العموم لقوله تعالى: "اقرأ باسم ربك الذي خلق" سورة العلق الآية (1)

[1] في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، خليفة بوجادي، ص 112 .

ووجه الاستدلال في الآية هو أن حكم وجوب القراءة على الرسول (ص) ليس ضمن الأحكام الخاصة به وحده وإنما يتعدى هذا الوجوب إلى الناس جميعا"[1].

المقصود بذلك وجود حدث كلامي يستهدف تحقيق نية الإنجاز بمعنى يقترن الفعل بقصد ويتجاوز مفهومه الاستخدام العادي للغة، إلى استخدامها الفني، فيكون كل ملفوظ أو مكتوب خاضع لمبدأ مرسل ومتلق ضمن المفهوم العام للتفاعل أساسه: " أن يقدر السامع على تأويل الملفوظات"[2] بمحاولة إدراك الأبعاد اللغوية في السيرورة الاجتماعية.

**أ. الاستلزام التخاطبي أو المحادثي :**

لاحظ بعض فلاسفة اللغة واللسانيين وخصوصا "غرايس""أن جمل اللغات الطبيعية في بعض المقامات، تدل على معنى غير فحواها القضوي"[3] أي تدل على معنيين مختلفين الأول يكون حرفيا والآخر مستلزم في نطاق النتاج الكلامي كله. لوصف هذه الظاهرة يقترح هذا الفيلسوف نظريته المحادثة التي تنص على أن التواصل الكلامي محكوم بمبدأ التعاون الذي ينهض على أربع مسلمات هي مسلمة القدر والكيف والملاءمة والجهة"[4]

**ب. السياق**

لعل أهم الثمرات التي أنتجتها اللسانيات هي نظرية السياق الذي يعد من أبرز القرائن المعنية والمؤثرة في فهم الخطاب مهما كان نوعه الأمر الذي جعله يحظى باهتمام العلماء المسلمين على اختلاف تخصصاتهم ومدارسهم الفكرية. وفي هذا الصدد يعرف السياق بأنه الموقف الفعلي توظف فيه الملفوظات والمتضمن بدوره لكل ما نحتاجه لفهم و تقييم ما يقال "[5]أي الإطار التي تنتظم فبه العناصر اللغوية

---

[1] مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية ، خصوصيات الملتقى وحدوده، قراءة ص (89،90) في نماذج قرظنية، أستاذة ليلى جودي، ص 90. العدد السابع عشر 17 السداسي الأول 2013.

[2] في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ليفة بوجادي ص 113.

[3] التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، دار التنوير، ص 45 .

[4] التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية لمسعود صحراوي ,دار التنوير الجزائر ص46

[5] في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ و الإجراء لنواري سعودي أبي زيد،بيت الحكمة ط2009،1،ص29.

يتضمن مجموعة من المعطيات التي يشترك بها كل المخاطب والمتلقي إلى جانب المعلومات المشتركة بينهما .

إن السياق الذي أهمل في الدراسات السابقة برزت مكانته مع اللسانيات التداولية حتى أصبح القاسم المشترك بين كل نظرياتها. وله دور في الانتقال من مستوى إلى آخر ويمكننا تصور تعقده من مستوى إلى مستوى آخر حيث تشير في المستوى الأول إلى عنصر الذاتية، تدرس فيه الأقوال من حيث تجلي دلالتها ومرجعيتها. ويعنى المستوى الثاني بدراسة كيفية انتقال الأقوال في دلالتها من التصريح إلى التلميح استعانة بقوانين الحديث التلفظ)

أما المستوى الثالث فينطلق من مسلمة أن الأقوال الصادرة من طرف المتكلم تتحول وتصبح أفعالا ذات أبعاد مختلفة "[1] والظاهرتين اللغوية التي جاءت بمبدأ إجرائي مفيد وهو مبدأ القصدية بزعامة "إدموند هوسرل. Edmond Husserl

"و لقد بنى نظريته القصدية وفق ما يقتضيه المنهج الظاهري الذي يعتني بدراسة الظاهرة بشكل عام قصد استخلاص ماهيتها، ووصفها وصفا خالصا لمجال محايد وهو مجال الواقع المعيشي أو تلك الخبرة "[2] والفرع الأخير يتمثل في فلسفة اللغة العادية بزعامة فيتغنشتاين" وهذا الأخير نشأ بين أحضانه ظاهرة الأفعال الكلامية "[3] " lundwing wettgentein

**ج.التلفظ / الملفوظ:**

التلفظ نظرية تتناول بالدراسة بعض العناصر اللغوية التي لا تعرف دلالتها إلا من خلال السياق، كما يتدخل مصطلح التلفظ باعتباره إجراء بمقتضى فعل فردي ويقترب الى النطق مما يجعله آلية وعملية تحول اللغة إلى الخطاب"[4]

---

[1] ينظر:لسانيات التلفظ و تداولية الخطاب ذهبية حمو الحاج ،منشورات مخبر تحليل الخطاب جامعة مولود معمري تيزي وزو ص15،15 دار الأمل ،للطباعة و النشر و التوزيع2005 ص15، 16.

[2] التأويلية من الرواية إلى الدراية ،مبادئ التأهيل البحث التأويلي العربي ،لمختر لزعر ،ديوان المطبوعات الجامعية وهران ،2007،ص49.

[3] التداولية عند العلماء العرب ،دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية ،مسعود صحراوي ص32.

[4] ينظر: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ذهبية حمو الحاج، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، دار الأمل للطباعة والنشر، 2005، ص55.

والتلفظ أساس التداولية في الشكل الظاهري، إذ بدون الأولى لا تتحدد الثانية، وكلتا العمليتين تخضعان الى السياق"[1]

وبذلك يكون التلفظ هو رد الفعل الذي يجعل الأدلة اللغوية تتحقق من طرف متلفظ في ظروف زمانية ومكانية خاصة"[2]

فهو يمثل فعل وعملية آلية التحول اللغة إلى الخطاب.

**الملفوظ:**

تحدد حسب "غريماس" Greimas وكورتاس Courtes على أنه تتابع من الجمل المحققة، أي كل ما يتلفظ به الإنسان منطوقا أو مكتوبا، يتحدد ضمن إنية من التلفظ عن طريق ضمائر الشخص والملكية، الصفات، الظروف والمبهمات الزمانية والمكانية"[3](عملية ذاتها لإنتاج الملفوظ)

وهذا ما يجعل التلفظ عملية ذاتها التي تنتج الملفوظ وتقف عند عناصر مثل المبهمات كعلامات تشير الى المتخاطبين interlocuteurs، المتكلم يتدخل في العملية التلفظية"[4]

**مفهوم *الحجاج*:** جاء في المعجم الفلسفي: " أنه سلسلة من الأدلة تقضي إلى نتيجة واحدة أو هو طريقة عرض الأدلة"[5]، أي عرض مجموعة عن البراهين والحجج التي تكلل نتيجة واحدة. وبالتالي يمكن عد اللغة ذات أبعاد لغوية وحجاجية.

**5. التداولية**

**لمحة تاريخية عن التداولية:**

إنّ المتتبّع لدراسة اللغة، يجدُها ناشئة غالبا في الحقل الفلسفي أو الحقل الديني، على تباين مشاربه وتوجهاته، وتلك كانت ميزة البحث اللغوي قبل " سوسير"، حيث نشأت الدّراسات اللغوية ضمن القضايا الفلسفية أو الدّينية. ولم تكن اللغة حينها بعزل عن الفلسفة، ولكن اجتهاد "سوسير" في محاضراته وإلحاحه على المادة

[1] المرجع السابق، ص 119.

[2] المرجع نفسه، ص 14.

[3] المرجع نفسه، ص 14

[4] ينظر المرجع نفسه، ص 77.

[5] في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية، خليفة بوجادي، ص 87.

المستقلة للّغة عن الفلسفة قصد تأسيس علم مستقل يدرس اللسانيات،جعل الدّرس اللغوي عموما يبتعد عن الفلسفة، ليخلص إلى تراكيبه وخصائص البنيات .

وبعد مسيرة الاتجاهات البنيوية المختلفة، تعود اللسانيات في منتصف القرن العشرين لتستند إلى مقولات الفلسفي، وصار للفلسفة الحديثة أكثر من اتّصال باللغة، ممّا جعلها أحد المصادر الهامّة لتطورات اللسانيات الحديثة، ونلمس ذلك بوضوح من خلال تتبع مسار نشأة التداولية .

أ)-**مفهوم التداولية:**تعد التداولية إحدى المنهجيات الأساسية المعاصرة التي نهضت على الجهود اللغوية. وسعة مجالها في المنظومة الفكرية الحديثة جعلها صعبة التعريف، ولعل أول أسباب ذلك أن مفهومها تتعاوره مصادر معرفية ذات أصول مختلفة، فغدت "ملتقى أفكار وتأملات مختلفة يصعب حصرها"[1] أي من الصعب أن تحد وربما كان ذلك لنشأتها غير المستقرة بالإضافة إلى أنها تتداخل مع علوم أخرى، مما جعلها ميدانها ثريا وواسعا وصعبا[2]. وبنظرة معمقة نجد أن مصطلحها(يعني فلسفة اللغة التي تتخطى التحليل الدلالي إلى التركيز الاستعمالي الحي للغة الذي يراهن على الفهم المتبادل حول شيء ما)[3]. والمتأمل في التداولية، يجد أنها لم تفصل البني اللغوية التي تتناولها عن مواقع استعمالها، فضلا عن وصف اللغة أثناء استعمالها خطابا وهذه من أهم القيم التي تتميز سواء عند الغرب أو العرب والتي لا يختلف فيها مجال التداولية الذي حدده اللسانيون حديثا في وصف اللغة في استعمالاتها دون تجريدها من تداولها العادي.

لقد سمحت الفحوص لمدونة اللسانيات التداولية عموما بتحديد خمسة موضوعات أساسية فيها. من أهم ما يرتبط بالخطاب في ذاته نذكر منها ما يأتي:

**أولا: الخطاب ومقتضى الحال:** فكرة مقتضى الحال تداولية أساسا حيث نجمت في الشروط التي يكون فيها الخطاب مطابقا للحال التي يستعمل فيها بين المتكلم

---

[1] - L'énonciation littéraire pragmatique pour le discours littéraire, Dominique MAINGUENEAU, Nathan/her, édition1997 et bordos paris 1990 pour la 1er édition , dunod , paris 1997, p01.txt trad : à la confluence de réflexions de provenances diverses , se laisse difficilement circonscrire .

[2] ينظر محمود نحلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي، دار المعرفة الجامعية مصر 2002 ص 11-10 .

[3] مجلة الحوار الثقافي – مقاربة التداولية العامة في الفكر الفلسفي المعاصر ، خن جمال المجلد6، ع 4أفريل 2018

والسامع ومختلف الملابسات والظروف ,لأنه في الأداء الكلامي يعود متكلم اللغة بصورة طبيعية إلى القواعد الكامنة ضمن كفايته اللغوية، كلما استعمل اللغة في مختلف ظروف التكلم، غير أن التنفيذ العملي للكفاية اللغوية لا يعكسها كاملا، إذ قد توجهه ظروف وعوامل غير لغوية من مثل المقام والحال أو الظروف التي ينجز فيها الكلام، والحالة النفسية للمتكلم وما يعتريه من نسيان وإعياء ولا يمكن إغفال الأطراف الأساسية والعناصر اللغوية لأي خطاب مهما كان نوعه التي تتمثل في المتكلم والسّامع (المخاطب)، الرسالة – قناة الاتصال – السياق أو المقام وتعد هذه العناصر المنطلق الأساسي في البناء الهيكلي الذي يبنى عليه الخطاب وكذلك التفاوت الحاصل في المستوى الثقافي للأفراد[1] وهي العناصر المتضافرة في إنتاج الخطاب.

وقد يخرج الكلام من مقتضى الظاهر إلى خلافه لأغراض نحوية وبلاغية، فيأخذ الخطاب حينها صيغة مخالفة لما يتطلبه الحال، وفي ذلك قيم تداولية ترتبط به أو بالسامع، نحو "وضع المضمر موضع الظاهر أو مجاوبة المخاطب بغير ما يترقب أو الإبراز غير الحاصل في معرض الحاصل لقوة الأسباب الظاهرة وقد يخرج الكلام مخرج الشك في اللفظ دون الحقيقة لغرض ما."[2]

ومن هنا فإن التداولية تعتمد على اللغة كفعل اجتماعي وفعل تواصلي مكلفة "باستخراج المظاهر الكونية للمسار الذي يجب أن ينتهي بنا إلى التفاهم"[3]، حيث نجد معاني مختلفة تؤديها كلمة واحدة حسب السياق والحال الذي تستخدم فيه الكلمة، أي تقدم الكلمات مفهومة، وأن يكون منطوق المتكلم شيئا مفهوما، ويقدم معنى مفهوما يمكن للمستمع أن يفهمه وأن يجعل المتحدث نفسه يصل إلى تفاهم مع شخص أخر، وممكن عد هذا شرط أساسي كي تتحقق عملية التواصل وفعل

---

[1]– ينظر مجلة الحوار الثقافي (لمجلة ....أكاديمية محكمة) توظيف معطيات النظرية الفطرية في اكتساب اللغة في تعليم النحو العربي – ناصر فرحان، مختار لزعر المجلد 7 ع:01 ، ديسمبر 2018 ص 214.

[2]–ينظر في اللسانيات التداولية مع محاملة تأصيله في الدرس العربي القديم، خليفة بوجادي، بيت الحكمة الجزائر، ط 1، 2009، ص198 / 1992.

[3]–المرجع نفسه ص 105 .

التواصل بهذا المفهوم يكون حاملا لقيمة تداولية مهمة، هي أن تسميته قائمة على استخدام والتداول ما يدل عليه وهي من المجالات المفهومية للتداولية.

وللنهوض بنظرية تواصلية تضفي على اللغة طابعا تداوليا، يجعل منها قوة اجتماعية وتواصلية ترتبط بالبعد البراغماطيقي التداولي المستعمل يوميا، فاللغة تندرج ضمن صميم الخطاب وتلعب دورها الأساسي في التفاعل والتواصل لتصبح أداة إجرائية تعمل على كشف الأمراض والتشوهات التي تصيب التواصل وذلك أن أغلب مشكلاتنا الاجتماعية متركزة حول مصطلحات غامضة كثيرة الصور، وتتداخل مع انفعالاتنا تداخلا ينتج عنه أن ردود أفعالنا الدلالية "تصبح مختلطة أيما اختلاط، وحتى الانحرافات الشخصية والقومية، فهي عند ""ألفراد كورتيسبسكي" ترجع إلى ردود أفعال عصبية – دلالية – تستلزم إعادة التربية"[1].

وهذا الأمر يتشابه إلى حد كبير مع ما قام به بعض الفلاسفة أمثال:

"هابرماس" و"دلتاي" اللذان استطاعا بأفكارهما الفلسفية والدلالية الاجتماعية الاهتمام بإرساء دعائم الفهم بداخل الحياة الإنسانية، فقد "جعل دلتاي الفهم الذاتي يتحرك باستمرار في واسطة من فهم متبادل مع الذوات الأخرى حيث يربط دلتاي التفاعل اللغوي والفهم بين الأفراد باللغة، ومن جهته يرى هابرماس أن أفعال الكلام تلتقي فيها ثلاثة مكونات: مكون جملي مهمته تصور أو ذكر أحوال الشيء ومكون فعل منطوق مهمته عقد علاقات بين الأشخاص وأخيرا مكون لساني يعبر عن قصد المتحدث"[2].وهذا الأمر من شأنه تعزيز قدرات الفرد في الكشف عن مكامن العطب والزيف في ذاته وفي الأخر.

[1] الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية لصفية مطهري، اتحاد الكتاب العرب دمشق 2003 ص 38

[2] مجلة الحوار الثقافي مجلة فصلية أكايمية محكمة مجلد 6ع : 4 أفريل 2018 ،مقاربة التداولية العامة في الفكر الفلسفي المعاصر، جمال محمد بن أحمد ص105.

**ثانيا: مقومات التحليل التّداولي:**

**أ)-أفعال الكلام:** **LA PAROLE** les actes de

إنّ موضوع أفعال الكلام ذو محتوى معرفي جديد في الدراسات الحديثة حيث ارتبطت "اللغة بإنجازها الفعلي في الواقع"[1] وقد جاء بنظرية الأفعال الكلامية الفيلسوف المعاصر "جون أوستين j.Omustin ت: 1960 وطورها الفيلسوف .ج.لسيرلj.Searl بإعطائها صيغتها النموذجية النهائية فقد تعمّق أوستن في إنجاز فلسفة دلالية تهتم بالمضامين والمقاصد التواصلية وتختلف عمّا عرفناه عند علماء الدلالة اللغويين خصوصا البنيويين، فقد كان أوستين يلح على القيمة التداولية لعبارات لغوية كثيرة تستعمل في اللغة الإنجازية، ومن الجديد الذي يخالف به الفلاسفة الكلاسيكيين ويوافق به أسلافه من فلاسفة التحليل إدخاله مفهوم القصدية في فهم كلام المتكلّم، وفي تحليل العبارات اللغوية وهو مبدأ أخذه من الفيلسوف "هو سرل" والظهراتيين، واستثمره في التحليل العبارات اللغوية وتتجلى مقولة "القصدية" بالخصوص، في الرّبط بين التراكيب اللغوية ومراعاة غرض المتكلم والمقصد العام من الخطاب، في إطار مفاهيمي مستوف للأبعاد التداولية للظاهرة اللغوية.[2]

وقد أشار أوستين إلى صعوبة إقناع الأخرين بهذا المفهوم كما أشار إلى بعض المفاهيم التي تشبهه، ثم يشير في كتابه " DIRE QUAND C'FAIRE EST" الذي صدر في شكل محاضرات جمعها بعض أصدقائه الباحثين إلى مشكلة المصطلح فقد أطلق على هذا المفهوم مصطلح الأفعال الإنجازية.

وقد قسم "أوستين " في بداياته الأولى الجمل إلى وصفية (خبرية ) وأخرى إنشائية، غير أنه رفض هذا التّقسيم الذي أتى به في بداية دراسته حول الفعل الإنشائي والفعل التّقريري، ويرى أنّ الحكم عليها بالصدق أو الكذب متعذر باعتبار الأقوال أعمال، وعليه فكلّ العبارات الملفوظة إنجازية وهي على نوعين :[3]

---

[1]- في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية، في الدرس العربي القديم، خليفة بوجادي، بيت الحكمة الجزائر، ط1 ،2009، ص 86.

[2]- ينظر التداولية عند العلماء العرب- دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي - مسعود صحراوي ط1، دار التنوير للنشر والتوزيع ص 08 .

[3]- ينظر، في اللسانيات التداولية، خليفة بوجادى ص96.

1- إنجازية صريحة (مباشرة) : فعلها ظاهر (أمر، دعاء، نهي).

2- إنجازية ضمنية (غير مباشرة) : فعلها غير ظاهر، نحو قولها : الاجتهاد مفيد يساوي: أقوال الاجتهاد مفيد، وتساوي أيضا: آمرك أن تجتهد. لكن " اوستين " عندما أخذ يدقق في طبيعة أفعال الكلام، اكتشف أنها متعددة الجوانب ومختلفة الدلالات ومتعددة الصيغ والأشكال، لذلك قام بعملية تصنيفية لهذه الأفعال . هذا التصنيف للأفعال جاء من جهة على حسب الصيغة MODE وجاء من جهة أخرى حسب المضمون CONTENU .[1]

3- ففيما يخص الصيغة، هناك الفعل القولي المتضمن في القول، وهناك أيضا les actes percullocutoires فعل التّأثير بالقول أو الفعل التأثير.

أما فيما يخص المضمون، فقد قسّمها إلى خمسة أنواع: أفعال الأمر والنّهي، أفعال التمني وأفعال السلوك.....اخ.

سنحاول أن نستعرض كلا منها في عجالة فيمايلي:

**ب)- من حيث الصيغة:**

**1- فعل القول أو الفعل اللغوي: هو (إطلاق الألفاظ على صورة جملة مفيدة ذات بناء نحوي سليم مع تحديد ما لها من معنى ومشار إليه)**[2].

وهو الفعل الذي يتحقّق ما أن نتلفظ بشيء ما، أي إطلاق ألفاظ تحمل دلالات معيّنة.

**2- الفعل المتضمّن في القول:**

وهناك من يسميّه القول الفاعل، وهو الفعل الذي يتحقّق بقولنا شيء ما .

- **الفعل التأثيري:**
- وهو الفعل الذي يتحقّق نتيجة قولنا شيء ما.[3]

---

[1]- التداولية عند العلماء العرب , مسعود صحراوي ص 08.

[2]-الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه، هاجر مدقن، دار الأمان، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة ط2013/1434.

[3]-ينظر التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي ص 31- 32 .

**ب/ من حيث المضمون:**

فقد قسّم "أوستين" الأفعال التي تثبت في بعض القضايا، وتشمل على سبيل المثال لا الحصر: أفعال التبرئة، الحكم، الوعد، كما قسّم " الأفعال الكلامية إلى مجموعات وظيفية، وهي حسبه[1].

- **الأفعال الدّالة على الحكم:** وهي الأفعال التي تثبت في بعض القضايا وتشمل على سبيل المثال لا الحصر: أفعال التبرئة الحكم، الوعد.....

- **أفعال الوعد:** وهي الأفعال التي تظهر ممارسة الحق، ولها قوّة في فرض واقع جديد مثل: الانتخاب –التعيين – الاستشارة.

- **أفعال السلوك:** وهي مجموعة مختلفة، مرتبطة بالسلوك الاجتماعي للمتكلم، والتي تحمله على اتخاذ موقف اتّجاه المخاطب نحو : التهنئة.

هي تتمثّل في علاقة المتكلّم مع ما يقوله عن طريق المحادثة أو المحاجّة نحو الإثبات، التّأكيد، النّفي.

وانطلاقا من تحديد معاني أفعال الكلام والتقسيم الذي وضعه "أوستين" لها يرى "فان دايك" أنّ أفعال الكلام هي الغرض الرئيس للتداولية الحديثة .

- كانت تلك لمحة موجزة عن الأفعال الإنجازية وما حدث فيها من تطور.

**مفهوم الحجاج:** جاء في المعجم الفلسفي: " أنّه سلسلة من الأدلة تفضي إلى نتيجة واحدة أو هو طريقة عرض الأدلة "[2]

- أي عرض مجموعة من البراهين والحجج التي تكلّل نتيجة واحدة.

- وبالتالي يمكن عدّ اللغة ذات أبعاد لغوية وحجاجية.

---

[1]– ينظر، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، عمر بلخير، منشورات الاختلاف الجزائر 2003، ط1، ص 159 .

[2]–في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية خليفة بوجادي، ص 87 .

_ملاحظة نشير إلى أن العناصر والمفاهيم التي تضمنتها التداولية كثيرة وعديدة وبسطها يحتاج إلى استفاضة لا يتسع المقام ولهذا اكتفينا بهذه الإشارات.

**التأويلية بين اللغوي والنّفسي:** لقد أسهم الباحث "شلا يرماخر" *schleirmacher في نمو النظرية التأويلية مستفيدا من الجهود الفيلولوجيا " ورأى أن دراسة فقه اللغة ينبغي إن يسير مع حركية روح العصر التي تعني تلك التّفرقة بين الجانب الباطني الذي يهتمّ بوحدة الوجود وانسجام أجزائه وبين الشكل اللغوي الخارجي وبالتالي يصبح فقه اللغة ذو ملامح روحية خالصة تنبع من عمق الظاهرة إنّما اللغة الباطنية"[1].

وذلك نظرا لما تملكه من المؤهلات ما يجعلها تسير مع الظواهر اللغوية، أما الشّكل الخارجي المتصور ينخرط في السلسلة من العمليات تتصل بالمتكلم والمتلقي أو المخاطب والقناة اللغوية المستعملة بينهما فالخارج يفترض وجودا لغويا ما تقبلها محصلا لدى مستخدمي لسان ما تحصيلا أطلق عليه اسم علم ومعرفة ويعني هذا أن يكون متكلم اللسان عارفا بمعاني الكلم معرفة بالتواضع الأول وتكون تلك المعرفة كامنة في الذّهن.

فإذا ما استعمل متكلم علامة لغوية في سياق مخاطبته غيره ممن يشاركه الانتماء إلى الجماعة اللسانية نفسها أحالت لديه، وفي مخزونه اللغوي الذهني، على معناها الذي يطابقها والذي هو ثابت في ذهنه حاصل فيه بالمواضعة[2] أي العملية الذهنية التي تقضي لدى المتلقى إلى إدراك المعنى.

لقد استطاعت نظرية التأويل في اعتقاد شلايرماخر أن تتميز بين مستويات الفهم والإدراك كما ميزت بين مستويات الشرح اللغوي، ذلك أن "الشرح اللغوي إنما يرتكز على مستويات ثلاثة : مستوى الكلمات –المعنى– ومستوى روح العصر، على

---

* عالم لاهوتي برتستلني (1768–1834) Berlin - Breslau _ راح يهتم بالجانب الروحي الباطيني للدراسات اللاهوتية على وجه العموم ثم الدراسات اللغوية على وجه الخصوص، و من مؤلفاته : خطاب حول الدين ،1799 و عرض جديد للإيمان المسيحي .

[1]– ينظر التأويلية من الرواية إلى الدراسة المبادئ لتأصيل البحث التأويلي العربي – مختار لزعر ديوان المطبوعات الجامعية وهران، سنة 2007، ص 42 .

[2]– تونس المصطلح النحوي وتفكير النحاة العرب ص توفيق قريرة، ط1 2003 كلية الأدب منوبة دار محمد علي.

أساس أنه كان متأكدا من أن وراء الاختلافات المعترف بها وحدة أساسية إذ أن النصوص مصنوعة من كلمات وجانب نحو تركيبي[1].

ونرى أنه من الوارد التمييز بين ما يمكن تسميته "التأويل" و"التفسير" إن القصد بالتأويل هو العودة إلى أصل الشيء والخفايا الدقيقة والمقاصد الباطنية، إنه بحث عميق يحاول عن طريق العقل والاستدلال والمعرفة الذوقية إجلاء المقاصد وإيصالها إلى الآخرين.

والتأويل بهذا المفهوم "لم يفرض، ولم يكن وليد اتجاهات عقلية وإنما هو ظاهر استوجبتها خصائص اللغة العربية، وما تتميز به من كثرة الوجوه و حسن المطاوعة[2]" فلا أحد له حيله في دفعه أو صنعه وإنما الحاجة إلى تتبع الخيوط الخفيفة التي أنتجت نسيج، وممارسة عملية الحفر في الخطاب مما بقيت اللغة تتطور معانيها.

ونقصد بالتفسير أن التفسير ربط للنص المفسر بظروف إنتاجه وبمؤلفه ومحيطه، في حين أن التأويل على النص الأصلي إسقاطا منتهاه محو المؤلف وإحلال المؤول محله.

وحين نحلل الكلام، نرى انه يمكن أن ينقسم إلى كتل يفيد كل منها معنى قد يكتفي به السامع ويفهمه، فالأمر مرجعه كله إلى معرفة المتكلمين بكل لغة، ويكفي لذلك أن نعرف الجملة "أنها في أقصر صورها هي أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلا بنفسه"[3]. ولقد أكد هابرماس "على أن الوحدة الأساسية للخطاب هو فعل التكلم (القول)، أو بعبارة أخرى "هو الفعل المميز للصوت المنتج"[4]. أما الوحدة الأولية للغة هي الجملة باعتبارها هي " الوحدة النحوية الكبرى"[5]، ولا تختلف هاتين

---

[1]– التأويلية من الرواية إلى الدراية مختار لزعر ص 44.

[2]– النص والتأويل، دراسة دلالية في الفكر المعرفي التراثي منقور عبد الجليل ديوان المطبوعات الجامعية 2010 ص 145.

[3]من أسرار اللغة، ابراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ط. 2010، ص 236 .

[4]في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، خليفة بوجادي، بيت الحكمة–الجزائي، ط1، 2009، ص 104.

[5] النظرية للغوية في التراث العربي، محمد عبد العزيز عبد الدايم، دار السلام للطباعة والنشر، ط1، 2006/1427، ص 209.

الوحدتين إلا بشروط الصحة اللغوية، فالجملة المركبة تكون سليمة اشتقاقيا وتركيبيا وصرفيا أي غير لاحنة، كذلك أن تكون صحيحة دلاليا وصوريا وتداوليا، حيث يصدق التداول في نظرية اللسانيات النسبية على العلاقات التخاطبية القائمة بين المتكلم(ك) والمخاطب (ج) والتي يكون لها تأثير مباشر في تكوين بنية العبارة أو في تأويلها، وتتركب علاقة التخاطب من تأثير مزدوج، أولهما يمارسه المخاطب على المتكلم حين يلزمه بمراعاة أحواله الاجتماعية والنفسية والمعرفية، وثانيهما يرد به المتكلم على مخاطبه ببناء عبارته اللغوية على قدر افتقاره، ويمكن صوغ هذا التأثير المتبادل على النحو الآتي[1] : [ ك ⟷ خ ]

إن المبتغى الأول للتداولية في الفكر الفلسفي المعاصر عموما والفكر الألماني خصوصا هو وضع جرد وصفي لأفعال الكلام ووظائفها المميزة لبعض الوضعيات في وسط معين يمكن تحليله هو آخر من رؤية سوسيولوجية أو نفسية أو إثنولجية في حين تكون مهمة النظرية التداولية الشمولية هي إعادة بناء نظام القواعد الضمنية. ولقد ربط "هابرماس" Habermas بين تأويليته النقدية بالبراجماطيقا العامة مرتكز في ذلك على "دي سوسير" de Saussure الذي ميز بين اللغة والكلام باعتبار اللغة أكثر تنظيما من الكلام، ولا يغيب عن ذهن الباحث عندما نتكلم في ثلاثية اللغة أن ليست اللغة هي هذه الحروف التي نكتبها، " إذ هذه ليست إلا رموز اللغة، وحقيقة اللغة إنما هي الأصوات التي تنطق على نحو مخصوص متواضع عليه"[2] فتسمع ويدرك السامع معناها، أو توضع لها حروف، يقرأها القارئ ويدرك ما تدل عليه.

ومن هنا نخلص إلى أن الجمل هي موضوع التحليل اللغوي بينما أفعال الكلام (الأقوال) تشكل موضوع التحليل البراغماتي، وهذا ما حاول "هابرماس" تطبيقه في مجال التحليل اللغوي حيث أن "مظاهر هذا التحليل يمكن ان تفحص كل عبارة شفهية من ثلاثة أوجه بالصوتيات وتدرس التمظهر الصوتي للعبارة.

---

[1] ينظرن محاضرات في النظرية اللسانية والنماذج النحوية، محمد الأوراغي، منشورات ضفاف الاختلاف دار الأمان، الرباط، ج 1، ص 73.

[2] الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن– دراسة تحليلية، عبد الرؤوف مخلوف، منشورات دار مكتبة الحياة– بيروت، حقوق الطبع محفوظة، 1973 ص 152.

2- النظرية النحوية وتهتم بالتسلسل الشكلي (الصوري) لأصغر وحدات المعنى"[1].

3- النظرية الدلالية وتتناول معنى الكلمة في المعجم الذي لا يعد كافيا لاستيعاب جميع المعاني، ولذلك كان للسياق دوره في تحديد وتلوين دلالات الكلمات[2].

إن التأويل بمفهومه الواسع كل عملية قائمة على الإدراك والتمثل تهدف إلى بناء المعنى عبر تجاوز الظواهر نحو البواطن، إنه عملية مرفقة بالدليل الشرعي أو المنطقي أو النقلي.

**التداولية عند الغرب:**

"إذا نظرنا إلى الجهود الغربية يتبين أنّ الغرب على الرغم من عدم توافر عناصر التوحيد واتفاق إلاّ أنهم أعطوا صياغات محددة وموحدة انطلقت من اختيارات واحدة ومادة واحدة" [3] فقد اهتم اللغويون الغربيون باللسانيات التداولية، إذ نجد هذه المعرفة اللسانية، ومصطلحاتها، قد اصطلح عليها في كل من أمريكا وبريطانيا بمصطلحات موحدة « linguistics pragmatique »وفي فرنسا باسم « linguistique pragmatique»، كما درسوها ووضعوا أسسها ،فقد كان لها أثر في العلوم المختلفة وتعد من العلوم المهمة التي تدرس اللغة في مجال الإستعمال وتهتم بدراسة التواصل اللغوي وتفسيره ومن أهم العلماء بالتداولية في الغرب الذين أرسوا قواعد هذا العلم الجديد .

الفيلسوف الأمريكي شارل ساندرس بيرس (1914-1839) charles senders peirce ومع هذا الفيلسوف "صارت السيميائية اختصاصا مستقلا حقيقة ، إنها بالنسبة إليه إطار مرجعي يضم كل دراسة أخرى "[4] وإليه يرجع الفضل بالاستعمال الحديث لمصطلح السيمائيات. كما تشير إلى أن سيميائيا آخر هو "تشارل موريس " قد جعل

---

[1] مجلة الحوار الثقافي، مجلة فصلية أكاديمية محكمة-المجلد 6، 04 افريل، 2018 ، مستغانم، الجزائر- خن جمال مقاربة التداولية العامة في الفكر الفلسفي المعاصر، ص 111.

[2] ينظر، الدلالة الإيجدابية في الصيغة الإفرادية، صفية مطهري، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003، ص 08 .

[3] ينظر المناهج النقدية وخصائص الخطاب اللساني، رابح بوحوش، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، حقوق الطبع محفوظة ،2010، ص 175.

[4] مناهج النقد الأدبي، يوسف وغليسي بمفاهيمها و أسسها ،تاريخها و روادها و تطبيقاتها العربية ،جسور للنشر و التوزيع ،الجزائر ،الطبعة الثالثة 1431 هـ 2010 أكتوبر 1431 هـ 2010 ص 96.

علم الدلالة "قسما من السيميائية يعنى بدلالة العلامات، أي العلاقة بين العلامة ومقصدها أو ما تحيل عليه، مقابلا للتداولية جزءا سليما من السيميائية عند تمييزه لثلاثة فروع وهي علم التركيب وعلم الدلالة والتداولية وأشار إلى علاقة العلامة بمستعملها "[1] وبما أن الفلسفة التحليلية هي الينبوع المعرفي لأول مفهوم تداولي وهو "الأفعال الكلامية "فقد بات ضروريا الإشارة بهذا 'الفيلسوف الألماني "غوتلوب فريجه Gottlob Frege" (1848–1925) بكتابه "أسس علم الحساب " والجديد الذي جاء به رؤية الدلالية، خصوصا تمييزه بين اسم العلم والإسم المحمول وبين المعنى والمرجع محدثا قطيعة معرفية، كما ربط بين مفهومين تداوليين هامين هما الإحالة والاقتضاء"[2] وقد نهج أثر فريجه الفيلسوف النمسوي "لود فيغ فيتغنشتاين wittgenstein (1989–1951)، فانتقد مبادئ الوضعانية المنطقية وأسس اتجاها فلسفيا جديدا سماه فلسفة اللغة العادية "[3] وقد انقسمت الفلسفة التحليلية إلى ثلاثة فروع كبرى هي: الوضعانية المنطقية بزعامة رودولف كارناب ( rudolph carnap) استثمر الفيلسوف أوستن في دراسة ظاهرة "الأفعال الكلامية، وقام تلميذه "سيرل" بنفس الصنيع حينما اتخذه معيارا أساسيا لتصنيف القوى المتضمنة في القول إن المفاهيم التداولية الأخرى أصولها المعرفية ومنابعها الفكرية التي أخرجتها إلى الوجود، وأطرتها مفاهيميا فإجرائيا ،فمفهوم" نظرية المحادثة " قد انبثق من فلسفة "غرايس herbert paul grice" في" مبدأ التعاون"[4] وهو مبدأ حواري بين المتكلم والمخاطب، يسهم في النشاط الكلامي لدى المتخاطبين، وكل طرف من الخطاب يعترف لنفسه وللآخر في التناوب على الكلام "[5]، أما" نظرية الملائمة فقد ولدت من رحم علم النفس المعرفي مستغلة مسلمة من مسلمات مبدأ التعاون "،و خاصة تلك

[1] ينظر، المرجع السابق، ص 97.

[2] التداولية عند العلماء العرب ،دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية ص 29 في التراث اللساني العربي ، مسعود صحراوي ،دار التنوير ،الجزائر ،ط1429،1–2008م

[3] المرجع نفسه ،ص 29.-

[4] ينظر المرجع نفسه ،ص36

[5] المرجع نفسه، ص 37

التي تنص على ضرورة ملائمة الملفوظ لنفسية مخاطبه "[1] ومن الممكن أن نضيف من هنا ما اكتشفه فلاسفة التحليل من ظواهر لغوية ومن وجهة نظر تداولية ودرسوها ويتسم تحليلهم لها بالجدة والعمق، والظواهر المدروسة كثيرة يتعذر التعرض لها في هذا المقام، وأهمها مفهوم الإحالة ومفهوم الاقتضاء وظاهرة الاستلزام التخاطبي والمفترضات المسبقة ....إلخ "[2] وعموما فقد تظاهرت جهود العلماء والفلاسفة من الغرب ويفهم ذلك أن (التداولية )معطى ثقافي غربي يحيل على مفاهيم فلسفية شاملة، انبثقت من الاتصال بين اللغو والفلسفة وهي تتصل بالظواهر النفسية والاجتماعية والبيولوجية والسيميائيات، وتتدخل مع اللغة في الدلالة .

### 1.5. الأثار الخفية للفكر اللغوي العربي في التداولية

في إطار الحديث عن التداولية ,بوصفها منهجا في دراسة اللغة له أسسه ومفاهيمه، هناك بعض المسائل التي تطرح نفسها بحدة من مثل الحديث عن علاقة التداولية بالبلاغة ومدى تأثر العالم الغربي أو عدم تأثره بالمناهج العلمية والعقلية والفلسفية في ما وضعه علماء اللغة العربية من نظريات وخلفوه من أفكار لسانية رائدة ,على الرغم من اعتبار النظرية التداولية منهج حديث لم يتناوله الدرس اللغوي مستقلا ذو منهج واضح إلا في النصف الثاني من القرن العشرين فإنه في الواقع منهج قديم، استعمله اللغويون والبلاغيون والنحاة العرب، وإن كان من دون تنظير وتقعيد، فمعالمه واضحة في اهتمام البلاغيين بنظرية السياق غير اللغوي، وفي توضيح التركيب، وفي الاهتمام بالمقام والظواهر اللغوية من مثل الحذف والتقديم وتجويز التأخير. كل ذلك وغيره وضحه علماؤنا البلاغيون القدامى وفسروه بأحوال المتكلم والسامع والمقام الحالي، كما أن دراسة عملية التواصل أو الاتصال قديمة، إذ تمتد جذورها إلى الدراسات التي قام بها علماؤنا الأجلاء، أمثال: الجاحظ، ابن قتيبة، وأبو هلال العسكري، وغيرهم، إلا أنها تميزت بالطابع المعياري، وتركيزها على الشروط التي تجعل من الخطاب خطابا ناجعا، الأمر الذي جعلها

[1] التداولية عند العلماء العرب، مسعود الصحراوي ص 36

[2] ينظر المرجع نفسه ص 36.

تحمل في طياتها ملامح التداولية الحديثة، فكما ركز هؤلاء البلاغيون على والمتلقى، والرسالة وعملية التأشير والتأثير، والقصد والفائدة من الكلام والإفهام، ركز علماء التداولية المحدثون عليها.

مما يؤكد على وجود نقاط تقاطع بين البلاغة والتداولية، ويرتبط البعد التداولي بمصادر البلاغة القديمة على منظور المخاطب باعتباره مناط تحقيق النجاعة للخطاب.

كما ينبغي أن يراعي المتكلم حال مخاطبيه ومنزلتهم الاجتماعية. فالقول لا يقنع إذا لم يكن موجها أي مكيفا بحسب الحاجات الخاصة التي تقتضيها فئات المخاطبين، فالوضعيات تختلف والمراتب تتباين والفهم يتفاوت كما كانت عنايته بالمتكلم عناية كبيرة يقول الجاحظ: "والمفهم لك، والمتفهم عنك شريكان في الفضل، إلا أن المفهم أفضل من المتفهم وكذلك المعلم والمتعلم هكذا ظاهر هذه الفضية وجمهور هذه الحكومة".[1]

ومن المفاهيم التداولية التي تنبه إليها الجاحظ(ت 255هـ_869م) وأعطاها أهمية كبيرة المقام ودوره في دورة التخاطب،" "والجاحظ لا يكتفي بالدعوة النظرية إلى مراعاة حال ، بل يمارس ذلك في كتاباته . وضمن هذا "الاتجاه النقدي تأخذ مسألة الدلالية عند الجاحظ مكانتها لتتبوأ المنزلة اللائقة فتستحيل إيضاء من إيضاءات الفكر العربي يدلك على ذلك أن لفظ الخط عند استخدامه للدلالة على مفهوم الكتابة ولفظ الإشارة استعمل للدلالة على مفهوم السيمياء ( signe’, ولفظ النصبة استعمل للدلالة على مفهوم العلامة(indice )وهو تصور يمكن أن نعده من روائع استخداماته"[2].والملاحظ عن كتاباته أنها تحاول أن تأخذ بعين الاعتبار المخاطب في تعدديته، كأنها تستهدف مخاطبا عاما كونيا، وتحاول أن تراعي في إنتاج الخطاب تعدد المخاطب واختلافه.

---

[1] البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تخ/ عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي ، القاهرة، بئ–ج1، ص: 11–12.

[2] المناهج النقدية وخصائص الخطاب اللساني , راابح بوحوش دار العلوم للنشر عنابة ,2010 ص158

ولذا يمكن القول: "إن هذا البعد هو أحد الأبعاد الأساسية في البلاغة العربية وهو بعد جاحظي في أساسه، وإن تخلى البديعيون عنه في مراحل لاحقة أدى إلى اختزال اللبلاغة العربية وتضييق مجالها، وتحظى نظرية التأثير والمقال حاليا بعناية كبيرة في الدراسات السيميائية، ومن ثم الشروع في إعادة الاعتبار إلى البلاغة العربية تحت عنوان جديد هو "التداولية".[1] ومعنى ذلك أن أصول التداولية تعود إلى الجاحظ لأنها أساس البلاغة العربية إذ إنها أصبحت مهمة خاصة في المجالات السيميائية.

وتتجلى جذور التداولية عند الجاحظ من خلال تقسيمه للبيان إلى ثلاث وظائف وتركيزه على الوظيفة التأثيرية، هذه الأخيرة التي تعد أهم مبحث في التداوليات الحديثة، ونستنتج أن الجاحظ قد أرجع وظائف البيان إلى ثلاث وظائف أساسية هي:

1- الوظيفة الإخبارية المعرفية التعليمية (حالة حياد، إظهار الأمر على وجه الإخبار قصد الإفهام)

2- الوظيفة التأثيرية (حالة الاختلاف) تقديم الأمر على وجه الاستمالة وجلب القلوب.

3- الوظيفة الحجاجية (حالة الخصام) إظهار الأمر على وجه الاحتجاج والاضطرار[2].

من خلال هذا القول تتضح الصلة بين البلاغة العربية والتداولية الحديثة ذلك أن الوظائف التي قدمها الجاحظ للبيان، تمثل جوهر النظرية التداولية، في الدراسات المعاصرة، باعتبارها مقاربة تهتم بالتواصل في الدرجة الأولى، والإقناع والتأثير وإيصال المعنى، وتقديم الفائدة في الدرجة الثانية قال الجاحظ: "المعاني القائمة في صدور الناس المتصورة في أذهانهم، والمتخلجة في نفوسهم والمتصلة بخواطرهم والحادثة عن فكرهم ,مستورة خفية، وبعيدة وحشية, محجوبة مكنونة ،وموجودة في

---

[1] البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، محمد العمري، أفريقيا، الشرق المغرب بيروت _لبنان سنة 1999، ص 293.

[2] المرجع نفسه، ص 212 _213 .

معنى معدومة لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه، ولا حاجة أخيه... إلا بغيره، وإنما يحي تلك المعاني ذكرهم لها، واستعمالهم إياها، وهذه الخصال هي التي تعود بها إلى الفهم وتجليها للعقل "[1]. وصفوة القول إن المعاني كامنة في أذهان الناس وصدورهم ,فلا يمكن للإنسان أن يعرف ما يختلج نفسية صاحبه من أحاسيس ومشاعر إلا إذا قام باستخدامها وأخبر عنها من أجل تقريب البعيد إلى الاستيعاب والفهم.

ومن هنا نتوصل إلى أن الجاحظ قد تفطن إلى الجانب النفعي منذ زمان طويل، فمعالم المقاربة التداولية تظهر بكل وضوح من خلال قوله السابق الذي يؤكد فيه على ضرورة استعمال المعاني، فالإخبار عن المعنى هو الذي يضمن تقريبه إلى الفهم حيث يركز ضرورة إفهام المتلقي، كما اشترط ضرورة إفادة المعاني، وتحقيقها للقصدية أي أنه ركز على المنفعة المطلقة وهو ما نادت به التداولية أو البرغماتية، وقد اكتشف أن الناس طبقات يستوجب تنوع الخطابات بحسب نوعية المتلقي، قال الجاحظ: "وكلام الناس في طبقات كما أن الناس أنفسهم في طبقات"[2]، وأن من خصائص المتكلم أن:"لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ولا الملوك بكلام السوقة"[3]، يبدو أن الجاحظ قد أدرك أن من شروط نجاح الخطاب مخاطبة السامع بلغته، فالملك يخاطب بلغة الملوك أما السوقي فيخاطب بلغة السوقة وذلك بغية إقناع السامع، قال الجاحظ : "قال الله تبارك وتعالى: (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم"[4]. لأن مدار الأمر على إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم ,والحمل عليهم على أقدار منازلهم وأن تواتيه آلاته، وتتصرف معه أداته، وعلى الإفهام والتفهيم"[5]، وكل هذه المفاهيم التي

---

[1]- البيان والتبيين للجاحظ، ج1، ص 75.

[2]- البيان والتبيين، الجاحظ، ج1، ص 144.

[3]- المصدر نفسه، ج1، ص : 92.

[4]- الآية 04 من سورة إبراهيم.

[5]- البيان والتبيين،لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ – ج1- دار الكتاب العلمية بيروت لبنان ط1 2002 1424ص 71.

تناولها الجاحظ ما هي إلا مفاهيم تداولية تعرضت إليها التداولية الحديثة عن كثب وركزت عليها.

وها هو"أبو هلال العسكري" قد تحدث هو الآخر عن مقتضى الحال في كتابه "الصناعتين" حيث قال: "ينبغي أن تعرف أقدار المعاني , فتوازن بينها وبين أوزان المستمعين, وبين أقدار الحالات فتجعل لكل طبقة كلاما, ولكل حال مقاما مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من مقال، .. لبعض ما يراد له القصيد ....."[1].

نلاحظ من قول "العسكري" أنه قد ربط المقام بتغير أغراض السامعين المخاطبين والغرض المنشود، فباختلاف الغرض المراد تحققه يختلف المقام، فإذا كانت خطبة فغرضها هو الإقناع، فكان الخطاب في هذه الحالة خطابيا، أما إذا كان المقام شعريا فغرضه يتمثل في الاستمالة والإثارة والتنبيه وهكذا دواليك. على أن من مقتضيات العلم بأحوال المبين لهم في فكرة المقام هو العلم بأحوال المعاني اللائقة بمقاماتهم في أحوالهم المختلفة, باعتبار أنّه لا يجوز, كما في قول الجاحظ: "...لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ولا الملوك بكلام السوقة، لأن ذلك جهل بالمقامات، وما يصلح في كل واحد منهما من الكلام، وأحسن الذي قال لكل مقام مقال"[2] فنجده هنا يربط المقام بطبيعة الحال، إذ تختلف الصيغة من موضوع إلى موضوع ومن غرض إلى غرض آخر، وذلك قصد إقناع المتلقي، فلا ينبغي أن نكلم الملك بكلام السوقي ولا السوقي بكلام الملك، ذلك أن لكل مقام مقال. ليس هذا فحسب، بل يجب على المتكلم المبين أن يحيط علما بمعاني كلام العرب بوجه عام، وذلك حتى لا يقع في خطأ الخروج عن مبدأ اللياقة في مخاطبة الآخرين من ذوي الأقدار. ولا شك في أن براعة المتكلم موقوفة على مقدرته على التوفيق بين الكلام وبين متطلبات المقام، بين طريقة النظم وبين مقتضى الحال ومطالب المعنى.

وإذا ما عرجنا إلى السكاكي نجد هذه الفكرة واردة في مؤلفه "مفتاح العلوم" إذ قال: "ولا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام الشكر يباين مقام الشكاية، ومقام

---

[1]– كتاب الصناعتين، تحق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، ط1، 1371_ 1952_، ص 135.

[2]– الصناعتين لأبي هلال العسكري، ص 24.

التهنئة يباين مقام التعزية، ومقام المدح يباين مقام ذلك، ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب، ومقام الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل، وكذا مقام الكلام مع الذكي يخالف مقام الكلام مع الغبي، ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر، ثم إذا شرعت في الكلام فكل كلمة مع صاحبتها مقام، وارتفاع شأن الكلام في باب الحسن والقبول، وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق به، وهو الذي نسميه مقتضى الحال".[1]

ومعنى ذلك أن كلام السكاكي يشير إلى المقامات المتباينة، فمقام المتكلم يختلف عن مقام السامع، أما أثناء حديثه عن مقام الكلام فكذلك يجب أن يتغير من واحد إلى آخر، فمثلا الكلام مع الذكي يتطلب مقاما معينا، والكلام مع الغبي يتطلب مقاما آخر.

أما إذا انتقلنا إلى "حازم القرطاجني" فإننا نجده لا يعتبر الكلام الذي لا يدل على معنى كلاما أصلا، ومن ثم فهو يشير إلى فكرة القصد، فهو يجعل الفائدة المتداولة بالقصد وفي هذا الصدد يقول: "لما كان الكلام أولى الأشياء، بأن يجعل دليلا على المعاني التي احتاج الناس إلى تفاهمها"[2].

إن الكلام الذي يحمل معاني معينة، يشكل اليوم أساس الدراسات اللسانية الحديثة، والتفاهم الذي أشار إليه "القرطاجني" هنا هو تحقيق التواصل، وهذا يدخل ضمن ما يسمى التداولية التواصلية. كما ركز القرطاجني أيضا هنا على عنصر المنفعة، فالخطاب الذي لا يحقق منفعة فإنه لا يحقق عنده أي تواصل وهذا ما يؤكده قوله: "المعاني التي احتاج الناس إلى تفاهمها أي احتياجهم إلى تحصيل المنفعة".

فيتجلى لنا هنا البعد التداولي في العملية التواصلية عنده، كما قسم حازم القرطاجي ردود الفعل التي يثيرها المتكلم في المتلقي إلى ثلاثة" عملية وسلوكية، ووجدانية.

ولا يمكن أن نطبق باب الحديث عن التدوالية في التراث العربي دون أن نشير إلى العلامة "عبد القاهر الجرجاني" هذا الأخير الذي لمح إلى عملية التواصل في أكثر من موضع من خلال نظرية النظم، بل إنه يمكن القول أن نظرية النظم هي

---

[1]– مفتاح العلوم– لأبي يعقوب السكاكي– تح: نعيم زرزور، دار الكتب العالمية، لبنان، ص 168.

[2]– المصدر نفسه ، ابن الرشيق، ص 26.

المعين الذي استقى منه التداوليون أفكارهم ,حيث تتقارب أفكار النظريتين إلى حد كبير، فإن من يقرأ دلائل الإعجاز يخلص إلى أن الجرجاني وهو يناقش مسألة الإعجاز والبلاغة والفصاحة كان لديه منطلق أساسي يكمن في أن النص كي يحقق تأثيره لا بد من مراعاة عملية التواصل ومكوناتها المحدودة في ثلاثة عناصر هي المبدع والنص والمتلقي.

ولعلّ أهم ما يمكن أن نختم به البحث هو بيان أهمية الحقل اللساني التداولي الذي ساهم في تثبيت القواعد الأساسية للتداولية ,كما أثبتت فعاليتها في الدراسات الأدبية والنقدية من خلال نظريتها التي تتلخص في علاقة العلامات اللغوية بمستعمليها، فهي تمنح هذه الأفعال إطارا تواصليا ضمن بنية خطابية قابلة للتأويل، أي ما يسمى بالتأويل التداولي للعبارات، وتنقسم الأفعال الإنجازية في الخطاب إلى أفعال مباشرة وأفعال غير مباشرة. والغرض من ذلك هو التحليل السليم لأفعال الكلام لأنه لا يمكن أن يتم بغير فهم مسبق لمعنى الفعل، وهو ما يلح على إعطائه تأويلا تداوليا.

ومن ناحية علاقته بالبلاغة، فإنه يمكن القول بأن "البلاغة العربية اهتمت منذ القديم بدراسة العوامل التواصلية المحيطة بالنص الأدبي، فاهتمت باستحضار عناصر العمل الأدبي مجتمعة وتبيان دورها في اكتمال الدلالة المقصودة، وصولها إلى غايتها المطلوبة إذ احتوت جهود البلاغيين العرب إيماءات كثيرة إلى تحليل بنية النص فاهتموا بالسياق، كما نوهوا بدور طرفي العملية الإبداعية (المبدع والمتلقي) الأمر الذي جعل العديد من الباحثين يقر بأن المنهج التداولي كان حاضرا وبقوة في جهود ومباحث العلماء العرب.

ومن هذا المنطلق نرى أن مفهوم "مطابقة الكلام لمقتضى الحال" وهو أحد تعريفات المتأخرين للبلاغة، يشتمل على عناصر الاتصال الستة كما ذكرها العالم اللغوي "جاكوبسون" ألا وهي (المرسل، المتلقي، السياق، والخطاب، وقناة الاتصال والشفرة).

1-من خلال ما عرضناه فيما يخص علاقة البلاغة العربية بالتداولية توصلنا إلى وجود العديد من نقاط استعملت اللغة عند العرب للأغراض والأهداف ذاتها.

2- إن التكلم بين الأفراد يتم لأهداف وحاجات معينة أو للحصول على فائدة ما.

3- اهتمام العلماء العرب منذ القديم بعناصر الدرس التداولي (المخاطب، المخاطب، السياق والخطاب) بل انهم جعلوها معيارا لتحقيق الخطاب ونجاعته.

4- لم تغفل البلاغة العربية عنصر السياق فاعتمدت عليه وهو ما عرف بـ "لكل مقام مقال.

5- اهتمام العلماء العرب بدراسة أفعال الكلام، من خلال تقسيماتهم للخير والإنشاء.

6- اهتمام العلماء العرب بالحجاج، بل اعتبروه الركن الأساس في الخطاب.

7- اللغة عند العرب وسيلة التواصل للتعبير عن الأغراض. وأبرز قيمها أن اللغة ذات قيمة نفعية وتعبيرية. وهكذا وانطلاقا من هذا التصور، فضلنا وفقا لهذه النظرية اللغوية أن نبدأ التحليل في وحداتها التركيبية الدالة ثم تطعيم ذلك بتحليل وظيفي من وجهة نظر التداولية, لأنه من واجب الدارس أن يغير أدواته ووسائله التعبيرية, ليواكب التطورات الحاصلة في علوم اللسان عموما وعلم النص النحوي خاصة إذ هيمنت أسلوبية ,السيميائية، التداولية.

# الفصل الأول
# الشرط مفاهيمه ومجالات

1. الشرط عند النحاة
2. الشرط عند سيبويه
3. الشرط عند ابن يعيش
4. الشرط عند الأصوليين
5. الشرط عند ابن القيم الجوزية:
6. الشرط عند ابن السبكي
7. الشرط عند اللسانيين
8. جملة الشرطّ عند تشو مسكي
9. الشرط عند اللسانيين
10. الشرط في ضوء الاستعمالات اللغوية

إنّ التّغيير الدّلالي دَيْدَن كلّ لغة حيّة، لكنّ التّغيير الذي أحدثَهُ الخطاب القرآني في العربية أَلْقَى بظلاله على المفاهيم والسلوكات وجعل اللغة العربية تَبْدُو فِي مِظْهَرِ الجَدّة والتّميزِ، ونظرا لتميّز هذه الظاهرة وتأثيرها العميق في الفكر العربي الإسلامي، ونظرا لِمَا يحْوِيه في تراكيبه اللغوية من مختلف العلوم التي هي من أهمها وأجلها علم النحو فهو وَثيق الصّلة بالقرآن الكريم الذي أنزله الله على نبيّه وحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم ابن عبد الله، وجعله دستورا للأمة قاطبة الذي تسير عليه وأنزله سبحانه باللغة العربية تكريما وتشريفا لها على سائر اللّغات .

وفي الوقت الذي نرى فيه الأهمية العظمى لهذا العلم النّفيس، انبرى نَخْبة من العلماء العرب الذين اهتموا على وضع أصول النحو واسْتَنْبَطوا قواعده من الكتاب العزيز، وما صحّ من كلام العرب شعرا ونثرا ، وكان ذلك منذ أوائل القرن الثاني للهجرة، فتعاقبت طوائف النحاة وتوالت زمرهم في ميدانه وتسابقوا مخلصين في بناء صرحه، وتشييد أركانه، وقد دفعهم إلى ذلك حماسهم إلى تعلمها وتعليمها للمستغربين الذين دخلوا في الإسلام لكي يفهموا دلالات أساليبه الفنية من ذلك أسلوب الشّرط ، وممّن نهض بهذا الإنجاز العظيم في تاريخ اللغة العربية هم علماء البصرة والكوفة الذين دوّنوا قراءات الذكر الحكيم ، وطفقوا يدرسونه ومن بينهم: سيبويه، الخليل بن أحمد الفراهيدي 'ابن يعيش وغيرهم وكذلك الأصوليين : ابن القيم، السبكي ..... إلخ ولأنّ المقام لا يتّسع لدراستهم كلهم ، نقتصر على بعضهم من بينهم : النحويين : سيبويه وابن يعيش ، ونشفّع كذلك بدراسة هذه البنية عند الأصوليين : ابن القيّم وابن السبكي ، ثم عند اللسانيين.

**1. الشرط عند النحاة**

لقد اكتست اللغة العربية بردها لما توفرت عليه من عناية بتراكيبها اللغوية الناطقة بجلال سير منيع، ساعدها فيذلك نخبة من علماء العرب من اللغويين والنحاة الذين اهتموا جميعا كلهم على وضع ضوابط وقواعد هي أصول النحو العربي وكان ذلك منذ أوائل القرن الثاني للهجرة، وقد حثهم إلى ذلك اجتهادهم وحماسهم الشديد وشغفهم إلى تعلمها وتعليمها ,لكي يفهموا معاني القرآن الكريم، ودلالات ألفاظه، وممن نهض بهذا العمل العظيم هم علماء البصرة والكوفة، الذين سجلوا قراءات الذكر الحكيم، وطفقوا يجمعون من كلام العرب الشعر الجاهلي والأمثال والشعر الإسلامي، ويقيدون ملاحظاتهم القيمة، وكان من بينهم النحوي الشهير "سيبويه " الذي ألف على هدي إملاءات أستاذة "الخليل بن أحمد الفراهيدي" "الكتاب"، وأحاط بكل علوم اللغة.

وما لفت نظرنا في مؤلفه المختص في الدراسات اللغوية أنه رصد جملة من العبارات التي يمكن استعمال صيغ الشرط فيها أو في أصل وجودها كما سلط الأضواء على تقسيمها إلى اسمية وحرفية وظرفية ودراستها وفق منهج علمي رصين، معتمدا على جملة من مصادر التوثيق اللغوي وفي مقدمتها القرآن الكريم وسرد كثيرا من المفردات والعبارات التي لا يضبطها ضابط ولا ينظمها ناظم، وقد أبان عن مواطن إبطال الشرط، وقد بسط المؤلف غرضه من وضعه كتابه في النحو وهو ذلك يقف جنبا إلى جنب مع المدافعين عن لغة القرآن الكريم ولعل هذا الكتاب على حسب اطلاعي هو الأول نوعه في النحو العربي أضف إلى ذلك أنه استعان بالإضاءة اللغوية من شعراء القدامى وغيره من علماء الدين اهتموا بالبحث في جوهر اللغة باعتبارها وسيلة من وسائل التبليغ عبر اللسان الطبيعي لأي أمة' "فهي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم في الحياة"[1]. ولا أحد ينكر أن ذلك الكتاب كان ثمرة تضافر جهود عديدة من اللغويين والنحاة، ومتى تصفح الباحث كتب النحو العربي وتاريخه تردد فيما يطالعه اسمان: اسم أبي الأسود الدؤالي واسم

[1] الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني تحقيق عبد الحميد هنداوي، ج1 ط3 2008 دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ص87.

سيبويه وهذا الأخير هو الذي سنتناوله بالدرس في بحثنا هذا. وشفعنا أيضا هذه الدراسة بنحوي آخر هو "ابن يعيش" ولا سيما النحوي الشهير "سيبويه " التركيز على عوامل الجزم التي تؤديها بعض الحروف والأسماء التي يكافئ بها، كذلك دراستهم للتراكيب اللغوية التي تحمل في معناها الجزاء من مثل: الاستفهام، النهي، الأمر، ومن هنا سنتناول تصور نحويين هما: سيبوية وابن يعيش ونظرتهما إلى بنية الشرط.

**2. الشرط عند سيبويه**

انصب اهتمام "سيبويه " (ت:180) في فحصه لأسلوب الشرط على أدوات الشرط وسماها حروف الجزاء وهي التي تجزم فعل الشرط وينجزم فعل الجواب بما قبله، فالشرط هو ما يطلب جملتين يلزم من وجود أولاهما فرضا حصول مضمون الثانية، ولقد شبه "سيبوية" العلاقة بين الملزوم ولازمه بالتلازم بين ركني الجملة[1].

أي يلزم من وجود الاولى وجود الثانية ليكتمل معناها، وقد تقع أسماء موقع "إن" وتلك الأسماء منها ما هو ظرف وغير ظرف. ولذلك جعل سيبويه من ذلك نوعين "مما يجازي به من الأسماء غير الظروف: من ما، أيهم، وما يجازي به من الظروف: أي، متى، أين، أنى، حيثما وغيرهما من الحروف: إن و إذ ما [2]. وقد ذكر سيبوية أمثلة مختلفة من القرآن الكريم والشعر وهذا الضرب من الصيغة الحيادية للأدوات كثير كما قال، وهو أكثر من أن يقع عليه الحصر أو الإحصاء الدقيق لها في شيوع استعمالها*. عدم وقوعه تحت طائل الحصر سببه أنه جانب إبداعي متكرر ومتجدد في أبواب نحوية وإنما يشير فقط إلى طريقته ويمكننا – حينئذ– أن نصنف هذه الأدوات إلى صنفين اسمية ظرفية وغير ظرفية وحرفية فمن

[1] الدلالة والتقعيد النحوي، دراسة في فكر سيبوية، محمد سالم صالح، دار غريب، القاهرة، (د.ط)، 2008، ص 357–358.

[2] كتاب سيبوية، تح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، (د.ط)، (د.ت)، ص 56.

* عدم وقوعه تحت طائل الحصر سببه أنه جانب إبداعي متكرر متجدد في أبواب نحوية وإنما يشير فقط إلى طريقته لا إلى حصر أمثلته فهي لا تحصر كما أشار من قبل إلى طريقته خروج الكلام إلى المحال أو القبح أو الإحالة والكذب .

الأدوات الحرفية التي يجازي بها نذكر بعض النماذج من أسلوب الشرط عند سيبوية لاتساع الكلام ومنها ما يأتي:

**الصيغة الحيادية لأحرف الشرط**

**الأداة إن:**

تؤكد الدراسات النحوية أن أغلب المنظرين النحويين نظروا إلى تواتر الجملة الشرطية بـ "إن" بكثرة مما جعلها تحتل الهيمنة والغالبية عن باقي أنواع الأدوات الشرط، بخاصة في الخطاب القرآني، وقد فطن النحاة العرب إلى مكانتها في هذا الشأن، فاعتبروها أم الباب، ف"إذا ما أرادوا الإيماءة إليها قالوا: "إن" الشرطية وأخواتها من الحروف، وهي الوحيدة التي تتمحض لمعنى الشرط، بحيث لا تنفك عنه في الاستعمال، وقد أومأ إلى ذلك الخليل بن أحمد الفراهيدي ( ت 174 م) أنها " أم حروف الجزاء لأنها ثابتة لا تتصرف"[1].

والمقصود بذلك أن الشرط بهذا الحرف أصل الأدوات الشرط كلها. وتندرج هذه الأداة ضمن حروف الشرط التي عالجها سيبوية واستقصى معناها البنيوي والوظيفي، حيث أنه يتعدد معناها الوظيفي كسائر الأدوات الأخرى نحو: "إن" التي تكون للمجازاة والابتداء في معنى اليمين"[2].

ومثال ذلك قوله عز وجل: "إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَا عَلَيْهَا حَافِظٌ"[3].

وقوله أيضا: " إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ"[4].

استدل سيبويه بالآية لكريمة على اعتبار الأداة "إن" مخففة من الثقيلة غير عاملة وكل مبتدأ، أما كلمة "لما"، فاللام هنا هي اللام الفارقة بين إن النافية وإن المخففة من الثقيلة و ما زائدة ونفس مضاف إليه والتقدير " إن كل نفس لعليها حافظ".

كما تكون "إن" بمعنى (ما) النافية، وذلك في قوله تعالى : " وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ"[5].

---

[1] ينظر: كتاب سيبوية، تح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي د ط. دت ، ص 63.

[2] الدلالة والتقعيد النحوي، محمد سالم صالح، ص 357.

[3] الآية 4 من سورة الطارق

[4] الآية 29 من سورة يونس.

[5] سورة فاطر الآية 41.

فقوله سبحانه: " إن أمسكهما" في معنى ما يمسكها وإن نافية[1].

كما تؤكد الدراسات البنيوية أن نظام تقييم بناءها القائم على الاختلاف بين طرفي الشرط والجواب من حيث أزمة الأفعال يتنوع إلى أربع صور وهي ماض– مضارع / مضارع – ماض / ماض – أمر / مضارع – أمر . أما من حيث التصنيف النوعي فجاء التوصيف مبني على أساس الائتلاف والاختلاف بين الطرفين من حيث فعلية أو اسمية/ أو تكون اسمية–فعلية/ اسمية منسوخة – اسمية عادية أو اسمية عادية واسمية منسوخة– في عبارتي الشرط والجواب، ويعكس هذا مدى تقدير علماء النحاة للدور الذي تقوم به هذه الأداة ما يصطلح عليها بـ " إن الشرطية" وهو ما يعبر عنه بطريقة صريحة أو ضمنية في بعض الأحيان الأخرى التي تأتي مصدرة بفعل أمر يدل على الطلب ويحمل في الوقت نفسه معنى الشرط.

**الأداة إلا عند سيبويه**

مما تناوله "سيبوية" في الجزاء بـ "إن" أنها تعمل الجزم في الفعل نحو قوله عز وجل:" وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ"[2].

فإلا هنا مركبة من إن الشرطية ولا قد جزمت الفعلين في هذه الآية الكريمة.

تعتبر " إن" هنا العاملة للجزم و " لم يحسن إلا أن يكون لها جواب ينجزم بما قبله، فهذا الذي يتشاكلها في كلامهم إذا عملت، وقد نقول إن أتيتني آتيك. أي آتيك إن أتيتني ولا يحسن إن تأتيني آتيك[3].

أي عندما تقدم وتؤخر في العبارة فإنك ترفع مثال: إن تأتني آتيك، تريد بذلك: آتيك إن تأتيني.

قال الشاعر: يا أقرع بن حابس يا أقرع إنك إن يصرع أخوك تصرع[4]

---

[1] الشواهد القرآنية في كتاب سيبوية، محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، (د.ط.ت)، ص 170.

[2] سورة هود الآية 47.

[3] كتاب سيبوية، عبد السلام محمد هارون، ص 66.

* ترجمة الشاعر: جرير بن عبد الله البجلي، هو أبو حزرة بن عطية بن الخطفي التميمي أحد فحول لشعراء الإسلاميين ولد باليمامة سنة 42 هـ ونشأ بالبادية وفيها نبغ في الشعر، ومات سنة 110 هـ، وكان في هجائه للناس عفه وحسن وخلق.

[4] كتاب الجمل في النحو، تصنيف الخليل بن أحمد الفراهيدي، ت/فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة، ط م، 1985/1405 ، ص 198.

ومعنى الشرط في عجز البيت الشعري للعبارة " إن يصرع أخوك تصرع"، إنك تصرع إن يصرع أخوك نلاحظ انه قدم وأنشأ الفعل "صرع" ، ولهذا جاز أن يرفع في الضرورة الشعرية.

**الأداة إذ ما:** لقد بين "سيبوية" أن الحرف " إذ ما" مركب من إذ وما، بحيث لا يكون الجزاء في إذا حتى يضف إليها " ما" فتصير "إذ" مع "ما" بمنزله إنما وكأنها[1]، أي تتحد لنصر كلمة واحدة وحرف واحد "وضع للدلالة على مجرد تعليق الجواب على الشرط"[2]**مثال ذلك** : إذ ما تقم أقم .

ومثال ذلك أيضا: قول الشاعر *

إذا ما أتيت على الرسول فقل له حقا عليك إذا اطمأن المجلس

إن وصلت عند الرسول فبلغه ذلك ليتأكد من وصولك إذا سكن أهل المجلس[3].

**الأداة لو:**

اعتبرها سيبوية أنها حرف يدل ما كان سيقع لوقوع غيره،أي تقتضي تعلق شيء وقع في الماضي على شيء آخر وقع أيضا.

**إمّا الشرطية:**

هي حرف تفصيل، قائمة مقام أداة الشرط الشرط وفعل الشرط معا، وقد فسرها سيبوية بـ: ( مهما ..... من شيء)، والمذكور بعدها جواب الشرط فلذلك لزمته الفاء نحو:

وأما زيد فمنطلق، الأصل مهما .... من الشيء فزيد منطلق فأنبت (أي قامت محلها) أما منات (مهما بك من شيء) و تكون (إمّا) في هذا التأويل قائمة مقام فعل الشرط و أداته مهما)"[4].

---

[1] كتاب سيبوية، عبد السلام محمد هارون، ص 56.

[2] شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، لابن هشام الأنصاري–محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا–بيروت، ص 349.

* صاحب البيت هو العباس بن مرداس السلمي، صحابي وشاعر المخضرمين ممن اشتهروا في بداية عهد الإسلام وقبلة، توفي سنة 16 هـ .

[3] كتاب سيبوية، المرجع السابق، ص 57.

[4] المتشابه اللفظي في شواهد سيبويه النثرية والمعنى، عبد الفتاح الحموز، ط 1، 2010/1431 دار جرير للنشر و التوزيع الكويت ص 23.

وتعد أما هنا بمعنى (مهما) الشرطية من غير أن تعمل عملها.

**الأدوات الاسمية غير الظرفية**

**الأداة من:** رصدها تسوية ضمن الأسماء غير الظرفية التي يجازي بها نحو ذلك: "من يضربك أضربه، فالفعل فيها غير صلة"[1]

وكذلك قوله تعالى: " ومن كفر فأمتعه قليلا"[2]

جاء فعل جواب "فأمتعه" في الأتية بصيغة المضارع المرفوع لذا "يجب رفع الفعل المضارع الواقع جوابا للشرط الجازم إلى إذا اقترن بالفاء[3]

**الأداة مهما:**

تكون هذه الأداة بمنزلة "إن ما، متى ما، أينما، أيا ما" وأمثلة ذلك على النحو الاتي: "إن ما تأتين يآتيك[4]

**وقوله تعالى:** "أينما تكونوا يدرككم الموت"[5]

و قوله في الذكر الحكيم "أياما تدعوا فله الأسماء الحسنى"[6]

استدل سيبويه بالآيتين الكريمتين على أن (ما) في أينما زائدة و كذلك زيادة "ما" في أي ليتبين أن (ما) في مهما زائدة.

وفي هذا الشأن قال سيبويه سألت الخليل عن مهما فقال :"هي ما أدخلت معها "ما" لغوا بمنزلتها مع "إن ما" ومننى ما وأياما، أينما ولكنهم استقبحوا أن يكرر لفظا واحدا فيقولوا(ها ما) فأبدلوا الهاء من الألف التي في الأولى ويجوز أن يكون ...إذا ضم إليها ما"[7].

---

[1] كتاب سيبويه ص 59.

[2] سورة البقرة 126

[3] الشواهد القرانية في كتاب سيبويه ، محمد ابراهيم عبادة مكتبة الاداب ، القاهرة ص 151.

[4] كتاب لسيبويه عبد السلام ، ص 58-59.

[5] سورة النساء اية 78.

[6] الاية 110 من الإسراء.

[7] ينظر المصدر نفسه ص 59.

تبين من خلال كلامه تلك السمة المميزة للأداة مهما فهي تعد كلمة مركبة واحدة كوجه واحد وبما أنها تكون للجزاء كما ذكر ذلك الخليل و سيبويه "فهذا يعني أنها اسم شرط مركب من غير تغير.

**الأداة كيفما:**

تصح أن تكون بمعنى الحال أكثر من الجزاء، و هذا ما ألمح إليه الخليل الفراهيدي و وضحه في هذا القول : "إن الأداة كيف تصلح للحال وليس للجزاء ، بيد أنها ليست على حال ثابته، فقد تتغير حسب السياق الذي ترد فيه، وتكون معناها الجزاء"[1]

و الظاهر من خلال قوله أن تفضيله لمعنى الحال الذي تؤديه هذه الأداة يلائمها لأنها تخبرنا عن معنى حال المخاطب ومعرفة هيئته ولكنها قد ترد بمعنى الشرط "فتكون اسم شرط جازم مركب من 'كيف" و"ما" وكما تقع حالا، تقع أيضا مفعولا مطلقا في نحو: "كيفما تجلس أجلس أي جلوسا تجلس أجلس، وتقع في محل نصب خبر لكان كقولك:

كيفما يكن الأمر أكن"[2]

ومن هنا نرى أن الأداة كيف تتنوع و وظائفها و دلالاتها كسائر الأدوات الأخرى كما يمكن اعتبارها ضمن أسماء الشرط الجازمة.

**الأدوات الإسمية الظرفية :**

نذكر من بينها الأداة أني

**و ذلك نحو قول الشاعر:**

فأصبحت أني تأتيها تلتبس بها كلا مركبيها تحت رجلك شاجر[3]

الشاعر يصف داهية أو معضلة عريضة إذا أتاها في المكان الذي وقعت فيه فإنه يشتبك بها، وفعل الجواب هنا "تلتبس"

---

[1] ينظر كتاب سيبويه ص 60

[2] المناهج في القواعد و الإعراب محمد الأنطاكس دار الشرق العربي، لبنان – بيروت – سورية – حلب (د.ط.ت) ص 233

[3] كتاب سيبويه ، تح عبد السلام ص 58

**الأداة أين :**

**وجاء ذلك في قول الشاعر :**

أين تضرب بنا العداة تجدنا نصرف العيش نحوها للتلاقي

و المراد من ذلك "المكان الذي تضرب فيه تجدنا[1]

**الأداة حيثما :**

لقد بين سيبويه أن الجزاء بحيث لا يجوز حتى يضم اغليها الحرف لأنها تدل على المكان و تبتدئ بعدها أسماء[2]

**الأداة إذا**

لقد بين الخليل في كتاب سيبويه أن المعاني التي تفيدها إذا في الفعل وعدها لما يستقبل من الزمن[3].

و يمكن أن تكون إذا بمنزلة إذ و أيضا كلمة "حين" "فالفعل في إذا بمنزلته في أنك قلت : الحين الذي تأتيني فيه أتيك فيه نحو قول الشاعر :

تصغى إذا شدها بالرحل جانحة حتى إذا ما استوى في غرزها .....

الشاعر هنا يصف ناقة شخص ما بأنها هادئة و تسكن إذا شدد عليها الرحل فإذا ركب عليها سارت بسرحة[4]

**الشرط بـ "إذا ما"**و يرى في ذلك سيبويه أن (إذا) تزاد (ما) إليها نحول قول الشاعر

و إذا ما تشاء تبعث منها مغرب الشمس ناشطا مذكورا

يبين لنا أن حروف الجزاء تجزم الأفعال غير أنه في بعض الأدوات نلاحظ علامة الرفع لائحة على الفعل كما هو واضح في المثال.[5]

**الروابط اللفظية :**

قابل سيبويه مقابلة علائقية بين الفاء وثم والواو في جواب الشرط و الأفضل أن يكون الربط بالفاء فمقتضاها إيجاب الثاني بعد وجود الأول مباشرة أما ثم فتفيد

---

[1] كتاب سيبويه ص 58 .

[2] ينظر المصدر نفسه 58.

[3] ينظر المصدر نفسه ص 60.

[4] المصدر نفسه ص 60.

[5] كتاب سيبويه ص 60-61 .

الترتيب بعد مهلة والواو تفيد الجمع المطلق و لهذا يفضل أن تربط بالفاء، كما يوجد رابط لفظي أخر يحسن الربط به وهو الأداة "إذا" "فالفاء وإذا يكونان معلقتين بما قبلهما"[1]. أما في حالة عدم وجود رابط لفظي بين العبارتين يستحسن الربط بالفعل مباشرة ذلك أن العلة التي يستمد إليها "سيبويه" في أن أصل الجزاء الفعل[2].

**الأسماء الموصولة التي يجازى بها:**

قد سبق أن ذكرنا الأسماء التي يجازي بها عند سيبويه وهي الأدوات الاسمية: من، ما وأيهم، لكنه في باب أخر جعلها بمنزلة الذي وأورد أمثلة من ذلك:

ما تقول أقول، من يأتيني أتيه، أيها تشاء أعطيك، تصير هذه الأفعال الأتية: تقول – تأتيني – تشاء – صلة للأدوات التي قبلها، وكأنك قلت الذي تقول أقول، وكذلك بالنسبة لمن وأيها[3]

**مواطن إلغاء الشرط:**

هناك حالات خاصة يمنع فيها عمل الشرط، سنوضحها في مواضيعها و من ضمن هذه المواطن التي لا (يجوز) يحسن الكلام فيها بجزاء هو ورود كلمة "لأفعلن" في الجملة الشرطية نحو ذلك : إن تأتيني لأفعلن ، حيث أن كلمة "لأفعلن" موجودة في صدر الكلام فقبح استعمالها هنا أي أنها تقع مبتدأ في الكلام ونستثني من ذلك إن جاءت بمعنى "لئن" مثال ذلك :إن أتيتني لأكرمنك[4] .

في هذه الحالة .....في معنى "لئن" وبالتالي يجوز أن يجازي بها.

**علة الإعمال على مركبات الجزاء:**

لقد تحدث سيبويه عن أثر دخول العوامل على الجملة الشرطية، كما ذكر بعض الشروط التي تخص عمل أدوات الشرط منها ألا يعتمد ما بعدها على ما قبلها، وتتمثل في "إن – كان– ليس" ومثال ذلك " إن من يأتيني أتيه، و كان من يأتيني

[1] المرجع السابق، ص 64.

[2] شاهد و أصول النحو في كتاب سيبويه ، خديجة الحديثي مطبوعات جامعية ، الكويت ، سنة 1974/1394 ص 160

[3] ينظر المصدر نفسه ص 69

[4] ينظر كتاب سيبويه ص 65–66

أتيه، و ليس من أتيني أتيه[1]، يشير سيبويه إلى أن( دخول هذه الحروف )دخولها (إن، كأن ،ليس)على عناصر الجزاء في الكلام يلغي الجزاء أي هي ملغاة لما توسطت بين الحروف و خبرها فتكون هذه النواسخ التي تتصدر جملة الشرط بمنزلة الحروف العاملة و النتيجة تؤثر في عمل الجزاء غير أنه "إذا شغلت هذه النواسخ بشيء مثل إنه من .....كنت من.....فكأن هذه النواسخ قد أصبحت كالعوض من الحدث (موضع الابتداء ) فيكون الحرف من هنا بمنزلة "اسم الموصول "الذي" كما هو الحال في الجملة الأتية:

" إن / كأن من يأتيني آتيه "

أي تكون غير أصولية مثال ذلك أيضا إن تأتيني أتيه، إن متى يأتني أتيه، في حين أن الجملة الآتية أصولية[2].فالجملة الشرطية بعد دخول النواسخ أشبه المبتدأ، إذا نسبت إليه فقيدت نسبته بفعل أوشبه فعل.

**موضع الابتداء**

يكون الابتداء عندما يكون اسم الشرط مبني في محل رفع مبتدأ مثل الأداة : "من" ويورد سيبويه أمثلة عن ذلك و هي كالأتي[3].

أتذكر إذا من يأتينا نأتيه

أتذكر ما من يأتينا نأتيه

اتذكر أما من يأتينا فنحن نأتيه

لا يحسن النظم هنا لأنه ليس من مواضعه.

**القسم**

يبطل عمل الشرط إذا كان القسم في أوله نحو:

لئن أتيتني لا أفعل ذاك، أما قوله: أنا والله إن تأتيني لا اتيك، لا يحسن الكلام هنا وكذلك المثال "لئن تأتيني لا أفعل "لأن الأخر يكون جزما"[4] فيظهر لنا القسم من بين التراكيب التي تؤثر أيضا على الشرط.

---

[1] ينظر كتاب سيبويه ص 75.

[2] بحوث ألسنة عربية ميشال زكريا، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات بيروت ط 14121، 1992، ط 1 ص23

[3] كتاب سيبويه ص 75.

[4]المصدر السابق ص 84.

**مواضع يصبح فيها عمل الشرط:**

هناك مواطن لا يبطل فيها الشرط ، وذلك عند دخول أدوات تكون لغويا في الجملة كإذ نحو ذلك:

أتذكر إذ من يأتنا نأته ، لأنها تغير ما طرأت عليه[1]

وكذلك بالنسبة للحرف "لا" والظرف حين إذا كانا في بداية الكلام، وهذا يجوز في الشعر ومثال ذلك قول الشاعر:

على حين من تلبت عليه ذنوبه يرث شربه إذا في المقام تدابر

**دخول حروف الجر:**

إذا سبق الشرط بأحد حروف الخفض، فإنه لا يتأثر بها لأن هذه الحروف لا تعمل شيئا في بنيته معنى ذلك أنها "لا تخرج أدوات الشرط عن عملها نحو : عما تسأل أسأل"[2]

أي ما تسأل أسأل يتضمن التركيب معنى الشرط على الرغم من وجود حرف الخفض (الجر)

**الاستفهام:**

ذكر سيبويه بعض الكلام الذي يطرأ عليه تحويلات معينة لا تؤثر في عمل الجزاء ولكن ضمن قيود معينة تتلخص في أن التحويل الشرطي لا بد أن يتم أولا,وأن التحيل الاستفهامي يتم ثانيا وإلا الكلام سيكون غير نحوي و دخول أحد حروف الاستفهام على الشرط لا يؤثر فيه ، فإذا "أدخلت فيه ألف الاستفهام و ذلك نحو : "إن تأتني أتك" : فإنه يبطله[3] أي لا يلغي عمل الشرط.

**الأفعال التي تقع بين الشرط وجوابه:**

لقد تكلم سيبويه عن بعض الأفعال التي توسط بين الشرط وجوابه، كما يأتي حدوثها من حيث أنها تأتي بدلا من فعل الجزاء ويسوق أمثلة تثبت صحة ما ذهب إليه من بينها:

---

[1] المصدر السابق، ص 75.

[2] ينظر : علم النحو ، راجي الأسمر ، دار الجيل ، بيروت ، ط1 سنة 1420 1999 ص 166.

[3] ينظر الكتاب لسيبويه ص 82.

1- إذا تأتيني تسألني أعطك.

**2- قال الشاعر[1] :**

ومن يزال يستحمل الناس نفسه ولا يغنها يوما من الدهر يسأم

ومعنى البيت الشعري أن الذي لا يزال يصبر[2]و يتحمل الأذى من الناس يمل وتتعب نفسه يبين سيبويه في هذه الأمثلة الأفعال التي تأتي في وسط بنية الشرط وتكون مرفوعة.

يمكن القول أن صناعة التراكيب النحوية عند سيبويه التي تتضمن معنى الشرط من خلال الأساليب الإنشائية العربية من مثال: التمني، النهي ، نقوم أساسا على الوصف باستعمال التعليل و التقدير في تحليل الظاهر اللغوية و قياس ما هو دلالي على ما هو نحوي و بناء على ذلك نستطيع أن نقيس جملا لاحصر لها على منوال هذه النماذج التركيبية العربية لكن لا يتم ذلك القياس لإنتاج جمل عديدة مقبولة نحويا و دلاليا إلا في إطار القوانين اللغوية.

وأخر ما يمكن قوله أيضا هنا أن عمل سيبويه كان دائرا في كتابه حول " الكلام الحي مما يجعل النحو الذي بناه مما اصطلح عليه Lucien tisanière ب "النحو الحركي" أو الوظيفية هو نحو يهدف إلى تنظيم الجملة الحية[3]و بهذا فقد وسع هذا النحو من ضوابط اللغة باعتماد مدونة موسعة جدا و مما لاشك فيه أن المادة اللغوية التي لجأ إليها سيبويه في عملية استقراء القواعد النحوية من الشواهد والجمل الواردة في الكتاب أنها مادة غزيرة بالإمكان اعتبارها مدونة ضخمة و ممثلة للغة العربية خير تمثيل.

**3. الشرط عند ابن يعيش :**

سنتناول هنا أدوات جازمة لفعلين وهي أدوات الشرط الجازمة وغير الجازمة التي من خلالها تتم صياغة الجملة الشرطية عند "ابن يعيش" "ت643 هـ) حيث جاء في شرحه في فصل "جوازم المضارع" : (تعمل فيه حروف وأسماء نحو قولك:

[1] صاحب البيت هو زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزنى ثالث فحول الجاهلية و أعفهم قولا و أوجزهم لفظا و أغزرهم حكمة ,كان يهذب شعره حتى سمي بالحوليات.

[2] كتاب سيبويه ص 85.

[3] المصطلح النحوي وتفكير النحاة العرب توفيق قريرة دار محمد علي للنشر، تونس، ط 1، 2003 ص 244.

"لم تخرج" و"لما يحضر" و"ليضرب" و"لا تفعل" و"إن تكرمني أكرمك" و"ما تصنع أصنع" و"أيا تضرب أضرب، و" بمن تمرر أمرر به")[1].

ما نستخلصه من هذا النص أنه لا يكون الجزم في الفعل المضارع، إلا إذا تعين لواحد من المعاني بلبها، فمن عرفها ارتفع بمعرفة أهمية قواعد اللغة العربية في نحو تراكيبها وهذه المعاني تتمثل في ما يلي:

**أولا: معنى المضي:** وذلك إذا أدخلت أداة النفي "لم" و "لما" على الفعل المضارع كما ورد في المثال السابق "لم يخرج" نفي للفعل: خرج، و "لما يحضر" نفي للفعل: يحضر.

**ثانيا: معنى الطلب:** و يكون ذلك عندما تدخل أدوات على الجملة مثلا: لام الأمر، ولام الناهية، وهذا ما نستشفه من خلال المثالية السابقين في النص، وعليه فإن لام الأمر التي تقدمت الفعل المضارع "يضرب" تدل على طلب فعل شيء أما المثال الثاني "لا تفعل" نلاحظ أنه سبق بـ : الناهية التي يطلب بها الكف عن العمل.

**معنى الشرط:**

إذا تقدمت الجملة أداة الشرط مثل "إن تكرمني" عبارة الشرط و"أكرمك" عبارة الجواب ومثله ورد في اسمن الشرط "ما".

أما في المثال السابق فقد سبق اسم الشرط "من" حرف خفض و هو "الباء" لكنه لم يؤثر في معناه، لأن حرف الجر كما سبق أن درسناه عند "سيبويه" لا يخرج عن عمله، لذا فغن الفعل "تمرر" عبارة الشرط و"أمرر به" عبارة الجواب.

ما نلاحظه عن حرف الشرط "إن" و أسماء الشرط (ما) (من) (أي) أثرت في أفعال الشرط و الجواب تأثيرين وذلك أن (إن) نقلت الفعل إلى معنى الشرط والإستقبال وإن جاء الفعل مضارعا.

ففي كافة هذه الأمثلة أدوات تبعها فعل مجزوم، غير أنها تختلف من المعنى، كما أن أدوات الشرط مثل حروف النهي، والأمر من حيث تعمل هي الأخرى في الأفعال حركة الجزم الذي لا يكون في الاسم وإنما في الفعل.

---

[1] شرح المفصل للزمخشري، لابن يعيش، قدم له، ووضع هوامشه، د/إميل بديع يعقوب، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط 2011/1422 ، ص 263.

من بين أدوات الشرط التي تجزم فعلين الأداة "إن" التي تدخل على عبارتين، العبارة الأولى الشرط والثانية جوابها، فتربط إحداهما بالأخرى و تصيرهما كالجملة الواحدة نحو: إن تأتني أتك"[1]

وقد أشار "ابن يعيش" إلى المعاني التي تستخدم فيها هذه الأداة و هي : المعاني المحتملة المشكوك في وقوعيتها، و لذلك لا تستعمل في نحو هذه الأمثلة :"إن أحمر البصر كان كذا" و"إن طلعت الشمس آتيك"[2]

لا يجوز استعمال "إن" في هذه المعاني لأن الشرط في الأول و الثاني "واقع وواجب أما الثاني فممتنع"[3] وكون احمرار البسر، أو طلوع الشمس يقع في الغالب ولا يجوز تعليق وقوعها أو عدمها، كما أنها خارجة عن إرادة الإنسان، مثال ذلك: كما جاء في شرح الرضي: "وتقول من ذلك: "إن مت فاقضوا ديني، وإن كان موته كائنا لا حالة فهو من مواضع "إذا" إلا أن زمانه لما لم يكن متعينا"[4].

نفهم من هذا القول أن الأداة "إن" تستعمل للشرط لأنها أم الحروف إلا أنه من الأفضل استعمالها في المعاني التي تفيدها، ففي المثال السابق يجوز استعمال "إذا لأنها تفيد المتيقن بوقوعه فعلا.

لقد بيّن "ابن يعيش" من خلال الأمثلة السابقة، أنه يوجد أداة تجزم فعل الشرط والجواب وهي "إن الشرطية" ويلحق بها أدوات أخرى، وتعتبر هذه الأدوات فرعا منها و"ليس لها في الجزم أصالتها و قدرتها، لأن "إن" الشرطية لا تفارق معنى الشرط كيفما استعملت، أما الحروف الأخرى من مثل: من، ما ....إلخ فهي لواحق لأنها تتغير فتارة تكون للاستفهام أو اسم موصول و بعضهما يكون ظرفا[5] و معناه ذلك تعتبر "إن الشرطية" هي الأصل لأنها تحمل معنى الشرط في كل الأحوال بالإضافة

---

[1] ينظر : الشرط في القران الكريم على نهج اللسانيات الوصفية، عبد السلام المسدي، محمد الهادي الطرابلسي، الدار العربية للكتاب ، ليبيا – تونس سنة 1985 ص 21 .

[2] معاني النحو، د/ فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة و النشر، ط 1 2000/1420، ج4 ، ص 70.

[3] ينظر: شرح الفية بن معطي، تج : د/علي موسى الشوملي، دار البصائر الجزائر، ط 1، 2007، ص 311.

[4] معاني النحو ، المرجع السابق، ص 70.

[5] ينظر المغني الجديد في علم النحو ، محمد خير حلواني دار الشرط العربي – لبنان– بيروت ، سورية حلب طبعة جديدة ،1424 ،2003 ص66.

إلى علامة الجزم في آخر فعل الشرط وقد وضح "ابن يعيش" معنى الشرط الذي تتضمن أدوات الشرط في المبنيات من فصل الاسم حيث قال :

"أما الأسماء فإحدى عشر اسما فيها معنى "إن" لذلك بنيت وهي بين: أسماء وظروف فالأسماء من وما مهما وأي "الظروف "أني أين متى حيثما وإذ ما و إذا ما" فكلها تجزم ما بعدها من الأفعال[1]، إلى جانب هذه الأداة أي "إن الشرطية" توجد أسماء الشرط أخرى تتبع مواطن حضورها في المعنى منها ما هي أسماء و ظروف مبنية ماعدا "أي" فهي معرفة و تناولها "ابن يعيش" وفقا للتقسيم النوعي منها حروف و أسماء و ظروف و تفصيل ذلك يشتمل على الآتي ذكره:

**أ- أسماء الشرط :**

قد خص "ابن عيش" كل ضرب من التقسيم النوعي لهذه الأدوات بتعريف قصد منه بيان خصوصياته ومميزاته سنحاول تبيانها في ما يأتي:

**الأداة من:** تكون هذه الأداة لمن يعقل كما أنها تجزم فعلي الشرط[2] نحو قوله تعالى: "....وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ "[3]أي تكون من للعاقل وهي اسم شرط جازم.

**ما :** تكون لما لا يعقل[4] نحو ذلك قوله عز وجل: "ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها"[5]

هذه الأداة تجزم فعل الشرط لكنها في الآية الكريمة ربط جوابها بالفاء وهو جملة اسمية، وما تكون لغير العاقل أي مما لا يعقل.

**مهما:** تعتبر مهما من أدوات الشرط الجازمة تستخدم فيها استعمال "إما" لغير العاقل ومثال ذلك قوله تعالى : " وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن

---

[1] شرح المفصل للزمخشري ، موفق الدين ابن يعيش قدم له إميل بديع يعقوب ، منشورات محمد علي بيصنون ط1 ، 2001/1422 ص 266/265 دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ج 4 ، ط1 .

[2] المصدر نفسه (شرح المفصل للزمخشري ح 4 ، ص 266

[3] الآية (25) من سورة الحجّ.

[4] المصدر نفسه ص 226.

[5]سورة فاطر الآية 2.

لك بمؤمنين"[1] لقد أفادت مهما هنا معنى الشرط، وكانت مشتملة لمعنى الحرف وعود الضمير إليها يدل على اسميتها.

يتبين من خلال ما ورد[2] هنا أنه يوجد تباين حول هذه الأداة فالبعض يعتبرها حرف و الأخر يعدها اسم لعود الضمير إليها كما جاء في الآية الكريمة و الغالب في رأينا أنها مركبة و تؤدي معنى الشرط إذا وردت في السياق الشرطي.

**أيّ:** تعتبر هذه الأداة اسم مقفل أي مبهم، وهي في بعض ما تضاف إليه.

إن أضفتها إلى الزمان فهي زمان، وإن أضفتها إلى المكان فهي مكان[3].

والمراد من ذلك أنها تكون بحسب ما تضاف إليه و يجازى بها "كأخواتها مضافة ومفردة تقول: أيهم يأتي أية، وأيهم يحسن إلي أحسن إليه"[4]

ومعناه يمكن أن تضاف إلى غيرها أو أن تكون مفردة

**الأداتان إذا – إذ:**

وهما من الظروف الزمان المبنية فـ "إذ" لما مضى وإذا هي "ظرف" للمستقبل مضمنة معنى الشرط غالبا ومن ثم وجب إيلاءها الجملة الفعلية وقد تضمن معنى الشرط بل تتجرد للظرفية المحصنة وتلزم إذا الإضافية إلى جملة صدرها فعل سواء كان مضارعا أم ماضيا"[5]

وبما أنهما ظرفان فهما "مضافتان" إلا أن "إذ" تضاف إلى كلتا الجملتين و أختها لا تضاف إلا في الفعلية"[6] أي كليهما يلزم الإضافة إلى جملة إما اسمية أو فعلية غير أن "إذ" تضاف إلى الجملة الاسمية و الفعلية معا ، أما "إذا" فتختص بالدخول على الجملة الفعلية و قال ان هشام : إبلاؤها الماضي أكثر من المضارع مثال ذلك: قوله تعالى: "فإذَا دَخَلْتُم بُيُوتاً..."[7] ما نخلص إليه أن الأداة إذا تتنزل منزلة إذ و تفيد

---

[1] الآية 132 من سورة الأعراف

[2] المصدر السابق ص 226

[3] المصدر نفسه ص 269

[4] المصدر نفسه ص 269

[5] لغة القران الكريم في سورة النور، دراسة في التركيب النحوي، صبري إبراهيم السيد ، دار المعرفة الجامعة إسكندرية 1994 /1414 ص 333.

[6] شرح المفصل لابن يعيش ، ج3 – ص 120

[7] سورة النور الآية 61 .

معناها من حيث الدلالة على الزمن كما يجب أن تضع كل أداة من هاتين في سياقها اللغوي المناسب لتعدد معانيها ووظائفها وهناك مسألة أخرى ...بها سبق أن ذكرناه من قضايا نحوية و تمتد منها وهي التي يقصد فيها "ابن عيش" بتوضيح المواطن التي تستعمل فيها "إن الشرطية" الظاهرة أو المضمرة ويحذف بعدها الشرط ويقوم غيره مقامه، وتكون "إن ظاهرة نحو قولك: "إن تكرمني أكرمك"[1] وقوله تعالى: " إن تنصروا الله ينصركم" وأما عملها مقدرة ومضمرة فبعد خمسة أشياء هي: الأمر، النهي، الاستفهام، العرض، التمني"[2].

والمقصود أنه يحذف الشرط و يفهم من خلال مضمون الكلام أو بعبارة أخرى يجوز إضمار أو تقدير الأداة "إن" الشرطية الدلالة السياق عليها لأننا نلمس فيها معنى الشرط أي هي تراكيب تبرز في عمقها حقيقة الشرط و تثبت معناه ضمنيا و ما قصده ابن يعيش هنا هو تبيان بنى سطحية تتضمن في نسيبها اللغوي معنى الشرط.

**أسماء ظروف المكان منها:**

**1- أنّى:** أداة يستفهم بها لأن "أصلها للاستفهام"[3] تستعمل في معان و هي معنى المكان "بمعنى من أين و تارة أخرى بمعنى كيف نحو قوله تعالى:"أنّى لك هذا" أل آل عمران (37) و قوله تعالى أيضا "أَنَّى يكُونُ لِي وَلَد" ال عمران (47)، كما يكافى بها مثل: أنى تكن أكن"[4]

**2- أين :** هي اسم من أسماء "المكان مبهم ، يقع على الجهات الست، و كل مكان يستفهم بها عنه، مثل "أين بيتك" ، "أين زيد" كما تنقل إلى الجزاء نحو "أين تكن أكن"[5]أي تستعمل للاستفهام ، تستعمل أيضا للجزاء فيكافى بها في الشّرط ، وهي تدلّ على المكان.

---

[1] الآية 7 من سورة محمد

[2] شرح المفصل للزمخشري ابن يعيش ص 264

[3] المصدر السابق ، ص 269

[4] المصدر نفسه، ص 269

[5] المصدر نفسه، ص 269

**3- حيثما** :ظرف مكان "مبهم و ذلك لأنها تفتقر إلى جملة بعدها توضحها، وهي تقع على الجهات الست، كما أنها تنزل منزلة أين في الجزاء، فتقول: حيثما تكن أكن"[1]، وهذا معناه أنها أداة شرط تحتاج إلى مكان يوضحها ويكشف عن معناها أي تحتاج إلى وجود جملة ثانية تكملها، وأصل هذه الأداة حيث ضم إليها الحرف (ما) فصارت مركبة (حيثما) وهو ما سبق أن ذكرناه في الشرط عند سيبويه.

ج- أسماء ظروف الزمان ومنها:

1- **متى** : وهي اسم من أسماء الزمان، "ويستفهم بها نحو : "متى تقوم" ونحو قول الله تعالى : "و يقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين" النمل :71

كما يجازي بها في الشرط [2]

ومثال ذلك قول الشاعر :

متى تأتينا تلمم في ديارنا تجد حطبا جزلا و نارا تأججا

ومعنى البيت الشعري: أنهم يوقدون غلاط الحطب لتقوى نارهم فتأتي إليها الضيفان من بعيد فيقصدونها[3].

لقد ورد في هذا البيت أداة الشرط "متى" جزمت فعلي الشرط "تأتنا" و لهذا جزم تابعا له. ويجوز أن نضم إلى "متى" الحرف "ما" وذلك عندما نريد أن ننقلها إلى الجزاء مثل "متى ما تذهب أذهب"[4].

وقد تضاف إلى "إذا" حرف "ما" وبانضمام هذين الحرفين يصبحان كلمة واحدة مركبة تؤدي معنى داخل الجملة، كما "جعل النحاة الأداتين" "إذ ما" و"إذا ما" بمنزلة "متى" و"إنما" و"كأنما" مثل: إذ ما تأتني آتك" و"إذا ما تحسن إلي أشكرك"[5].

وثمة مسألة ثانية تتصل بمسألة أسماء الشرط وتمتد منها، وهي التي يعني فيها "ابن يعيش" بأصناف الحرف وهما : حرفا الشرط "إن ولو" حيث قال فيهما: "إن ولو

---

[1] المصدر السابق، ص 271

[2] المصدر نفسه ، ص 270

[3] الكشاف عن حقائق التنزيل ، و عيون الأقاويل في وجوه التأويل محمد بن عمر الزمخشري حققه محمد الصادق فمحاوي، ج 1 (د،ط) ص 255

[4] شرح المفصل للزمخشري ، ابن يعيش ، د/ إميل بديع ص 271

[5] المصدر السابق، ج4، ص 271

تدخلان على جملتين فتجعلان الأولى شرطا، والثانية جزاء كقولك: "إن تضربني أضربك"، ولو جئتني لأكرمنك"، وتتميز "إن" عن "لو" في كون "إن" تجعل الفعل للاستقبال، و"لو" تجعله للمضي[1]، ومعناه أن الحرف "لو"، إذا أفادت معنى الشرط فإنها تعلق الجواب على الشرط في الماضي، وهذا بعكس "إن الشرطية" التي يكون التعليق بها مستقبلا لدلالتها على وقت ماضي دون شيء أخر.

ويفرق ابن يعيش بينهما حيث قال: "وأما" "لو" فمعناه الشرط أيضا، لأن الثاني يوقف وجوده على وجود الأول، فالأول سبب وعلة الثاني، كما كان كذلك في إن، إلاّ أن الفرقين بينهما، أن "لو" لوقف وجود الثاني بها على وجود الأول، فكأنه امتنع وجود الثاني لعدم وجود الأول"[2].

معنى ذلك أن الأداة "لو" هنا تفيد الربط بين جملتي الشرط و الجواب لتدل على امتناع وقوع الحدث الثاني لامتناع وجود الحدث الأول ، فحين يمتنع الشرط يمتنع الجواب.

**الأداة لولا:**

تدخل لولا على جملتين أحدهما فعلية والأخرى اسمية و لكن جملتها الاسمية غير تامة نحو: "لولا الإسلام لما اهتدينا" مما دفع النحوين إلى القول بحذف الخبر بعدها، وقد لفتت هذه الظاهرة انتباه "ابن يعيش" إذ وجدناها بارزة بوضوح في قوله أثناء تفسيره بعض الظواهر النحوية التي ارتبطت بظاهرة الإيجاز أو الحذف، وأرجع ذلك التغيير الذي حصل على الألفاظ إلى كثرة الاستعمال وفي ذلك قال ابن يعيش: حذف خبر المبتدأ من الجملة الأولى لكثرة الاستعمال حتى رفض ظهوره و لم يجز استعماله[3]، كما أن الملاحظ في قوله أنه قصد بكثرة لوظيفه أنه صار معلوما مع لولا لأنها دالة على امتناع لوجود و المدلول على امتناعه هو الجواب والمدلول على وجوده هو المبتدأ فصح الحذف.

---

[1] المصدر السابق ، ج5، ص105

[2] التعبير الزمني عند النحاة العرب منذ نشأة النحو العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، عبد الله بوخلخال، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، ج2 ، ط1 (د ت) ، ص 186

[3] دراسات في ظواهر نحوية عبد الرحمن فرهود وسعد خلف العوادي تقديم فاخر الياسيري، جامعة البصرة – العراق ط 1 ، 2010/1431 م دار الحامد عمان – الأردن ، ص 16

يعد العمل الذي أنجزه "سيبويه" و"ابن يعيش" كنز معرفي لا ينصب طوال الزمن ذلك أنها بصرا جل الدارسين والباحثين بضرورة الاعتراف من الضوابط النحوية وتطويرها بربطها بمستويات اللغة العربية كالمستوى الدلالي والبلاغي والصرفي، وكذلك بيتا فائدة الاستعمال اللغوي الفصيح والصحيح لهذه القواعد النحوية و ذلك لأجل تقويم ما جرى على ألسنة الناس من لحن، وقد عبرا عن ذلك من خلال مقتطفات من نماذج عربية مستقاة من مصادر متنوعة من مثل النصوص الشرعية و كلام العرب من فنون الأدب.

**5. الشرط عند الأصوليين:**

على غرار اهتمام النحاة العرب بالجوانب اللفظية والوظيفية في دراستهم اللغوية برزت طائفة قدمت آراء كثيرة في النحو والدلالة، وهي طائفة الأصوليين منذ أن برز هذا العلم ينافس سائر العلوم في التراث العربي الإسلامي، وتتضح مناهجه ومذاهبه في فهم النصوص الشرعية وتفسيرها في ضوء مناهج اللغة العربية وأحكامها، مستفيدين من أقوال نحاة البصرة والكوفة، وقد ركز الأصوليون على أبواب عديدة من النحو في مؤلفاتهم على شتى مذاهبهم من مثل : الشافعية، الحنفية، وغيرهم فقد درسوا معاني الحروف ووظائفها وطرق الدلالة، والمخصصات اللفظية المتصلة للعموم كالاستثناء والشرط والسببية، والغاية والعلة وغير ذلك.

سنعالج هنا نظرية الأصوليين لجملة الشرط، ذلك لأن النظرية التي انطلق النحاة منها لتحليل هذه الجملة لا تكتمل إلا بالنظر إلى ما قاله الأصوليون بشأنها، من بين الأصوليين الذي سنطرق باب بحثهم النحوي في قضية الشرط نذكر: ابن قيم الجوزية الذي يسعى للكشف عن الروابط بين دراسة النحو والمعنى واستطاع الوقوف على أهم الروابط بين الجملتين، ثم بعدها ننقل إلى تخصيص الحديث في أصولي آخر تناول هذه القضية وهو " ابن السبكي" .

**الشرط عند ابن القيم الجوزية:**

من بين الاهتمامات اللغوية لدى الأصولي " ابن قيم الجوزية" ( ت: 751هـ/1349م) تستوقفنا قضية هامة أثارها في مسائل الروابط، ويعني بها

الحروف والأسماء، فقد قسمها إلى لأربعة أقسام، وتفصيل أقسام هذه الروابط في ما يلي:

روابط توجب التلازم المطلق بين الجملتين كما هي مبينة في الرسم التخطيطي الآتي:

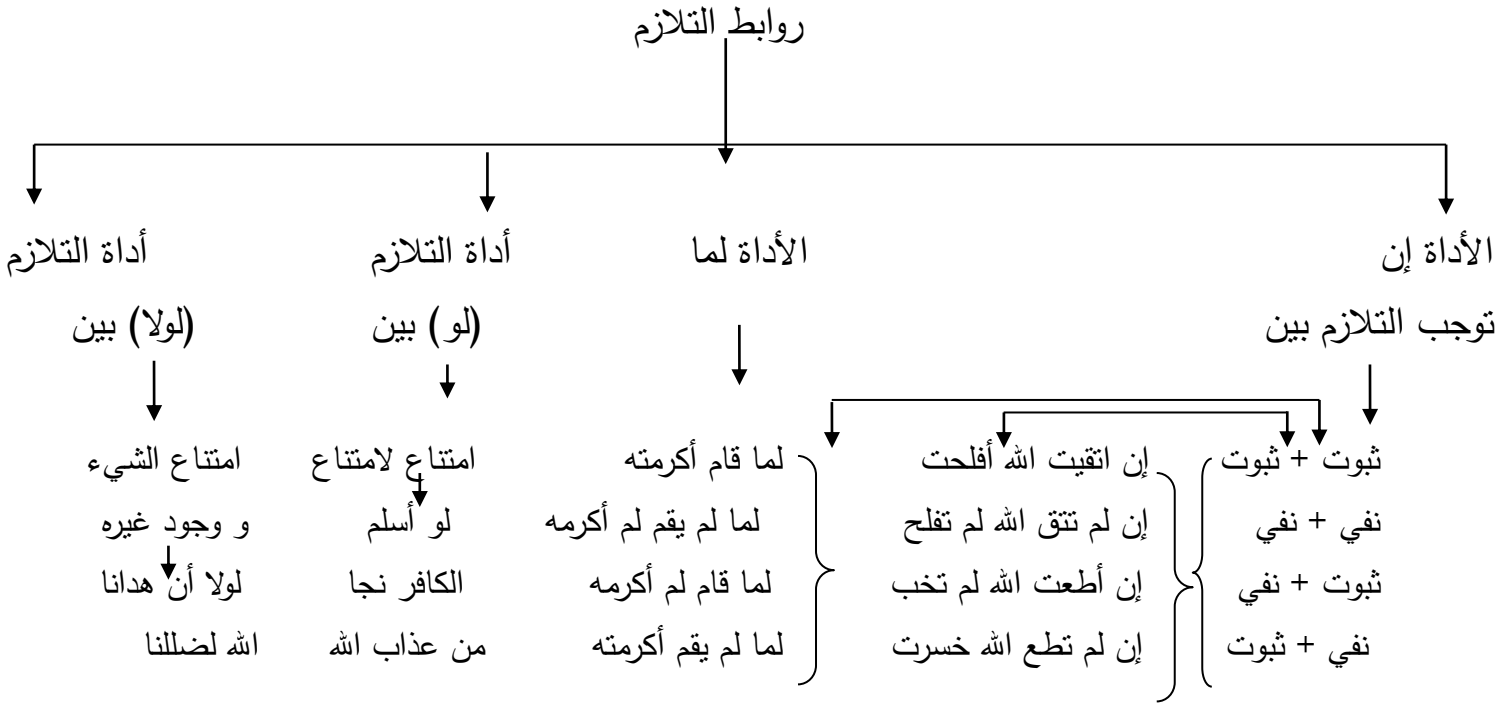


من خلال هذه الترسيمة لمخطط روابط التلازم يقدم "ابن القيم" وصفا لجمل مركبة تتفق في المبنى وتختلف في المعنى باستعمال روابط التلازم التي من خلالها تراكيب تبرز في عمقها المثبت حقيقة والمنفي، وهي كأنها محولات نقلت صيغة الشرط من إثبات إلى نفي وما قصده ابن القيم لا يدخل ضمن المحور الاختياري الذي يكشف لنا كيفية الانتقال من الإثبات إلى النفي بوساطة وجدات صرفية من بينها "لم" الذي تفيد النفي والقلب والجزم كأنها محولات نقلت الصياغة من حال الإثبات إلى حال أخرى وهي النفي فهذه التراكيب المحولة هي بنى سطحية نسج "ابن القيم" خيوطها لبرز لنا ثنائية الصراع بين المبنى والمعنى النحو و(الدلالة) وعلاقته بالدلالة، كما أن هذا التفريع المتميز لروابط التلازم ينبني عن وعي معرفي، وسبر عميق لجوهر حقيقة البنية التركيبية والدلالية في الشرط، وذلك بغية حصر الخصائص والسمات التي أخذت كمعايير دلالية تنتظم وفقها الروابط اللغوية المتكونة من حروف التي غدت في تراثينا العرفي حقلا ألسانيا هاما يغطي مجالات

معرفية شتى من المفاهيم تتعلق بصيغة الحدث وبزمانه وهيأته، كما تتعلق بالوحدة الإسنادية للتركيب اللغوي، وبدلالة الخطاب طبقا لنسقه.

وجميع هذه الروابط تشترك في أداء دلالات متنوعة التي تتحدد مع نسق الخطاب ونوعه فمثلا إن لم تطع.....وإن أطعت الله لم ..مع نسق الخطاب الخبري، تفيد دلالة نفي + ثبوت ثم نفي + ثبوت.

والحقيقة إ، أمر "الروابط التلازم" توجه " ابن القيم" إلى الحديث عن عشرة مسائل نحوية تمتد منها، أضف إلى ذلك تحدثه عن ظواهر تركيبية في جملة الشرط وجوابه التي تنبثق منها دلالات مختلفة، تؤدي إلى الإنتاج والإدماج بين دلالات متعددة، سنعالج البعض من هذه القضايا باختصار وهي كالآتي:

**أولا:** تعلق الشرط بالجواب من حيث الدلالة على الزمن، وعناه أن الشرط لا يتعلق بالجواب إلا بالمستقبل، " فإن كان ماض اللفظ مستقبل المعنى"[1]،أي يرد الفعل بعد أدوات الشرط دالا على الاستقبال، وإن كان بصيغة الماضي.

**ثانيا:** المواطن التي يرد فيها فعلا الشرط والجواب ماض اللفظ والمعنى ليطبق السؤال الجواب، معناه أن ترد الجملة الشرطية تعليقا متضمنا جوابا لسائل في المعنى وهذا يسمى التعليق الخبري مثل: قوله عز وجل: " إن كنت قتلته فقد علمته" المائدة من الآية 116. فهذا الشرط دخل على ماضي اللفظ والمعنى معا[2]، لكن يوجد حالات أخرى لا يستلزم فيها التعليق بين الشرط والجواب بالمستقبل، ولا يكون المراد من جملة الشرط الإثبات في المستقبل، وإنما يكون المقصود ما يدل عليه الكلام من معاني تفهم من خلال السياق اللغوي، ومثال ذلك قول الرسول (ص): إن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه"[3].

ويعني ذلك أنه إن صدر منك خطأ كبير في وقت مضى فتوبي الآن.

أما عن التعليق الوعدي فإنه يلزم الاستقبال نحو قوله تعالى: " إن كان قميصه قد من قبل فصدقت...." يوسف الآية : 26-27.

---

[1] بدائع الفوائد، ابن القيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ص 105.

[2] بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية ض: أحمد عبد السلام، دار الكتاب العلمية، ص 39.

[3] المصدر نفسه، ص 39.

**ثالثا:** مما يدخل في صميم المعنى أن الرابطة الشرعية "إن" لا يعلق عليها إلا محتمل الوجود أو العدم، كأن تقول: إن تأتني أكرمك، ولا يعلق عليها محقق الوجود، فمثلا لا نستطيع القول: " إن طلعت الشمس أتيتك" أنما نقول "إذا طلعت الشمس أتيتك[1].

ومعنى ذلك، كل أداة لها خصوصيتها ووظيفتها في أداء المعنى داخل وخارج التركيب اللغوي، ففي المثال السابق "طلوع الشمس" أمر متيقن، ويتحقق وجوده كل يوم، والنص هنا قطعي الدلالة على الحكم المراد وهو أقوى من الظاهر في الجملة المصدرة بـ أن ومؤيد للقصد بحكم وجود الشمس كل يوم تطلع فيه، لهذا يعتمد ابن القيم في تفسير الشرط على البنية الدلالية فهو يريد نوعا من الآلية الدلالية (ميكانيزم دلالي) لتكون أعم في نوعيتها ووظيفتها"[2]، وهذا يدل على إلمامه بالجانب النحوي والدلالي معا في تفسير النص مهما يكن.

**رابعا:** يتعلق "بالشرط المحقق أي يحدث وجوده وثبوته أو الممتنع يستحيل تحقيقه مثل قول تعالى: قال إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين" الزخرف: 81.

ومنه قد تعلق الشرط بفعل محال فيلزمه محال آخر[3].

المقصود من ذلك أن الربط بالشرط يستلزم أمرين: لازم وملزوم، فإن كان اللازم منتف ومحال، فالملزوم كذلك.

**خامسا:** لقد تناول ابن القيم ظاهرة تركيبية تتمثل في دخول الاستفهام على الشرط نحو قوله تعالى: " أَفإِنْ مِتَّ فَهُم الخَالِدُون"[4]، ولقد اختلف في مسالة التقدم الاستفهام على الشّرط، وهل يعتمد على الجزاء ويكون بمنزلة القسم[5].

**سادسا:** من المسائل اللغوية التي ناقشها ابن القيم قضية قرينة الرتبة في التركيب وهي ظاهرة أسلوبية تطرأ على تركيب الشرطي التي تتمثل في التقديم والتأخير. فبين

---

[1] المصدر السابق، ص 39.

[2] جملة الشرط عند النحاة والأوليين العرب في ضوء نظرية النحو العالمي لتشومسكي، دار مازن الوعر، مكتبة لبنان، ناشرو الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ص 29-30.

[3] ينظر، بدائع الفوائد، ابن القيم الجوزية، ضبطه، أحمد عبد السلام، ص 41.

[4] الآية 34 من سورة الأنبياء.

[5] ينظر المصدر نفسه، ص 42.

خلافات النحويين الدائرة حول تصدير الجواب على الشرط أو عدم تصديره، كأن تتقدم أداة الشرط جملة يصح أن تكون أجزاء، ثم ذكر فعل الشرط وحذف له الجواب، ومن بين البصريين الذي ذكرهم نجد " ابن السراج" ( ت: 720 هـ) الذي يرى " أن الجزاء محذوف حيث يحصل الاستغناء عنه بفعل المتقدم"[1].

وفي هذا الصدد يقول " خالد السبكي" موضحا هذه الفكرة: " ثمة فجوات تتخلل النصوص، وتلك الفجوات هي التي تساعد على تحلية الجوانب المسكوت عليها، فالخطاب يمثل عملية تكون من وراء إخفاء بعض المكونات والسكوت عنها وإبراز أخرى"[2].ولهذا فالنص يحتاج إلى التأويل الذي يعمل على ملء تلك الفجوات بما يتلاءم مع روح الخطاب ومقتضيات أحوال التخاطب.

وهذا كثيرا ما يحدث في الشعر، وذلك لأجل الضرورة الشعرية أ, لغرض الإيجاز أو الاختصار، هذه الفكرة وما رافقها من أراء تدعو إلى تجسير الفجوة بين الكلمات المحذوفة ومقتضيات الأحوال.

إضافة إلى ما سبق ذكره وهو اصطلاح تأويل ما حذف من عناصر الجملة لحذف الجواب.

**سابعا:** من القضايا التي عالجها أيضا مسألة نحوية هامة تنصب على فائدة الربط بالحرف " لو" الذي يقتضي أمران أحدهما: أنها " تجعل للربط بين شيئين لتعلق ماض بماض"[3]، أي تعقد الصلة بين عبارتين (عبارة الشرط والجواب) في زمن الماضي.

**ثامنا:** أما الأمر الثاني فيتطلب الربط بـ " لو" قضيتين " فإذا دخلت "لو" على القضية الأولى التي تكون مثبتة، والثانية أيضا تكون مثبتة نفتهما، وإن دخلت على قضيتين منفيتين أثبتتهما"[4].

---

[1] ينظر، الأصول في النحو، لابن السراج، تح: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ج2، ط1، 2009/1430، ص47.

[2] النص والتأويل ( دراسة دلالية في الفكر المعرفي التراثي، منقور عبد الجليل، ديوان المطبوعات الجامعية، سنة 2010/ ص 156.

[3] ينظر، بدائع الفوائد، ابن القيم الجوزية، ص 44 .

[4] المصدر نفسه، ص 44.

**تاسعا:** لقد عالج ابن القيم ظاهرة تركيبية معقدة وهي دخول الشرط على الشرط الثاني الطي يؤدي إلى تعدد المعاني، فهو يرى أن الشرط الثاني تارة يكون معطوفا على الأول وتارة يعطف على الفعل مع الأداة. فمثال غير المعطوف: " إن قمت إن قعدت فأنت طالق، ومثال المعطوف على فعل الشرط وحده: " إن قمت وقعدت، ومثال المعطوف على الفعل مع الأداة: إن قمت وإن قعدت"[1]. غير أن لفظة طالق في المثال السابق ' تحمل على معانيها العرفية لا اللفظية حين صدور لفظة التطليق' والعبرة دائما بالعرف القائم حين صدور مثل تلك التصرفات من أصحابها' لأنّه هو الذي يعين مراد المتكلم, ولكن إذا تغير العرف في مفاهيم تلك الألفاظ والتراكيب الشرطية ' فلا عبرة حينئذ للعرف الحادث في تفسير التصرفات الواقعة في ظل العرف القديم. فالنصوص الشرعية _مثلا_ يجب أن تفهم حسب مدلولاتها العرفية عند صدور النص التشريعي، لأنها مراد الشارع'ولا عبرة لتبدل مفاهيم الألفاظ في الأعراف الزمنية المتأخرة، وإلا لم يستقر للتشريع معنى, ولا لأحكامه الفقهية تطبيقا.

**عاشرا:** " وهي المسألة التي تكلم فيها الفقهاء عن دخول الشرط على الشرط بلا عطف، واختلف فيها من حيث التقديم والتأخير، أي تقديم المؤخر في اللفظ بأن يكون مقدما في المعنى"[2].

وذلك نحو: " إن صليت إن توضأت "لا يصح في هذا المثال أن يقدر إن صليت متوضئا، اي يكون موقعا للوضوء"،[3] كما أن فعل الشرط الأول "صليت" وفعل الشرط الثاني " توضأت" مختلفان في المعنى خاصة المعنى الشرعي لأن الوضوء سابق للصلاة وشرط لها، ولا يمكن أن يجتمعان في العادة أي في طبيعة معناهما المعجمي خاصة من الناحية الدلالية، كما يستحيل تقديره أو تأويله بمصدر الفعل الثاني.

---

[1] ينظر : المصدر السابق، ص 50.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص 50.

[3] ينظر: الأشباه والنظائر للسيوطي، وضع هوامشه غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط2 ، 20007/1428، ص 86-87.

**إذا الظرفية الشرطية:** من الفوائد التي ذكرها ابن القيم الأداة "إذا" والأداة "إذ" ومثال ذلك " إذا أكرمك".

ولقد اختلف في تصنيف "إذا" و "إذ" في هذا الأسلوب، فمنهم من يعدها حرف أو اسم والآخر ظرف، وفي هذا يقول السهيلي: " هي عندي إذ الظرفية الشرطية خلع منها معنى الاسمية كما فعلوا ذلك بـ "إذ" وكاف الخطاب وبالضمائر المنفصلة، وكذلك فعلوا بإذا إلا أنهم زادوا فيها التنوين"[1].ومعناها أن الأداتين "إذا" و"إذ" يشتركان في الاسمية والحكم بتسميتها لمساوتها الأسماء في قبول بعض علامات الاسمية كالتنوين والإضافة، وذلك في نحو قوله عز وجل: " ولا ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون"[2]. سورة الزخرف : 33-39.

يفسر ابن لقيم " هذه الآية الكريمة بأنها تحمل معنى الشرط حيث ربط الظلم بعدم الانتفاع يوم القيامة، وجعل الأداة " إذا" حرف يفيد معنى الجزاء.

لكن الأداة " إذ" في الآية الكريمة أتت بمعنى التعليل فـ "إذ" تكون أيضا " حرفا للتعليل"[3].وتحليل ذلك : أن " إذ" تفيد معنى التعليل المستفاد من السياق اللغوي وهي حرف مبني على السكون لا محل له من الإعراب، وجملة " ظلمتم" في محل جر بـ " إذ" التعليلية. ومن جملة ما سبق يتضح أن "ابن القيم "كان ينظر إلى الصور اللفظية ذات الروابط المختلفة التي يعرضها التركيب الشرطي على أنها كموصلات حاملة للمعنى المراد تحقيقه " إذ تعمل الروابط كدليل للتفسير، ومن خلال تقليل جهود المعالجة وتوجيه عملية اكتشاف التأثيرات السياقية، فإنها تضمن بشكل فعال ملاءمة للخطاب ومع ذلك فقد رأينا أنه إذا كان من شأن وجودهم أن يسهل مهمة المخاطب، فإنهم غير كافيين بمفردهم لضمان إمكانية تفسير البيانات وأهميتها. من خلال الإصرار كثيرا على الدور الأساسي للروابط، ربما نسينا أنها كانت فقط

---

[1] بدائع الفوائد ، ابن القيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ط)، ص 97.

[2] المصدر نفسه، ص 97.

[3] النحو العربي، ما يدور بين الحرفية والفعلية والاسمية في لغتنا العربية، علي محمود النابي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ( د.ط) ، ص 13 .

علامات ذات محتوى إجرائي: في خدمة معالجة المعلومات، والتي يجب أن تكون متاحة "[1].

أي يجب على الدارس أن يبحث عن الانسجام داخل الخطاب بعد العثور على أدواته التي تساهم في الربط بين أفكاره وتسلسله وفق السياق الذي ترد فيه. يعد انسجام الخطاب متحققا في داخله.

**6. الشرط عند ابن السبكي :**

لقد استهل الأصولي " ابن عبد الكافي السبكي" ( ت 773 هـ) كتابة الأشباه والنظائر" بمقدمات كلامية عربية ينبني عليها فروع فقهية منها هذه المصطلحات الأصولية الآتية:

الشرط، السبب والعلة، واتبع منهج علمي، عرض فيه آراء الفقهاء والعلماء من الأصوليين من بينهم: أبي حنيفة رضي الله عنه: "الغزالي "ابن السمعاني" وغيرهم، حيث وضح اختلافهم في قضايا أصولية تخرج عن الأصل الذي عهدناه من بينهما: قضية الفرق بين الشرط والسبب وساق أدلتهم في ذلك الشأن، ولا نكاد نعثر للأصوليين تمييز مبين وجلي يجسد الفرق بينهما، لأن مقصدهم الوصف الذي ترتب بعد الحكم وله مدخل فيه.

وسنعرض هنا عرض موجز يحصر أهم المسائل النحوية التي تعرض لها هذا الأصولي والتي تخص المحتوى المعرفي لهذا البحث العلمي الذي يخص مسالة الشرط والسب، ويكون ذلك من عرض بعض آراء الفقهاء الذين جادلهم " ابن السبكي" لأن المقام لا يسعنا بعرضها كلها، ونحاول ربطها بالجانب اللغوي الذي يهمنا ومن بين هؤلاء الذين خصوا بالدراسة هذه المسألة في كتابة: " ابن السمعاني" الذي اعتبر أن التمييز بين الشرط والسبب هو علامة على الحكم من غير تغييره:

[1] Regarde, pragmatique du discours l'interprétation de l'énonce, Armand colin- anne reboul-jaques moeschler , P ; 98. Txt trad les connecteurs servent de guides pour l'interprétation et en minimisant les efforts de traitement et en dirigeant le processus de découverte des effets contextuels, ils assurent de manière efficace la pertinence du discours. Nous avons vu cependant que si leur présence pouvait faciliter la tache de l'interlocuteur, ils ne suffisaient pas à eux seuls à assurer l'inerprétabilité des énoncés et leur pertinence. À trop insister sur le rôle fondamental des connecteurs, on a peut – être oublié qu'ils n'étaient que des marques à contenu procédural : au service du traitement d'informations, qui doivent par ailleurs être accessibles .

أما السبب لا يوجب الحكم. ويقول عارضا هذا الرأي " الشرط ما يتعين الحكم بوجوده". قال والسبب لا يوجب تغيير الحكم بل يوجب مصادقته وموافقته"[1].

إن الشرط في رأيه كما يتوقف الحكم بوجوده، والسبب لا يوجب تغيير الحكم المستنبط من النص، فهو يستدعي حكما يلائمه ويشاكله وليس حكما آخر، أي يوافقه في مقتضيات أحواله، ويعرض " السبكي" لرأي العلماء ليجمع بين القول عن وجود علاقة بين الشرطية والسببية في حصول الحكم بوجود هما من ذلك قول العلماء: " الشرط إذا دخل على السبب ولم يكن مبطلا كان تأثيره في تأخير حكم السبب إلى حين وجوده، لا في منع السببية"[2].

أي إذا اعترض الشرط على السبب أو سبق دخوله على السبب، ولم يعثر على مانع يبطل تأثيره عليه، فإنه يؤثر في تأخير حكم السبب إلى وقت معين بوجوده.

ويمكن أن نمثل لذلك في موضوع الطلاق المعلق مثال ذلك أن يقول الرجل لزوجته: " إن دخلت الدار فأنت طالق"، السبب هو قوله: أنت طالق مترتب على الشرط الذي هو قوله: " إن دخلت الدار" مقدما كان أو مؤخرا لا يؤثر شيئا في قوله: " أنت طالق بل في علامة حكمه، فوجه هذا المثال فيه صحة الشرط لتعلق أحدهما بالآخر، ويقتضي الحديث بهذا الحديث بذاك من قوله " دخول الدار ووقوع الطلاق بل في علامة لأحكامه، وفيه تفصيل فقد قال " ابن الماجشون" "إن رده ابن القاسم أنه لا ينفعه ولو رده للفعل وأنه متى دخل الدار وقع عليه الطلاق"[3].

وكل ذلك يعود إلى غرض المتكلم (المخاطب) في حدوث النية ورده للفعل فإنه يفيد ويستفاد من نفعه وظاهر الكلام في المثال السابق.

الذي ساقه الأصوليون أنهم يميزون هنا بين الصيغة في الشرط "إن دخلت" وتعلقها بالسبب "فأنت طالق" في حالتها التركيبية التي تتشكل في الكلام، حيث أخرج منه حالة عدم دخول الدار، ولولا وجود الشرط لعم الطلاق جميع الأحوال و الظروف.

---

[1] الأشباه والنظائر، ابن عبد الكافي بالسبكي، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، ج2، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2001/1422، ص 27.

[2] الأشباه والنظائر، ابن عبد الكافي السبكي، ص 27.

[3] ينظر، الثمر الداني، شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، جمع الشيخ صالح عبد السميع الأبي الأزهري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، 1987، ص 423.

إنّ السياق الذي يتضمن التركيب الشرطي يحمل دلالات إضافية لا يكون المتلقي على دراية بها لولا الشرط ولذلك يضرب لنا "الأمدي" مثالا ينص على أن التخصيص بالشرط قد أخرج من الدلالة العامة دلالة خاصة و لولاه لأدى الخطاب دلالة الشمول و التعميم وذلك نوعان و هما:

الأول : أن يخرج منه مالا يعلم خروجه دونه ، مثال قوله: أكرم بني فلان إن دخلوا الدار فإنه يخرج منه حالة عدم دخول الدار

الثاني: أنه يخرج منه ما علمنا خروجه بدليل أخر كقوله: أكرم بني فلان أبدا إن استطعت" فإنه يخرج منه حالة عدم الاستطاعة ومعنى ذلك في المثال الأول أننا عرفنا أحواله و ظروفه في الإكرام بقدر استطاعته أما في الثاني فكان الشرط مخصصا و لولاه لشمل الإكرام جميع الظروف ولم يكن العلم بعدم الإكرام حالة عدم دخول الدار حاصلا. فالشرط هنا طريق للتخصيص وتضييق دلالة الخطاب العامة.

كما يتضح لنا من هذا أن الأصولي لا يعنيه من ركني الجملة التي عرضها إلا استخراج الحكم المستفاد من ارتباط أحدهما بالأخر أما تحقيق دلالة التركيب الشرطي مع السببي فمرتبط بدلالة الالتزام بين الشرط والسبب وبذلك يتبدى لنا أيضا التفريق الواضح بين الصورة التركيبية لجملة الشرط والسبب والأثر السيكولوجي المترتب عنها (المدلول الذي يقع في النفس) وذلك بإشارته إلى الحكم الناتج عن الإتحاد بينهما مما ينتج وحدة ذات علاقة وطيدة بين الشرط والسبب.

وبذلك أيضا تتبين لنا رؤية لسانية في نصهم على القيمة الدلالية والنحوية التي تكتسبها الألفاظ ضمن الكلام وهو ما تؤكده الدراسات الدلالية الحديثة واللسانية بصفة عامة، إن البحث اللغوي الذي وصل إليه علماء الأصول في دلالة النص اللغوي كالحقيقة والمجاز اللغوي والدلالة وعلاقتها بالنحو وغيرها من المسائل التي درست من طرف نفر كبير من الأصوليين لم يكن بحثا لغويا أو بلاغيا فحسب بل كان أيضا بحثا كلاميا فلسفيا دفعهم إلى ذلك رغبتهم إلى الاهتمام بقضايا العقيدة فاتسم بحثهم اللغوي بالصبغة الدينية والفلسفية، ويبقى الجهد الذي قدمه العلماء الأصول من أجل قراءات فاحصة للخطاب الأصولي وأشكاله التعبيرية ذا منحى شمولي كونه هدف إلى استنباط القواعد الأصولية التي تخدم لغة النص الشرعي

وتتحكم في تصريف دلالة الأحكام المستخلصة من متون النصوص ومن ثمة أضحى الخطاب يخضع لقيود شكلية تتحكم في سياقه المضموني التي جعلت له قيود تعتمد على معايير الاستنباط الحكم الصحيح، ولهذا لا يمكن السعي إلى تأسيس وعي دلالي ما لم نكن على دراية عميقة وبمقتضيات التواصل والإبلاغ.

يمكن أن نخلص إلى القول بأن وجوه الاستعمال كثيرة لأدوات الشرط ولكن ضابطها مقتضيات الأحوال التي هي ملاك البيان "فمقتضيات" الأحوال ما هي إلا القرائن المقيدة لدلالة النص وهي هنا القرائن العقلية وتسمى المخصصات العقلية والنقلية وكل تخصيص لا بدّ له من مخصص عقلي أو نقلي أو غيرهما وهو مراد للأصوليين.[1]

أي أن يكون المعنى المقصود بحسب السياق والقرائن المتصلة به حتى يعطى الأسلوب شكلا أكثر توافقا وانسجاما وللمعنى عمقا ابعد ودلالة أوسع ذلك أن الكلمتين المسبوقتين بالشرط "دخلت" الدر وأنت طالق على الرغم من تكوينهما من مادتين مختلفتين أحدهما "شروط الدخول" والأخرى "وقوع الطلاق" فإنهما يتشكلان من حيث أبعادهما العميقة لكون الأول: شرط تنطوي على دخول الدار بمجرد لفظ أداة الشرط التي سبقت العبارة الأولى، وكون الثانية تحمل هذه النتيجة المتعلقة بوجود الكلمة الأولى.

**7.الشرط عند اللسانيين: جملة الشرطّ عند تشو مسكي (Noam chomsky)**

إنّ العمل اللساني اليوم أياّ كان نوعه – لا يستمدّ شرعيته إلاّ من محاولة فهم الظاهرة اللغوية فهما باطنيا عبر إدراك خصائصها الذاتية ممّا يحقق لها غائيتها وهي الإبلاغ.

وكان من بين اللسانين الذين اهتموا بعلم اللغة ورصدوا ظواهرها اللساني الشهير تشو مسكي الذي ألّف كتابا سنة1957 بعنوان syntactic structure التراكيب النحوية، وهو الكتاب الذي يعدّ النواة الأولى للنظرية التي تشغل المعاهد العلمية"[2]،

[1] أثر التخريجات الدلالية في فقه الخطاب القرآني، عرابي أحمد، ديوان المطبوعات الجامعية، سنة 2010، ص 81.

[2] في نحو اللغة وتراكبها منهج وتطبيق خليل أحمد عمايرة عالم المعرفة ,المملكة العربية السعودية _جدة، الطبعة الأولى 1404 ,ص53_1984 .

والباحثين اللغويين في الغرب والشرق "التوليدية التحويلية generation Grammar transfomation يرى تشو مسكي (chomsky) أن النظرية اللغوية يجب أن توجه إلى تحليل مقدرة المتكلم على إنتاج الجمل التي لم يسمعها من قبل وفهمها قياسا على قوانين النحو في اللغة التي يتكلمها [1].

معالجة التركيب الشرطي عند تشو مسكي (N.chomsky) يرى أنّه لم يتعرض لدراسة هذه البنية اللغوية الفريدة من نوعها كما فحصها العرب القدامى ويتبيّن ذلك جليا من خلال اجتهاده لتحليل الجملة يوضح أنّ في كل جملة عددا من العناصر المكوّنة الرئيسية فيها كلمات قونيمات ومور فيمات تنظم في تراكيب صريحة جملية خاضعة للقواعد اللغوية " [2] ولا سيّما في كتابة البني التركيبة حيث نجده قد عرض توضيحات في بعض التركيبة حيث نجده قد عرض توضيحا في بعض التراكيب الصريحة من خلال الصيغ الأتية " :

قد نجد جملا مثل :(11)

1. **إذا** المفرد الغائب1 ، **إذن** المفرد الغائب 2

2. **إما** المفرد الغائب 3، **أو** المفرد الغائب 4

3. الرجل الذي قال أن المفرد الغائب 5، يكون في طريق الوصول اليوم.

في حالة (11.1) ، لا يمكن أن يكون لدينا " أو" بدلا من " إذن ".

في حالة (2.11) لا يمكن أن يكون لدينا " إذن" بدلا من "أو " .

في حالة (3.11) لا يمكن أن يكون لدينا " يكونوا" بدلا من "يكون " .

في كل حالة من الحالات المذكورة العناصر المجاورة للفاصلة تتوقف على بعضها البعض (= إذا/أذن ، إما/أو ، رجل /يكون) .لكن في كل حالة من الحالات ،

[1] – ينظر، في النحو اللغة وتراكيبها منهج وتطبيق، خليل أحمد عمايرة، عالم المعرفة ط 41 ،140 / 1984 ص 53 عالم المعرفة المملكة الغربية السعودية.

[2]– ينظر المرجع نفسه ص 62 .

يمكنها إدراج جملة تقريرية بين الكلمات المترابطة ، المفرد الغائب 1، المفرد الغائب 3 و المفرد الغائب 5 ، و يمكن أن تكون هذه الجملة التقريرية في الواقع، أحد حالات (3-1-11)[1]

## 8.الشرط عند اللسانيين : عبد السلام المسدي والهادي الطرابلسي

يمكننا أن نضيف ما هنا في هذه القضية المتعلقة بمفهوم الشرط من منظور لساني بما أشار إليه اللسانيان التونسيان وهما " المسدي" و" الطرابلسي" من مسائل نحوية هامة تناولها العلماء الأوائل من مثل : الخليل بن أحمد الفراهيدي، للبابوية .....وغيرهم، تتمثل في المسألة الشرط، وكانت التساؤلات الدائرة على لسانهما تدور حول استكناه حقيقة الشرط وهوية نوعه بالسؤال الأتي : " هل الشرط حكم لغوي عام أم هو أسلوب تركيبي شأنه أسلوب الاستفهام والنّداء وغيرها من الأساليب الإنشائية ؟ وهل الشرط مفهوم نوعي ؟ أضف إلى ذلك، فقد طرحا إشكالية تعدد هذا الاصطلاح مع أنّه يعود إلى كلمة واحدة هي الشرط "[2].

لقد أسهمت بحوثها في كشف جوانب عميقة من النحو العربي لا سيّما من خلال كتابهما " الشرط في القرآن الكريم على نهج اللسانيات حيث درسا فيه التراث النحوي العربي والتقنيات التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بموضوع النحو وعلاقته الوطيدة بالدلالة والمعروضة بشأن التراكيب الشرطية.

---

[1].Structures Syntaxiques, Noam Chomsky, Traduit de l'anglas par Michel Braudeau, aux éditions du seuil pour la traduction Françaises 1969, paris p 25

Nous pouvons avoir des phrases telles que :

(11) (I) If $S_1$, then $S_2$.

(II) Either $S_3$, or $S_4$.

(III) The man who said that $S_5$, is arriving today.

Dans (11.I) nous ne pouvons pas avoir « or » à la place de « then » ; dans (11.II), nous ne pouvons pas avoir « are » à la place de « is ».

Dans chacun de ces cas il y a une dépendance entre les mots placés de part et d'autre de la virgule (= if / then, either/ or, man/ is). Mais, dans chaque cas, entre les mots interdépendants, nous pouvons insérer une phrase déclarative $S_1$, $S_3$, $S_5$, et cette phrase déclarative peut etre, en fait, l'une de (11 I.III).

[2]–الشرط في القرآن الكريم على منهج اللسانيات الوصفية عبد السلام المسدي، محمد الهادي الطرابلسي الدار العربية للكتاب ليبيا – تونس ، 1985 ص 10

أضف إلى ذلك تركيزهما على المنظور الوظيفي للجملة التي شغلت حيّزاهما في دراستهما " فالوظيفة النحوية سياقية معيّنة " [1] هذه العلاقة هي علاقة الإسناد بين مكونات الأساسية للجملة.

هذا التحليل للجملة الشرطية ووظائفها النحوية أضاء لهما جوانب من قضية أنواع الوظائف النحوية وساهم في إبراز طاقات تكافئها أرجحانها تبعا للتوترات التي سيقضي إلى ضبط نسبها بالإحصاء عدد ورودها في النصوص القرآنية، وبيّن لنا أن الجملة الشرطية تتنوّع وظائفها بتنوع حالات اندراجها في صلب الكلام.

وقد ذهبا في تحليلهما لهذا التركيب الشرطي باعتباره موضوعا قار كالاستفهام أنّه هو الذي ربّما دفع النحاة إلى الاهتمام بجوانب الشرط، ويوضح ابن يعيش ذلك مبررا أنّ الشرط يكون للمستقبل لأنّ معنى تعليق الشيء على شرط إنّما هو وقوف دخوله في الوجود على دخول غيره في الوجود، وقد جعلوا المعنى جميعا في القصد بالمستقبل، ولا يكون هذا المعنى فيما مضى"[2] ولهذا يجب النظر في معاني الأدوات لأنّ لكل أداة خصائص تميّزها فضلا عن تكرّر المعلومات النظرية العامة بموجب وتعدّد وجود معانيها . كما تقوم عملية التواصل مقصد المتكلم، ويتحدّد القصد في التمييز بين أحوال خطابية ويؤكد الجرجاني في هذا المضمار أنّه لا يمكن تصور أن يكون لمستعمل اللغة ما مقصد نحو معنى لفظ دون أن يسعى إلى ربطه بمعنى لفظ آخر فالقصد من معنى كلمة ما هو إخبار السّامع بشيء لا يعرفه ويحدث هذا الاستعمال المعنى النحوي"[3] وقد السنّد في ممارستيها اللسانية على ضوء الشواهد من الخطاب القرآني، بالإضافة إلى ذلك فقد تناولا أيضا في هذا المجال قضية الربط الداخلي بين طرفي التركيب الشرطي، ويشتمل اللفظي والمعنوي وفي هذا الجانب المعنوي تستغني عن إبرازه وعلاقة لكي الجلة الشرطية إذا وجد ما يدّل عليه

---

[1]- نظام الارتباط والربط في التركيب الجملة العربية مصطفى حميدة، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان. 1997 ص 119 .

[2]– ينظر : الشرط في القرآن على نهج اللسانيات، عبد السلام المسدي، عبد الهادي الطرابلسي الدار العربية للكتاب – ليبيا – تونس 1985 ص18.

[3]– ينظر أبحاث في نظرية اللغة قضايا لسانية سعود بن حميد السبيعي منشورات صفاف – لبنان – بيروت ط1 2015 /1436 ص 46 .

من خلال السياق هذا إلى جانب ذلك تحدث عن ترتيب المنطقي والعكسي للمكونات داخل النظم التركيبي اختلاف الطرفين أو اختلافهما ي الفعلية والاسمية سواء كانت عادية أو منسوخة مع إحصاء تواتر ما في التراكيب الشرطية القرآنية، أمّا في القسم الثاني فقدرا ما جانبا مهما في الدراسة اللسانية ألا وهو الوظيفة، وذلك بعد تطرقهما لرصد قضية النظم الذي يتعلق برصف الكلمات إلى بعضها البعض في التراكيب صحيحة نحويا ومقبولة دلاليا ممّا قادهما إلى البحث في أمر الوظيفة، وقد استقطبت هذه النظرية اهتمام هذين الدراسيين لما لها من أهمية في الأداء الفعلي للعلائق الوظيفية في اللسان البشري، فأدّى اهتمامهما إلى مناقشة الوظيفة داخل التركيب الشرطي في الحطاب القرآني وذلك من أجل تفسير هذه الآلية التركيبية.

إنّ اصطلاح الوظيفة قد تناول أبعادا مختلفة عند اللسانيين بحسب توجّهاتهم، ولا يخفى علينا أنّ الدّار سين لهذا المصطلح قد تناولاه بما لا يخرج عن مقتضيات النظر النحوي الصّرف حيث أنّ المفهوم الوظيفة " قد أشعّ على الدراسة الجملة حثى أصبح عنصرا قارّا من عناصر تعريفها"[1]وفي هذا المضمار يقول عبد السلام المسدي :" ومفهوم الوظيفة حسب اللسانيين المعاصرين متنوع الدلالة مائع الحدوده ويرجع ذلك إلى المنطلقات المبدئية في تفسير الظاهرة اللغوية ممّا يؤذي إلى اختلافات منهجية في دراسة النحو وتفكيك الكلام" .

وبما يلاحظ في شأن هذا المصطلح هو تعدّد تعاريفه فالوظيفة كذلك هي المنزلة التي يتبوؤها أي عنصر من عناصر الكلام"[2] كما هي ناتج علاقة قائمة بين طرفين وبعبارة أخرى إذا انتظم الطرفان (س) و(ص) بالعلاقة (ع) نتجت الوظيفة (ظ) يعبر عنها بالصيغة الآتية : س ع ص = ظ .

---

[1]– اللسانيات وأسسها المعرفية عبد السلام المسدي المكتبة الفلسفية الدار التونسية للنشر تونس، المؤسسة الوطنية لكتاب الجزائر جميع الحقوق محفوظة أوت 1986 ص 90.

[2]– الشرط في القرآن الكريم على نهج اللسانيات الوصفية عبد السلام المسدي محمد الهادي الطرابلسي ص 132 .

إذن يمكن أن نجد الوظيفة في مختلف مستويات اللغة"[1]. ويعني ذلك أنّه يمكن إيجاد مفهوم الوظيفة في كلّ مستويات اللغة، فمثلا على مستوى الصوتي نجد وظيفة التمييز بين الصوت والمعنى.

وفي محصلة القول نستنتج أنّ الوظيفة تتجدّد بمعايير العلاقات النحوية ونقصد بها حسن اختيار الألفاظ في سياقها المناسب بالإضافة إلى حسن الترتيب والتأليف فيما بينها. كما أنّ تحديد أي وظيفة نحوية في الكلام، إنّما هو موكول إلى المحل الذي يرشدنا إلى مركب (العامل*المعمول). أماّ إذا تحدثنا عن الوظائف النحوية داخل الجملة فهي تجسد المعنى النحوي والذي تؤديه داخل التراكيب أي المعنى الناتج من اختيار الألفاظ ووضعها في علاقات مخصوصة مع سائر الكلمات "فإذا رتبت هذه الأخيرة في تركيب لغوي صحيح اكتسبت معاني نحوية تحددها طبيعة التركيب الذي ترد فيه"[2]. هذا المعنى يتخلص في التنوع الوظائف داخل التركيب الجمل التي لها محل في الإعراب أي التي " تحلّ محلّ الاسم المفرد غير الجملة، وغير شبه الجملة وتعرب إعرابه وهي الجملة الواقعة خبرا، أو مفعولا به – نعتا – حالا وغيّرها[3] أو كأن تؤدّي وظيفة التخصيص.

**<u>إعراب الجمل</u>:** لقد وضحا في هذا الجانب اللغوي محاولتهما في بيان الدلالة النحوية للجمل مبرزين من خلال ذلك تصنيف تلك المعالجة إلى صنفين، يتمثل النوع الأول في وقوفهما على الجمل التي لها موقعا إعرابي يصلح للتأويل، وهي الجمل الواقعة مسندا، جواب الشرط مفعول به.. إلخ أمّا النوع الثاني فيتجسد في الجمل التي لا محلّ لها من الإعراب أي التي لا تحل مكان الاسم وهي الجمل: الابتدائية، الاعتراضية، التفسيرية، صلة الموصول، جواب الشرط غير جازم أو جوابا لشرط جازم غير مقترن بالفاء أو ب "إذا".

ومن هنا نخلص إلى استخلاص المحاور التي تعتمد عليها الجملة الشرطية كي تعدّ صحيحة نحويا ودلاليا كما وضّحها اللسانيات وهي كالآتي :

---

[1] المرجع ا لسابق: ص 132 –133 .

[2] الوظائف الدلالية للجملة العربية، محمد رزق شعير مكتبة الأداب – القاهرة– ط1 2007/1428، ص19 .

[3] ينظر علم النحو ، راجي الأسمر، دار الجيل – بيروت ط1، 1420هـ 1999 م ص 123.

1- وظائف نحوية تربط بينها علاقات أساسية .

2- علاقات دلالية متفاعلة بين الوظائف النحوية والكلمات المنتقاة.

3- السياق اللغوي الذي ترد عليه الجملة الشرطية هذه المحاور تحيلنا في جوهرها على ثلاث ركائز رئيسية وهي الألفاظ والمعاني والعلاقات بينهما في تشكيل الدلالة.

**خلاصة نقدية:** يبدو عمل اللسانيين المسدي والهادي الطرابلسي هنا شبيها بعمل المتذوقين الأوائل الذين اختاروا أبياتا ومقطوعات من الشعر، وجملا ا أو فقرات من الأمثال والحكم الخطب لإحساسهم باحتوائهم على مزية من النظم غير متاحة في الكلام العادي المتداول هذا من جهة، ومن جهة أحرى بعمل أصحاب البديعيات التي سمت هذه المقتطفات المختارة من الصور، فهمها يقفان بين العمليتين ينظران في الآيات من ذكر الحكيم نظرة تفحص دقيق فهما معنيان بالتحليل اللغوي وفق المنهج الوصفي من موقع التراكيب النحوي والوظيفة، ولا يوردان الآيات بنصها الكامل في السورة ولا يسمّيانها إلاّ بالترميز إليها من خلال عدد الترتيب السورة في الكتاب وأرقام الآيات، كما يذكران التصنيف النوعي من حيث الاختلاف والاختلاف أو اختلافهما في الفعلية والإسمية ثمّ إحصاء توتر هذه التراكيب الشرطية في القرآن الكريم، وقد نص قبل التحليل كلّ ضرب هذه الأدوات بتعريف موجز وتبيان أوجه معانيها المختلفة.

إنّ الفحص الدقيق لتلك التراكيب ومعالجة الشرط داخل جملها، مكّنهما من كشف سرّ الإبداع في الآيات القرآنية، كما دعما ذلك التحليل بآراء اللغويين القدامى، وانطلاقا من النص القرآني تأثرا بالمنهج البنيوي، ونهجا من التنظير إلى التطبيق ما جرت به العادة.

وقد وقفا في تحليلهما للخصائص الأسلوبية عند مستوى التراكيب الشرطية. ويبدو واضحا أنّهما استفادا في تحليلهما الوصفي هذا من إجراءات بنيوية ونحوية ممّا يدلّ على أنّهما اهتما بشكل خاص ببنية النص، فالبنيات المكونة لدلالة النص ليست مطروحة في الطريق وإنّما تكتشف بحسب الحالة النفسية والخلفية الثقافية.

كما أكدا على ماهية الجملة الوظيفية في الشرط فهي ذات حركة، وتنوع وظائفه أمّا القسم التطبيقي، فقد حصلت فيه بعض النتائج الآتية:

أكد المنهج الوصفي جدواه في التطبيق إذ استطاع الدارسان الولوج في عالم النص، فكشفا عن سرّ اللحمة بين الدوال والمدلولات الخاصة ببنية الشرط وأهّم وظائفها النحوية، وعدّها وجها من أوجه النظم الفني والجمال والصياغة البلاغية، كما تجلّت مركبات البنية الشرطية المتعددة الإسناد بالإضافة إلى متمماتها في تعانق الدلالات والوظائف النحوية والتداولية مع التراكيب ومحتوياتهما فكانت كالصورة الفاتنة التي أحكم الرسام الماهر دقائقها. أضف إلى ذلك أنّ هذا المنهج قد أظهر تلك الدقة في تحديد تمفصلات مكونات الجملة الشرطية في النص القرآني والوقوف على الوحدات الأساسية في عملية الإسناد ومكملاته في كل آية كريمة ورد فيها الشرط في الخطاب ووصف خصائص وأسرار لغته الإعجازية.

إن كتاب الشرط في القرآن الكريم يمثل دراسة نحوية ودلالية ولا نجد في أيّ موضع من هذا الكتاب الثمين نزوعا إلى التمايز أو التعارض او مجاوزة النحاة العرب الأوائل، فهي المعايير نفسها المعتمدة في لتحليل إلاّ إذا كان هناك اختلاف في استعمال المفاهيم النحوية ذات الوظائف المتنوعة. إنّ الجزء النظري من هذه الدراسة تناول نفس المعايير المتعلقة بوظيفة الشرط وتأثيره وحول هذه النقطة ليست هناك اعتراضات كثيرة سوى أنّ كلّ دراسة تجريبية تجد نفسها مضطرة إلى التأكد من الفرضيات الوظيفية وبالإمكان أن تتوقع كثيرا دحض تلك الفرضياتّ.

**أسلوب الشرط عند اللغويين العرب المحدثين:**

لقد عني اللغويون العرب في العصر الحديث بعلوم اللغة العربية كسابقيهم، غير أن المحدثين طوروا طريقة عرضها خاصة الجملة بأنواعها من بينها جملة الشرط. فالشرط عند اللغويين ضرب من الجمل، وقد حاول بعضهم من بينهم: مازن الوعر السعي إلى تطبيق النظرية اللسانية المعاصرة على اللغة العربية لاستكمال تعريف هذا الأسلوب، واستنادا إليه فقد عرفه بأنه أسلوب لغوي لمكوناته وأركانه ا لخاصة وهي الأداة والفعلان: الثاني منهما يترتب حصوله على حصول الأول أو جواب

وجزاء له، وكان اهتمام مازن الوعر بهذا النمط الجملي تكملة للتراكيب التي حاولت جمعها في نظريته اللسانية الحديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية[1].

**الإطار النظري لبنية الشرط:**

إن دراسة التركيب الشكلي لعناصر الجملة وسيلة للتعبير عن المعنى، ولذلك قسم مازن الوعر الإطار النظري إلى مجموعة من العناصر المتفرعة عن بحث عنوانه: الربط والتعليق في الجملة بهدف وضع التركيب الشرطي في إطار النحو العالمي الذي اقترحه اللساني الأمريكي "توم تشومسكي" وذلك وفق أسس منهجية الجمل التوليدية وبنيتها العميقة والجمل التحويلية"[2].

بنيت النظرية اللسانية أن صور التركيب اللغوي تعتمدي على نظام ضوابط معينة تعمل على رسم حدود البنية العميقة للجملة العربية وفق كيفية مخصوصة تمليها أسس العلاقات اللغوية وقد ذكر مازن لوعر أن التركيب العربي "يتألف من ثلاثة مكونات لغوية:

الأول المسند (م) أي فعل الجملة والثاني المسند إليه (م أ) أي الفاعل النحوي للجملة والثالث هو الفضلة (ف) أي الملحق الدلالي الذي ليس ب (م) ولا ب (م إ). تدعى العلاقة التي تربط بين هذه المكونات بالإسناد (إ س)"[3]

**10. الشرط في ضوء الاستعمالات اللغوية :**

من أصول العلوم العربية علم المعاني الذي يعالج اللفظ من حيث مطابقته لمقتضى الحال، ويعني ذلك أنه علم يحترز عن الأخطاء في تأدية المقصود، وتعرف به أحوال اللفظ من حيث التقديم والتأخير والذكر، والحذف وما إلى ذلك من السمات التي تتميز بها اللغة العربية، كما أنه يبحث عن المركبات باعتبار إفادتها معاني زائدة عن أصل المعنى، فمقتضى الحال هو المعنى الثاني الذي يساق له الكلام

[1] المجلة الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، مخبر الممارسات اللغوية، آراء مازن الوعر اللغوية، وقضايا جملة الشرط بين النحاة والأصوليين قبايلي عبد الغني، ع5، 2011، ص 102-110.

[2] المرجع نفسه، ص 110

[3] دراسات لسانية تطبيقية، مازن الوعر، دار طلاس، ط1، 1989، ص 52.

بالإضافة إلى المعنى الأول الذي هو مدلول التركيب والكلمات، والذي يسمى في علم النحو "أصل المعنى"[1].

والكلام كما لا يخفى علينا المسند إليه المحكوم عليه أو المخبر عنه، وهو الركن الأول، وأما المسند فهو المحكوم به أو المخبر به، وهو الركن الثاني ويذكران في الجملة حسب المقاصد والأغراض التي تخص المتكلم.

إن الأصل في تركيب عناصر الجملة الاسمية أن يكون المسند إليه مقدما على المسند حسب تقدمه في الذهن، وأما تأخره فلسبب نحوي معين يفرض أن يكون العامل قبل المعمول ويعدل عن الأصل للدلالة على الأهم أو لتعجيل المسرة أو المضرة أو إظهار التعظيم وما إلى ذلك. فالتقديم والتأخير له دور في المعنى المراد وتعتبر الظاهرة من مظاهر العدول عن الأصل التي يتعدد منها بما يطرأ على البنية التركيبية في الرتبة، وتختلف العناية والاهتمام باختلاف المقام عند البلاغيين إذ التراكيب عندهم تؤخذ في موطنها وسياقها، فقد عددوا مجموعة سياقات إضافية أخرى منها : الافتخار، التشاؤم، التعظيم، التحقير، تعجيل المسرة أو المساءة، الغرابة، التوكيد، رد الخطأ في التعيين ... الخ[2].

وسنوضح ذلك عبر المثال الآتي :

**قال الله تعالى** : "وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَن وَجَدَ عَلَيْه أُمَّة مِن النَّاسِ يسْقُونَ"[3].

هنا يظهر حذف المفعول به الثاني من أجل توفر العناية على إثبات الفعل "وجد".

وفي هذا السياق تناول النحاة الأوائل مسائل نحوية هامة في أبواب متفرقة من مؤلفاتهم عند دراستهم للتقديم والتأخير بين المبتدأ والخبروكذلك النواسخ، وإن كان النحويون يوجبون تقديم المبتدأ ويجعلونه أصلا لكنه يمكن العدول عنه فيجوز عندهم تقديم الخبر إذا لم يحصل بذلك غموض أو نحوه...

فتقول : "قائم زيد"، قائم أبو زيد، وأبوه منطلق.

---

[1] ينظر الوافر في ضياء الإنقضاء، فادي أسعد فرحات، دار الفكر للطباعة بيروت، لبنان، ط1 1432/ 1433، 2011.

[2] دراسات في اللسانيات العربية بينة الجملة العربية – التراكيب النحوية والتداولية علم النحو وعلم المعاني عبد الحميد مصطفى السيد ط1 1424، 2004م، دار الحامد للنشر والتوزيع، ص 132.

[3] سورة القصص : 22.

ومن بين النحاة نذكر "السيوطي" الذي ورد عنه أن تأخير المسند أولى من تقديمه، إذا كان العنصر الأهم هو المسند إليه[1]".

فكما لا يمتنع تقديم الخبر على المبتدأ، فكذلك لا يمتنع تقديم الوحدة الإسنادية لجواب الشرط. وفي شأن ظاهرة التقديم والتأخير يرى " الزركشي "أنه أحد أساليب البلاغة ويأتون به دلالة على تمكنهم من الفصاحة في الفصاحة وملكتهم في الكلام "[2].

وما التقديم في الجملة الشرطية إلا مثل التقديم والتأخير في الجملة الاسمية، وقد ألمح إلى ذلك عبد القاهر الجرجاني من قبل، فكان له فضل السبق على كثير من علماء اللغة المعاصرين والمحدثين حيث تعرض لمفهوم الترتيب أو ما يعرف بالرتبة حين جاءنا بنظرية النظم حيث قال : "واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ... وذلك أن لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن في وجوه كل باب وفروقه، فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك : زيد منطلق وزيد ينطلق، وينطلق زيد ومنطلق زيد ... وفي الشرط والجزاء إلى الوجوه التي تراها في قولك : "إن تخرج أخرج، وإن خرجت خرجت وإن تخرج فأنا خارج، وأنا خارج إن خرجت وأنا إن خرجت خارج"[3].

وهذا يوضح لنا أن لعناصر التحويل دورا في المبنى والمعنى، لا يمكن تجاهله، كما نتلمس ذلك من خلال قوله أيضا : "لا يكون الإتيان بالأشياء بعضها في أثر بعض على التوالي، نسقا وترتيبا حتى تكون الأشياء مختلفة في أنفسها، ثم يكون للذي يجيء بها مضموما بعضها إلى بعض غرض فيها ومقصود، لا يتم ذلك الغرض إلا بأن يتخير لها مواضع، فيجعل هذا أولا وذاك ثانيا[4]".

---

[1] ينظر، التقديم والتأخير ومباحث التراكيب بين البلاغة والأسلوبية، مختار عطية، دار الوفاء، الإسكندرية، ص 19.

[2] أثر الفكر اللغوي والبلاغي في تأويل القرآن عند الزمخشري الشارف لطروش , أطروحة لنيل درجة الدكتورة في اللغة العربية وآدابها سنة 2007_2008,ص 247.

[3] دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجاني، بحث وتقديم علي أبو زقية، موفم للنشر، 1991 ص 94/ 95.

[4] الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن (دراسة تحليلية نقدية، عبد الرؤوف مخلوف، منشورات، دار مكتبة الحياة – بيروت، حقوق الطبع محفوظة، 1973 ص 204.

ويبدو في كلام "الجرجاني" توكيدا لفكرة أن النظم هو وضع الكلمات بحيث تؤدي المعاني المقصودة حسب الأهداف المرسومة التي تقتضي أن تكون ألفاظ القرآن الكريم منسوقة النسق الذي نراه، أي الإتيان بصور كلمات مرتبة في السياق، لتحقيق غايات وأغراض ما.

يجب علينا أن ننظر إلى ترتيب الكلمات قبل ولوجها في التركيب، وقبل أن تصير إلى الصورة التي يكون بها الكلام إخبارا أو شرطا وتعجبا، "فالمعنى يكتسب من ترتيب الكلمات على طريقة معلومة" ,كما ينبغي أن نعرف الترتيب في البنية العميقة ثم نبحث عن القوانين التي تحكم تحول الترتيب إلى أنماط مختلفة في الكلام الفعلي على السطح"[1] وعن التقديم في الخطاب القرآني قوله تعالى : "قل أغير الله أتخذ وليا".

وقد بين الزمخشري موقع التقديم في الآية الكريمة وسببه فقال ما بيانه : أولى "غير الله" همزة الاستفهام دون الفعل الذي هو اتخذ لأن الإنكار في اتخاذ غير الله وليا لا في اتخاذ الولي فكان أولى بالتقديم"[2]. ومن هنا يصبح التقديم أداة فنية لتشويش الرغبة النحوية والانحراف عن قواعدها ولعبا فنيا يسهم في خلق فنية الكلام –هذا الترتيب باعتباره عملية خرق يجعل التقديم والتأخير ليس إلا إعادة ترتيب مواقع الأدلة حسب قوانين لا يتقبله النثر وعليه ينظر إليهما على أنهما ازياح يدخل ضمن رخصة التبادل' ويفيد تبديل النظام الرتبي العادي للأدلة ومن ثم فإنهما يلعبان دورا في إدخال القارئ إلى متاهة واسعة أو ضيقة غير أن الناظر في ترتيب أجزاء الجمل ينبغي عليه أن ينظر أيضا بعناية ولطف وتأمل، فيعرف لماذا كان التقديم والتأخير وما أثره على المعنى، فلا يكفي أن يقال إنه قدم للافتخار والعناية والأهمية، وتبعا لذلك يجب التنبه إليها حين تحليل الترتيب القائم في النص، فإننا نجد أن للعلاقة التلازمية بين المفردات والحالة السياقية والعامل والعلاقة التخاطبية أهمية واضحة في تعليل هذا الترتيب وسنرى ذلك من خلال التقديم والتأخير داخل

[1] التركيب والدلالة والسياق دراسات تطبيقية لمحمد أحمد خضير، مكتبة الإنجلو المصرية القاهرة، 2005، ص179.

[2]: المباحث البلاغية عند الزمخشري من خلال تفسير الكشاف، الشارف لطروش، دار أم الكتاب جميع الحقوق محفوظة 2010 ص 94.

عناصر العبارة الواحدة، ونجد هذا خاصة في الشعرومما يدخل في هذا الإطار قول الشاعر :

**قال الشاعر**[1] :

**من شرفة بيضاء تشكو الأرق إذا أنين في الصدور احترق**

لقد أجرى تغيير في عناصر الجملة الشعرية الأصلية حيث تقدم الفاعل على الفعل فأصل ترتيب الجملة :

"إذا احترق أنين" ففي هذا المثال تقدم لفظ " أنين" على الفعل "احترق"، لإظهار العناية والاهتمام به.

فزيادة الفعل "احترق" في البنية السطحية بعد إضماره في الأول، ليفسر الفعل المحول أو المحذوف، "وقد خرج النحاة ذلك على "أن الاسم المرفوع فاعل بفعل محذوف يفسره الفعل المتأخر وهو فعل الشرط، لأن أدوات الشرط تختص بالأفعال"[2].

فإذا وليها الأسماء كان ذلك على سبيل التوسيع، فالقاعدة التحويلية التي أجريت على عناصر هذا البيت هي إضمار الفعل الذي يقع في الحوالية "إذا" + فا + ف حسب مقتضيات القاعدة التركيبية لمقولة الشرط في نظام القواعد العربية.

فالتركيب الأساسي للمثال السابق هو :

أما بعد التحويل بإدخال الأداة وتبديل مركبات الجملة الشرطية أصبح التركيب :

**من شرفة بيضاء تشكو الأرق**

**إذا أنين في الصدور احترق**

**ونقول..احترق أنين في الصدور**

**تشكو الأرق من شرفة بيضاء**

---

[1] شرح ألفية بن معطى لعبد العزيز بن جمة الموصلي، ت : د/ على موسى الشوملي، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص311.

[2] ديوان الجزائر شعر الثورة , سليمان العيسى أطفالنا للنشر والتوزيع ص188علي خليفة شعراء الجزائر الشركة الوطنية للنشر الجزائر ب(118) ق، استوح شعرك، ص 149.

فالجملة تترابط وتتعاقد كلماتها بالتحويل عن طريق تغيير الرتب مع التقديم والتأخير.

ويترتب على ذلك أن النظر إلى هذه الظاهرة الفنية في الشعر، سيكون من جانب بلاغي أكثر منه جانب نحوي، لأن الشاعر لا يملك سوى أدلة لغوية تتجلى في كيفية إعادة الترتيب داخل مواقع الكلمات مع عدم مراعاة قوانين اللغة، وما يمكن استخلاصه أيضا هو أن تموقع كل من موظف الأداة وموظف فعل الشرط داخل التركيب الفعلي الشرطي ينتقل من الجواز إلى الوجوب وذلك حسب الشكلين السابقين بفضل تضافر القرائن اللفظية والمعنوية، ولا تنتقل هذه المكونات إلى التحرك إلا إذا تمكنت القرائن الأخرى من إثبات الإسناد الأصلي لعناصر الجملة الشرطية إلى موظفها الأصلي أي توافر جميع أركان الجملة الشرطية مع حضور القرائن لإثبات ذلك.

انطلاقا من هذه النظرة تم الدخول إلى عالم التركيب الشعري وصوره المختلفة فكان ما يأتي :

**1**- يجوز أن تقدم عبارة الجواب على عبارة الشرط.

**2**- يتقهقر الفعل بشكل ملحوظ ليفسح المجال لأشباه الجمل (الظرف المكان أو الزمان، أو الجار والمجرور).

**3**- كما يمكن أن يتوسط الشرط عناصر جملة الجواب.

"أما المحدثون فقد اهتموا بالتقديم والتأخير أيضا من الوجهة النحوية فيما يعرف عند التحويليين بقواعد إعادة الترتيب"[1] . ومن هنا فإن البنية اللغوية تخضع للتقديم والتأخير والحذف وغيرها من عناصر التحويل، والملاحظ في هذا الصدد أنه يمكن التمييز بين نوعين من التحويل بالترتيب يتمثلان في التحويل بالترتيب جذريا ومحليا.

[1] التركيب والدلالة والسياق، دراسات تطبيقية، د/ محمد أحمد خضير، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، 2005، ص 79.

# الفصل الثاني

# -فحص الحصيلة التركيبية والدلالية لأحرف الشرط.

***تمهيد***

1. التحليل التركيبي والدلالي .

أ)- حروف الشرط الجازمة .

1-1- الشرط المعتمد على الأداة "إنّ" .>>>

1-2- اجتماع التركيب الندائي بالشرط المعتمد على الأداتين "إنّ" و"إذا" .

1-3-إدماج الأساليب الإنشائية مع الشرط المعتمد على الأداة "لوما" .

ب)- أحرف الشرط غير الجازمة .

1-1- الشرط المعتمد على الأداة "لو" .

1-2- الشرط المعتمد على الأداة "لولا" .

1-3- الشرط المعتمد على الأداة إمّا" .

بفرض أنّ طبيعة البنية التركيبية تستدعي لغة واصفة تليق بمقامها، اقتضى من المفاهيم النحوية المنوطة بأدوات الربط الشرط ومستلزماته أن تجد ما يبرّرها في واقع التصوير اللغوي لأدبية الخطاب القرآني، إذا ما نظرنا بعين البصيرة لما يطبع أدبية الإعجاز من خصائص إفضائية تتلامس مع الخارق، أو مع ما يمكن أن يسمى علم الجمال فإشكالية النص القرآني العظيم، تقوم على مفارقة مرتبطة بهوية الكتاب القرآني ذاته، فهو من جهة نص ناطق بلغة بشرية، وجار في مقوله على السنن العربي ،ولا يمكن أن يتماهى في مرجعية ذهنية أو إبداعية بشرية .

من هنا يتسنى لنا إمكانية تحليل البنية اللغوية لهذا النص الإبداعي، وجمالية لغته وأصولها ومصادرها، غير أنه لا مناص لنا من أن نعده كيانا متميزا، فهو وحي سماوي خارج عن التحيز الذاتي، فالمصدرية المحال عليها هي الله، ومن ثمة، فإنّه لا ريب في سبر كنه وأغوار الكلام القرآني بمسبر الإبداعية الإنسية. إلاّ أنّه لابد لنا من الإقرار بأن أدبيته لا تمتنع عن مجانسة. أدبية العرب وإن امتازت عنها فنيا، فآلية التعبير القرآني، وهندسة تركيبه وأعرافه البلاغية ،وخفة نقلاته عبر فضاء موضوعي هي جميعا عوامل تأصيل متقن التعبيرية القرآنية التي تتقاطع من حيث مظاهر التشكل، والتمظهر مع تلك الآلية التعبيرية التي صدرت عنها أدبيات العرب في عصر ما قبل الإسلام و بعده كانت التراكيب العربية تتسم بسمات تقوم على تجارب خارجية وبِصُور بلاغية متبادلة القواعد والايحاءات الشعرية الساذجة مثلما جاء في الشعر الجاهلي، حتى جاء الأسلوب القرآني الذي رفع منزلتها، ونقلها من الجمود إلى الحركة، ومن الركود إلى الخلق والإبداع، ومن التعبير بطريق متشابه بين المتكلمين والمبدعين إلى التعبير بالرمز والإيحاء بطرق شتى جعلتها تتخلص من تلك التراكيب العادية الحكائية." التي لا تتم إلاّ عن عادات كلامية وأساليب قواعدية جاهزة مبتذلة، لترقى بعد ذلك إلى خطابات شعرية تجلت منذ عهد العصر العباسي الأول ".وإذا كان بإمكان علم النفس اللغوي، واللسانيات وعلم الدلالة وغيرها أن تتوصل إلى كشوف أصولية، تتعلق بوجدانية البيئة، وتلقائيتها اللغوية، وميكانيزمات البلاغة والتبليغ لديها، فإن هذه العلوم لا يمكن أن تطال الأصوليات الإنتاجية للخطاب القرآني، إلاّ إذا قرّرنا الانحراف به عن مجاله القدسي، وهي عندئذ يمكنها أن تشخص وتحدد بموضوعية وتجريب كثيرا

من المواصفات والإحالات والمؤثرات الكامنة وراء أدبية هذا الخطاب، ذلك لأنّ مصدريته مصدرية لا إنسية.

ما من شكّ أنّ الأمر الذي يساعد على النفاذ في عالم الخطاب القرآني والكشف عن أسرار بنائه وخصائص أسلوبه المبدع الفني المتنوع هو معرفة كيفية إضاءته، وفحص مرتكزه، وبيان الوجوه الممكنة للتركيب الحامل لأحكامه من خلال الأشكال التعبيرية المبنية على الألفاظ والعبارات عن طريق تداخلها ببعضها البعض بانتظام و سلاسة مع البناء النحوي .

**1)-التحليل التَّركيبي والدلالي :**

**أ) – النمط الأول :حروف الشرط الجازمة:**

**-تركيب شرطي يعتمد على الأداة إنْ:**

جاء من هذا النمط تراكيب كثيرة ومختلفة ومؤتلفة من حيث المبنى والمعنى ،كذلك الدلالة الزمنية للأفعال وتوضحه الصور التركيبية التي تتصدّرها الأداة "إنْ" في مواطن عديدة، نقتطف منها بعض العيّنات ‘وذلك باسْتقْصاء الآيات الكريمة التي وردت فيها هذه الأداة في صُورٍ متنوعة ،ثم نحاول الوقوف عندها لتحليلها وتوضيحها من أجل سَبْر أعماق دلالاتها عند الأسلوب القرآني ومن هذه الصور ما يأتي:

**الصورة الأولى** : أداة شرط(إن) +عبارة الجواب + عبارة الشرط . تظهر هذه الصورة في قوله تعالى: <<إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ>>[1]. تتكون الصورة التركيبية في هذه الآية من أداة التوكيد وفي الثانية نلاحظ أن الصيغة تدل على النفي عصيان الله ممّا يتيح للقارئ اسْتقْبَالْ الخطاب القرآني وتحليله أو تبادل الخطاب عنه بسهولة لتفسيره وفهم شفْرَتِه التي يتفق نظامها ويشترك في خصوصياته (كلام الله) مع كلام البشر، حتّى تداول الكلام بصورة تامّة وبيسْرٍ.

ففي بداية الآية جاء الشرط على المستوى الفردي، لينفض سيّدنا محمد علية الصلاة والسلام عن نفسه كلّ أسباب الخوف والتردّد، وليستعدّ لحمل أعباء الرسالة الجديدة وهي الدعوة للإسلام وهو شرط دال على وجوب مواجهة المشركين والتحلي بالعزم والتصميم ثم تصاعد الشرط إلى توسيع دائرته والانتقال به من الفرد إلى إنذار كل من

1 يونس الآية [15] .

يعصي الله بالعقاب الشديد. ويأتي الجواب هنا على شكل قرار مؤكد ب إنّ يتخذه المتكلم (الرسول صل الله عليه وسلم) مع نفسه، التي هي للنفس المريدة القوية خاصية ملازمة، إنها لا تكون إلاّ لمن عرف قدره دليل ثقة بنفسه التي –وإن أتي عليها الأجل المحتوم –تظل ممتدة في مسارب الكون –بحيث تتأكد فيها صلته ومحبته للآخرة ولقاء ربّه، كما يتقابل فيه الشرط هنا في قوله تعالى " إنْ عَصَيْتُ " بجواب الشرط " إنّي أخاف عذاب يوم عظيم ".

وهنا يمكن القول، إنّ الذي يستدعي هذا المعنى الموجه، ويفرضه على المتكلم كضرورة، لا بدّ من قوله، أو نظمه هو المتكلم (الخبير _المبدع _الحكيم)، وكذلك وضع الرسول الله ( صلى الله عليه وسلم) في سياق الإنكار والجحود مع المخاطبين المشركين، أو في سياق الخصومة والصّراع مع المخاطب –بالفتح، وهذا يعني أنّ الذي يستدعي هذا المعنى –إنّما هو سياق التجربة والمعاناة، معاناة المخاطب إنكار المخاطب، ومحاولة إقناعه والتأثير عليه بكلّ الوسائل الممكنة والمتاحة، ممّا يعني أنّ المعنى المقصود إثباته، أو نفيه هو "المعنى الحالة"، أي المدفوع إليه بالحالة، أو الممثل للتجربة الشّعورية التي تنتاب المخاطب بالكسر، بسبب إصرار المتلقي أو المخاطب على جحوده ونكرانه قد نزع ثقته تماما من المتكلم أو الخاطب الذي ما يزال في خدمة المخاطب، أي باقيا على التزامه بأنه لا يقول إلاّ ما فيه مراعاة لحاله ،ممّا دفع المتكلم من ثم إلى اتخاذ موقف مزدوج منه، فهو من جهة يتجاهله لا بذكره مباشرة، أولا يوجّه إليه خطابه بشكل مباشر (من باب تجاهل العارف)، ولكنه من جهة أخرى، يعمل بكل الوسائل والطرائق على التأثير فيه وإقناعه وبمقتضى هذا التصور، أخذ "عبد القاهر" يصرف همة المخاطب عن المخاطب –إلى الخطاب نفسه، بوصفه الوسيلة الأكثر حسما في عملية التأثير فيه وإقناعه. وهذا يعني << أنّ متلقي الخطاب عند عبد القاهر، قد صار يحتل موقع الآخر بكلّ ما تحمله كلمة "آخر" من دلالات فلسفية معاصرة، ليلعب دوره في عملية الإنتاج والتّلقي، فهو ذلك الحاضر الغائب دائما، أو ذلك الغائب الحاضر دائما، والغائب عن سطح النّص، أو العمل الحاضر

في عمقه، أو الغائب على مستوى بنيته الفوقية، ولكنّه الحاضر على مستوى بنيته العميقة >>[1]

**ظاهرة تقدّم الجواب:**

إنّ الجملة الشرطية المأخوذة من الآية الكريمة <<إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ>> تمثل جملة نواة الأصل. حيث تصبح بالتحويل" إِنْ عَصَيْتُ ربي إنّي أَخَافُ عذاب يَوْمٍ عَظِيمٍ" ويتقابل فيه الشّرط الحاضر " إن عصيت ربي " بجواب الشّرط المفهوم والمقدر، والذي يبنيه المؤول وهو (إني أخاف ربي عذاب يوم عظيم) وبوسع التأويل التقابلي أن يمدنا بمزيد من المعاني المنبثقة من الافتراضات الدلالية، منها المتكلم (الرسول صلى الله عليه وسلم) يتحرك طالبا العفو من الله وبالتالي قد يبدو الخوف من العذاب وإخلاص العبادة لله وحده وما يحمله من قيم ومعان دينية أمرا ثانويا .وربما يدفعنا مثل هذا الحفر الافتراضي إلى تأكيد حقيقة مفادها أنّ الرسول (صلى الله عليه وسلم ) لم تتغير فيه بعد نزوعاته نحو عقيدة الإسلام والدفاع عنها .

ويمكن أنْ نمثل ذلك عبر البنية العميقة للجملة النواة الأولى في الشكل الآتي :

ج1:

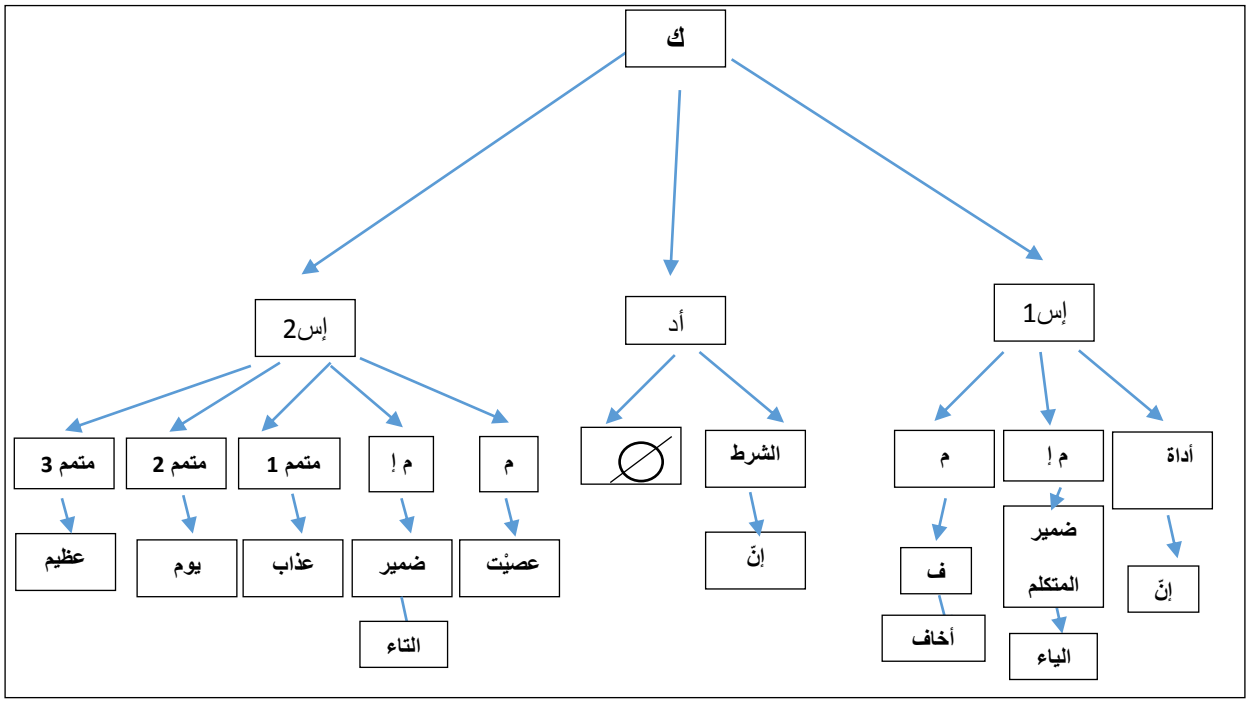


[1] شعرية الخطاب في التراث النقدي والبلاغي ،عبد الواسع أحمد الحميري ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع –بيروت ، ط1 ، 1425 –2005 ، ص 95 .

وقد يتخذ التحويل مساراً آخر كما هي الحال في التحويل الذي يجري على النموذج الذي نحن بصدد تفسيره عبر البنية الضمنية المجرّدة، وبيان ذلك في ما يأتي :

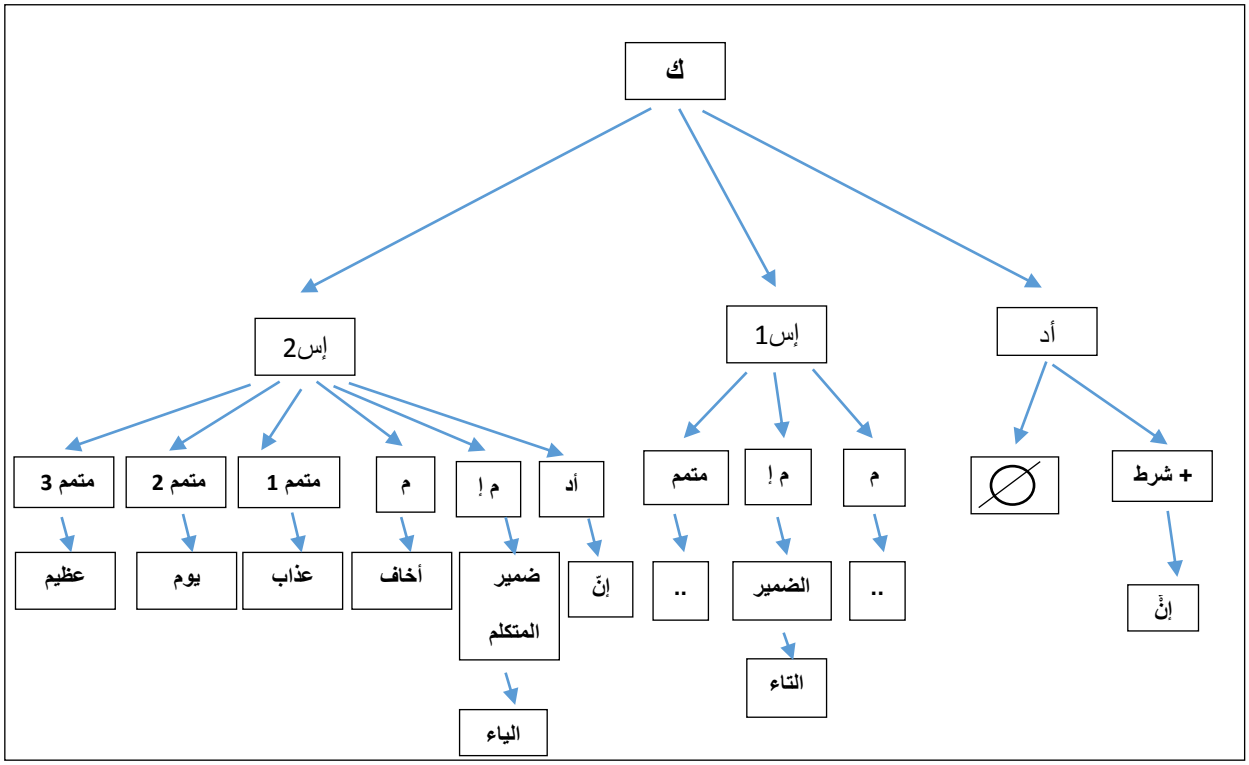


نلاحظ في المخطط الأول، تقدم الجواب على الشرط وليس هنا ما يمنع من تقدّمه ما دامت الجملة حاوية على مقومات تفيد المعنى المقصود وهذا ما أكده "كاتس" katz و"فودور" fodor « أن معنى الجملة يعتمد على معنى أجزائها الأولية وطريقة دمجها. ومن الواضح أيضا أن طريقة الدمج التي يوفرها الهيكل السطحي ( المكون المباشر) بشكل عام ليست بصلة تقريبا بالتفسير الدلالي، في حين أن العلاقات النحوية المعبر عنها في البنية العميقة المجردة هي في كثير من الحالات، فقط تلك التي تحدد معنى الجملة)[1]. وفي هذا المعنى تعليق أمر على أمر آخر، فقد علّق المتكلم خوفه من عذاب الله في حالة عِصْيَانِه أوامر الله، وهذا مدْلول عليه في هذه الجملة بجلاء فلا

[1]La structure absente umberto eco, introduction à la recherche sémiotique , Mercure de France 1972 , Paris editionoriginale casa F d , valenticobompiano , p 109 , txt trad (as katz and fodor have emphasized , that the meaning of a sentence is based on the meaning of its elementary parts and the manner of their combination .It is also clear that the manner of combination provided by th surface (immediate constituent ) structure is in general almost totally irrelevant to semantic interpretation , whereas the grammatical relations expressed in the abstract deep structure are , in many cases , just those that determine the meaning of the sentence .

مجال حينئذ إلى تقدير فعل مدلول عليه بالفعل السّابق "أخاف"، وإن كان ليس جوابا للشرط فهو قد دلّ على أنه الجواب أي أخاف إن عصيت أخاف .

جعل أخاف المقدّمة دليل على أخاف المؤخرة ولذلك جازَ أن نجعل فعلت دليلا على المحذوف ومثله: "أقوم إن قمْتُ "[1]. كما يمكن أن نتلمس وجهة وظيفية أدت إلى تقديم الفعل المضارع "أخاف" وعمادها أنّ المتكلم في حاجة ماسّة إلى إخراج تلك الشحنات النفسية الانفعالية المتعلقة بالخوف من عذاب شديد بأسرع وقْتٍ أي قبل المباشرة في التّعبير عن أي شيء آخر وهكذا تلقى هذه الوجهة الوظيفية على عاتقها التّعبير بالتركيب اللغوي نحو الأفق تداولي صريح لإخبار عليه، مُفادَه التأثير على المتلقين من خلال جعلهم يركزون على القضية المهمة التّي يخاف منها المتكلم، ألا وهي الخوف من عذاب عظيم وقد يوحي المتكلم من خلال خوفه من العذاب لمعنى آخر يتضمن معنى ديني وهو الدعوة إلى عيادة الله وحده وخشية عذابه إن عصى الإنسان ربّه والاهتمام بالآخرة لأنّ عذابها أشدّ من عذاب الدنيا .

**الحذف والاضمار:**

نلاحظ في المثال السابق وجود ظاهرة الحذف تمثلت في إضمار الفاعل والإحالة عليه عن طريق الضمير المقدر في البنية العميقة ب: "أنا"، كما يوحي ذلك أيضا بوجود تطابق في الاطراد والتذكير، يظهر ذلك من خلال ضمير المتكلم الذي يعود على الرّسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو شكل من الإشكالية في غالب الأحيان تلعب دورا مهما في تجنب الثقل أو التكرار الممّل، وتنميق الكلام وتجويده من جهة أخرى .

**ظاهرة التّنغيم والنّبر:**

يوزع التّنغيم جملة الشرط إلى جملتين هما:

إنّي أخاف /إنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ-----التّنغيم هنا نمطه إخباري، وبالتالي تكون جملة الشرط تّنغيم خبري مؤكّد، والأداة هنا "إنَّ" تحدد نمط الجملة المؤكدة، وتشعر بمضمونها قوة .[2]

---

[1] الخصائص لابن حبني، ت/ عبد الحميد الهنداوي، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ،ج2، ص 162.

[2] لغة القرآن الكريم، محمد خان دراسة لسانية تطبيقية للجملة في "سورة البقرة" –دار الهدى –عين مليلة ط1 2004 ص 147.

وتكون النغمة التي تطفو على الجملة هي نغمة وضعفا حسب حالة المتلقي طلبا "أو إنكارا" .

مستوية وبقليل من التدّبر الفاحص إلى هذه الظاهرة التي وظفها المتكلم في كلامه (التّنغيم)، يمكن القول إن المرسل يسعى إلى إشباع تركيبه بقيم تداولية تفضي إلى إقناع المتلقي والتأثير عليه ،لأنّ التّنغيم من استراتيجيات الخطاب والأدّلة، إذْ تمدّه بصيغة إيحائية تحقق الايصال الفعّال والسّليم لما يختلج نفس المتكلم (رسول الله صلى الله عليه و سلم ) داخل كلام الله –من مقاصد وأغراض ،وهو ما ينسجم إلى حدّ بعيد مع ما أقرته التنظيرات التداولية المتعلقة بالقوة الإنجازية illocutionary force إذا اعتبر "سورل" " j.searl " أنّ للقوة الانجازية دليلا يسّمى "دليل القوة الانجازية " هو الذي يوحي ويبيّن نوع الفعل الانجازي الذي يصدر من المتكلم ، ومن أمثلته في اللغة الإنجليزية نظام الجملة ((Word order، والنّبر (stress) والتّنغيم (intonation)[1]

وإذا كان الشّرط: قدْ أُنيط في عملية إنْتاج الخطاب بمهمة تعليق السبب بالنتيجة قبل إنشاء الخطاب الموجّه إلى المتلقي (المخاطب) إلى جانب عبارات أخرى المسهمة في تدبير التخاطب ثم التذليل عليه بتراكيب متممة لغرض الشرط . كما تحققت العلاقة التلازمية وسخّر لتحقيق هذه الغاية الشرط بالأداة "إنْ". والرسول (صلى الله عليه وسلم) هو وحده القادر على اكتشاف مكرهم وتطويع نفسه لعبادة الله وحده وعدم عصيانه والدعوة إلى الإيمان بالله تعالى وعبادته لأنّه مختار لهذه الوظيفة من الله عزّ وجلّ، وهو المؤهل إلى زرع حبّ الإيمان بالله والجمال بالأخلاق الحميدة في الناس حتى يدركوا ما يدركه ويعرفوا ما يعرفه وهو الذي يستطيع أنْ يرفعهم عن طينيتهم إلى سماويتهم فيرون ما يرى بعينيه .فالناس مشغولون بمنافعهم المادية يخلدون إلى الأرض ولا يرون الأشياء إلاّ من خلال نظرة دونية أمّا النبي الله (صلى الله عليه وسلم) فيعيش لنشر الرسالة المحمدية ومهمته تكمن في أنْ يخلق فيهم روح حبّ الإيمان والتقوى، ذلك أنّ الإنسان مطالب أن يعيش لهذا العمل الصالح أن يعترف بجمال مخلوقات الله وقدرته على الخلق .

[1] ينظر آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية مصر، سنة 2002، ص .90

وطاعة الله والامتثال لأوامره كنز مكنون لا يبدي ذاته إلاّ لمن ازدانت نفسه بالتقوى فالجميل بالإيمان والطّاعة لا يكشفه غير الجميل، ومن ثم فاكتشاف جمال الطاعة في النفس المرهون بالذات الكاشفة الرائية، والمتلقي لهذا النص يسهم في تحديد مفهوم الشرط بالعصيان إلى جانب الذات المبدعة .إنّه يؤثر في اختيار الموضوع وفي اختيار المفردات والتراكيب، يؤثر في تحديد أسلوب الشرط في الخطاب القرآني. وهذا يعني أنّ الخطاب القرآني ذاتي محض، لأنه يندرج في كلام الله المنزه عن الخطأ في إطار ديني، اجتماعي، ثقافي ومن هنا فالمقاييس تتّصل بالمتلقي أيضا وبمستوى استيعابه لخطاب الله تعالى .

إنّ انتهاء الآية الكريمة بفاصلة الميم (يوم عظيم) يدل على أنّ الدعوة واجب ثقيل شاق، حين يناط بفرد من البشر –مهما يكن نبيا رسولا– فالبشرية إذا كانت من الضلال والعصيان والتمرد والعتوّ والعناد والإصرار والالتواء أقرب، فإنها تجعل من الدعوة أصعب وأثقل عبئا ما يكلفه إنسان من المهام في هذا الوجود .

كما أنّ بداية الآية الكريمة على الخطاب الذي يستخدم اللغة الانفعالية الدالة على الخوف، قصيرة الجمل، متساوية التكوينات، منسجمة مع الحمل الثقيل الذي كلف به الرسول الكريم. كما أنّ السرعة في العرض هي السائدة في الآيات الكريمة السابقة .

**الصورة الثانية:** ومن اللافت للنظر أن نظام التركيب السابق يماثل نظام هذا التركيب والاختلاف في صيغة الفعل ونجد **هذا في قوله جل جلاله :**

"أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِين" **(سورة يونس 38).**[1]

–لم تَلتزم الآية الكريمة بالنظام التراتبي المألوف لتراكيبها، بل تجاوزته ليرتفع رصيد الكلمات المتتالية بعد عبارة الجواب المقدّمة وذلك بالزيادة على أنَّ أهّم إجراء أسلوبي

[1] الآية 38 من سورة يونس ، وردت مثل هذا الأسلوب أساليب أخرى تتصدرها هذه الأداة :[ 26، 39 ]/ [26 . 41 ]/[ 21. 07] /[ 21. 17 ]/[ 21. 38 ]/[ 26 . 40 ]/[ 26 . 216 ]/[ 21 . 63 ]/[ 21. 68 ]/[ 26. 187 ]/[ 26. 154 ]/[ 29. 29 ]/ [18 . 69 ]/[ 27. 71 ]/[ 37 . 157 ]/[ 37 . 102 ]/[ 39. 56 ]/[ 40. 29 ]/[ 56 . 86 –87 ]/[ 57 . 08 ]/[ 61 . 11 ]/[ 62 . 02 ]/[ 62 . 06 ]/[ 62. 09 ]/[ 56. 05 ]/[ 68 . 21 ]/[ 68 . 41 ]/[ 77 . 39 ]/[ 64 ‘ 12 ]/[ 64 . 14 ]/[ 64 . 17 ]/[ 65 . 04 ]/[ 65 . 06 ]/[ 66 . 04 ]/[ 87 . 09 ]/ .

فيها هو هدر رُتبة تراكيبِهَا وخرق النمط التركيبي المعهود به لترتَفِع بذلك شحنتها الإيحائية، فالنمط التوليدي للآية قبل أَنْ تُزَاحَ بتحويل موضعها هو **<<**إن كنتم صادقين فاتوا سبورة ..... وادعوا .....>>ليظهر بذلك اهتمام الآية وتركيزها على المنافقين وعدم تصديقهم لقول الحق تناسبا مع المقام التضميني الذي يفرض هذا الإجراء، كما نلاحظ أن تحريك جملة جواب الشرط[1] <<فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ .....>> في الخط الأفقي للخطاب من موضعها، وتقديمها على جملة الشرط <<إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ>> لم يفرغها من وظيفتها، ولم يفقِدْها خاصية الشرطية ، بل أسهم في إخْراج التركيب من طابعه النفعي الإخْباري المألوف المجرد من التأكيد و العناية إلى طابع فَنِي تأكيدي، يؤكد عجز المنافقين على أن يأتوا بمثل كلام الله تعالى. وهذا كان مناسبا مع مقام الوعيد والتعجيز دون الإخلال بتركيب الخطاب. كما أن هذه الجملة التي تقدّمت جملة الشّرط عنصر مهم في بناء التركيب، وفي تحديد معناه، لها وظيفتها نحويا ودلاليا. كماتبرِز البنيتان السطحية والعميقة مسألة تداخل النصوص، وتفاعل بعضها مع البعض الآخر في صورة تواصل، وتحاور بين الخطابات وقد تجسّد ذلك في هذه الآية الكريمة من سورة يونس التي تضمّنت نصا من نصوص قرآنية أخرى موجودة في سورة البقرة وهي الآية الكريمة 23 من سورة البقرة.

قال الله تعالى:<<وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا على عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ>>.

نلاحظ أنّ التحدي هنا للعموم، وكان بأكثر من صورة، وعموما فإن تداخل الموجود بين النصين المقدّسين قد لعب دورا محوريا في جمالية تشكيل الدلالة في الآيتين الكريمتين الذي يشعرك وأنت تتلقّاه أنّه أخذ من كل تنوع أسلوبي بنصيب شكّل غناه وكوّن بعده الآسر لا يفك أسْرَك إلاّ بالانْتهاء من قراءته الأولى في سورة البقرة، أمّا في الآية الثانية من سورة يونس فإنّها لا تَبخل عليك بعطائها الجمالي كأنّك في مواجهة نص مفتوح بدلالاته التي لا تنتهي إشاراته من بث إشْعَاعَاتِهَا وتكثيف مدركاتها حول غنى النص الراقي.

وهذا يوافق حالة الإبداع ;لأنه قادر على الإقناع والتأثير في نفس المتلقي.

[1] الآية 23 من سورة البقرة.

وتعرض كلّ من هذه البُنَى المتدَاخلة بشكل خاص وظائفها المنوطة بها، حيث تختصّ البنية التداولية ببيان العلاقة بين المتكلم والمخاطبين في مقام <<و يرتبط إسنادها بكمّ من المعلومات و نوعيتَهَا التي يعتقد المتكلم توفرها عند المخاطب >> ذلك أنَّ هناك تفاوتا كبيرا في مراتب طرفي الخطاب فالمرسل هو الله تعالى والمرسل إليه هو المنافق، وفي الخطاب الحجاجي <<ينْحو المرسل بخطابِه نحو الأثر التداولي (الإقْنَاع) >>وهذا من خلال توظيفه أسلوب الأمر التعجيزي "فاتوا"[1].

فيصبح الوضع ثبوت الأول بوصفه حجة دنيا يتظاهر بها المنافقون، وزيادة الآخر فوقه بوصفه الحجة الأقوى، لأنّه على دين الحقّ والغرض من دلك إثبات أن القرآن من عند الله ولا أحد يستطيع الإتيان بمثله، إذن فما بعدها أقوى منْها لأنهم فعلا غير صادقين في دعواتهم والأدلّة على ذلك موجودة عند المرسل (لفظ الجلالة) ومن أدوات السلّم الحجاجي التي ارتكزت عليها الآية الكريمة الأداة "إِنْ" وذلك لدورها البارز في ترتيب منزلة العناصر، ولما لمعانيها واستعمالاتها من سلمية. ونلاحظ أن بنية هذه الجملة في الآية الكريمة مرتبطة بنص سابق عبر علائق حاضرة تتداخل بطريقة أو بأخرى فيه، ومنها تستمدّ معناها وقيمتها .

هذه <<العلاقات المتشابهة يمكن أن تتخذ تمظهرت مختلفة غير أنّها معروفة ومحدّدة على نحو الآيات السّابقة، لكنّها يمكن أن تظهر أكثر حذقا وضمنية وعمومية، حيث نرجعها إلى فعل لغوي مرجعياته في بنى لسانية مثبتة. ونادرًا ما نجد هذه الظاهرة في أسلوب القرآن فكذلك الخطاب القرآني قد يمنح من خطابات قرآنية أخرى مثله مثل أي عمل أدبي يمنح من أعمال أدبية سابقة عليه تنتمي إلى أجناس أدبية. فرصد دلالة العلاقات المتشابهة بين الآيات القرآنية في البُنَى التركيبية وتشكيلها داخل السياق، يُتِيح للمتلقي فرصة استكناه مضامِينها وأبعادها الفنية والجمالية .

أضف إلى أنّ متعلّقات التشابه بين ألفاظ الآيات القرآنية ترتبط ارتباطا عضويا (القارِئ الذي يجب عليه أن يمتلك القدرة على إعمال العقل وتدبر معانيها حسب سبب نزولها

---

[1] في اللسانيات التداولية (مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، خليفة بوجادي، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2009 ص 119.

[2] استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديدة المتحدة ص464.

لاستبْصَار تشكّل الدلالة للعلائق المتشابهة على مستوى النص القرآني برمّته وأيضا قياسا على موقع النص من أسباب النزول، حيث "[1]إن العلاقة بين القارئ المستقبل للحدث الكلامي الرباني وواقع المقروء في حد ذاته هي علاقة جدلية يتبادلان فيها التأثير والتأثر، وفي ذات السياق يقول" ابن عربي" ت 638هـ :....ألا ترى العالم الفهم المراقب يتلو المحفوظ عنده من القرآن فيجد في كل تلاوة معنى لم يجده في التلاوة الأولى والحروف المتلوة هي بعينها ما زاد فيها شيء ولا نقص وإنما الموطن والحال تجدد ولا بد من تجدده." ولقد جاء خطاب الله تعالى في هذه الآية الكريمة مطابقا لمقتضى الحال. للاعتبار المناسب أي موافقا لحال المنكرين، الجاحدين لنعم الله وحقّه عليهم، فأنكروا كلام الله تعالى .

هذا الكلام الفصيح والبليغ الذي لا يأتيه الباطل والذي يحمل بلاغة معجزة تقوم في مجموعها على هذه الفكرة (مطابقة المقام لحال المخاطب) وفي هذا الصّدد يقول الخطيب القزويني:<<وأمّا بلاغة الكلام فهي مطابقة لمقتضى الحال مع فصاحته>>.[2]

ولهذا فاق كلام الله مقدرة البشر وإمكانيتهم في التعبير ليأتوا بمثل هذا البيان القرآني.

جاءت صيغة استطعْتم على وزن "اسْتَفْعَل" التي تحمل دلالة، ومن دلالات (اسْتفعل) الصيرورة على صفة معيّنة، منه (من اسْتَطَعْتُم ْ)أي : من صرتم ذا طاعة و طاقة .

وتوحي هذه اللفظة (أيضًا) في سياق الآية الكريمة إلى أنّ نِفاقهم قد صرفهم عن قبول كلامه فطاوعت نفوسهم وانْقادت إلى الدعوة من دون الله .كما أن هذا القول متعين لأنه يكون الرسول الله (صلى الله عليه وسلم) مأمورًا بأن يواجه به المشركين ويثبّط عزيمتهم، لأنهم حاولوا أن يمنعوه من نشر الدعوة إلى الإسلام ويترك الدين الحنيف ويتبع ملّتهم، وهما أحد الشّقين الذي وجه الخطاب السّابق إليهم، وتعيين كلّ ما وجّه إليه مَنُوط بقرينة السّياق وقرينة ما بعده من قوله.وفي هذا المعنى ورد قول آخر في سورة الزمر <<فاعْبُدوا ما شِئتم من دونه >>

---

[1] التأويلية من الرواية إلى الدراية مبادئ لتأصيل البحث التأويلي العربي، مختار لزعر، ص200_201.

[2] الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع –الخطيب القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية – بيروت–لبنان –ط1 سنة 2003 م –1424هـ –ص20

**الصورة الثالثة انتضاد الاستفهام والشرط مع حذف الجواب :**

**حذف الجواب:**

في قوله تعالى:<< وَيَقُولُونَ مَتَى هَذا الوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ[1]>>

-اسم الإشارة + البدل + أداة الشرط وفعل ماض ناقص والضمير ( اسم كان) وتلاه خبر كان .

-إنّ نظام التركيب في الآية الكريمة يتأسس على نسق تركيبي، يوظف من خلاله أدوات الاستفهام +حرف العطف. كما نلمح في هذا التركيب حذف يَرُدُ في طرف من طرفي العلاقة المتلازمة أو فيهما معا. ممّا يعني أنّه يعكس استثناء على نظام العلاقة النحوية يتمثّل في أحد طرفي العلاقة النحوية الذين تقوم بينهما العلاقة، وفي هذا الشأن يقول "ابن جني" .(ت392)"قد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة، وليس شيء من ذلك إلاّ عن دليل عليه، وإلاّ كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته ....فأمّا الجملة فنحو قولهم في الشرط :

<< الناس مجزيون بأفعالهم إن خيرا فخيرا وإن شرّا فشرّا >>أي إن فعل المرء خيرا جزي خيرا وإن فعل شرا جزي شرا أي بمثله. وبفضل آليات التركيب نجد أنّ تحوّلا جليا يعود في نهاية الأمر إلى عمليات الحذف أو الإضافة لبعض الوحدات، ومن الممكن أن تَتَطور عملية مزدوجة يتّم فيها إجراء الحذف والإضافة معا مثلما هو مجسّد في هذه الآية حيث أضيفت أداة الاستفهام "متى " في أسلوب الشرط بالإضافة إلى تقدّمه على جملة الشرط، وليس هنا ما يمنع من تقدّمه ما دامت الجملة تحوي على مقومات تفيد المعنى المراد وهو تعليق أمر على أمر آخر بعد التساؤل عنه ، كما يمكن أن نستشف وجهة وظيفية أدّت إلى تقديم فعل القول "يقولون "وأداة الاستفهام "متى " والمقصود أنّ المخاطبين الذي طلبوا معرفة الوقت التي يتحقّق فيه الوعيد ،فهم في حاجة ماسة إلى

---

[1] الآية 48 من سورة يونس .

[2] النظرية اللغوية في التراث العربي، محمد عبد العزيز عبد الدايم ،دار السلام القاهرة ، الإسكندرية ،ط 1 ،1427، 2006 ص[1]220

وردت أساليب تتضمن الاستفهام والشرط في مثل :[21-17] / [21-34 ] / [21-38 ]/ [26-205 ] / [ 26-41 ] [36-19 ]/ [36 -23 ] / [28 -71 ]/ [28 -72 ] / [ 67-25 ]/ [ 67-30 ] / [67 -28 ] / [ 96-12-11 ] [ 96.13-14 ].

دليل يثبت لهم قيام السّاعة لحساب الناس على أعمالهم .والاستفهام هنا، هو الحجة ذاتها بالقصد المضمر وفْق ما يقتضيه السّياق، خصوصا بالترتيب الوارد في النص السابق الذي يؤدّي بالمرسل إليه (المشركين) إلى التسليم المرة بعد الأخرى، والتنازل عن معتقداتهم السّابقة شيئا فشيئا، والمرسل (لفظ الجلالة (الخالق)) يدرك أنّ هذا السؤال ليس استفهاما عن المجهول عنه إذْ لا يجعل المرسل شيئا من هذه المعارف، كما لا يتوفر المرسل إليه في أغلب الأحوال على معرفة تزيد على ما يعرفه المرسل، ولهذا فهي حجج باعتبار قصد المرسل لا باعتبار الصياغة والمعنى الحرفي فقط.

**الصورة الرابعة**

قال الله تعالى :<<قَالُواْ فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنتُمْ كَاذِبِينَ>>[1].

تتكون هذه البنية التّركيبية من فعل وفاعل ( قالوا)، الفاء رابطة لجواب الشّرط مقدّر – (ما ) اسم استفهام مبني في محل رفع مبتدأ ( جزاؤه ) خبر مرفوع والهاء ضمير متصل مضاف إليه +حرف شّرط جازم +فعل ماض ناقص مبني على السّكون في محل جزم فعل الشّرط، والضمير المتصل (تم) اسم كان +خبر كان (كاذبين) منصوب وعلامة نصبه الياء. وجملة " ما جزاؤه" ما في محل جزم جواب الشّرط مقدّر أي : إنْ كان سارقا وكنتم كاذبين ما جزاؤه ؟ وتأويل هذا القول يعني إنّه كلام موجّه ظاهره الاستفسار عن الفاعل الحقيقي أي وَجَبَ على قَضِية فتْوَاكُم أخذ من عثر الصُواعُ في رحْلِه، وباطنه باعتبار دلالته العميقة إنَّ الله أمرني وأوحى إليّ بأخذ أخي " بِنْيَامِينْ " واحتباسه لمصلحة أو لمصالح جمّة علمها في ذلك عند الله .

وكان استعمال الحجاج هنا من خلال استعمال السؤال في قوله << ما جزاؤه >> المطعّم بالشّرط الذي ينتمي إلى الاستفهام التقريري، حسب ما يقتضيه الاستلزام الحواري، فالأسئلة أشدّ إقناعا للمرسل إليه وأقوى حجة عليه إذا استعملها مع الشّرط، وذلك عندما يكون قصد المتكلم غير مباشر كما في الحوار السّابق داخل الآية الكريمة.

ويعدّ الاستفهام من أنجع << أنواع الأفعال اللغوية حجاجا، وهو ما يتوسّل به الكثير في فعلهم، إذ إنّ طرح السؤال أن يضخّم الاختلاف حول موضوع ما إذا كان المخاطب

[1] الآية 74 من سورة يوسف.

لا يشاطر المتكلم الإقرار بجواب ما، كما يمكن أن يلطّف السؤال ما بين الطرفين من اختلاف إذا كان المخاطب يميل إلى الإقرار بجواب غيره >>[1]. ووُرد نسق الآية الكريمة بأسلوب التّقديم والتأخير، ليتمكّن معنى الجواب للمطلوب من الشّرط، ولأنّ الآية وردت في سياق الحديث عن الوفاء بالكيل والميزان، وكان غرض المتكلم من ذلك هو النصح والإرشاد وتعليم العباد بأهميّة الوفاء والعدل .

**الصورة الخامسة**

**اعتراض القسم مع الشّرط وهوما نجده مبثوثا في الأنموذج الآتي:**

من ذلك قوله تعالى :<<دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ >>[2]

البنية التركيبية لهذه الآية ممزوجة بمعنيين حيث جمعت بين القسم والشرط في الآية نفسها حيث علق أمر بأمر آخر يتمثل في قوله من الآية الكريمة <<لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا..... لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ>>

والقصد من وراء ذلك هو التضرع إلى الخالق ويمكن توضيح أركان هذه التركيب الشرطي والقسمي بالشكل الآتي:

---

[1] استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، عبد الهادي بن ظافر الشهري ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، بيروت ، لبنان ، فمن أمثلة الاستفهام وارد مع الشّرط الآيات الآتية ط1، 2004 ، ص 483.

[2]. سورة يونس الآية 22 . – وردت أساليب تتضمن الشرط لهذه الأداة "لئن" : [ 12–14 ] / [ 12–32 ] / [ 62–17] / [46–19 ] / [ 46–21 ] / [17– 86 ] / [17–88 ] / [ 18–36] / [ 18–39 ] / [ 19–46 ] / [ 46–21 ] / [ 26–167 ] / [ 63–08] / [59–11] / [ 29–10] / [ 29–61] / [29–63] / [ 36–18 ] / [ 116–26] / [ 39–38] / [ 59–12] / [ 41–50] / [96–15] .

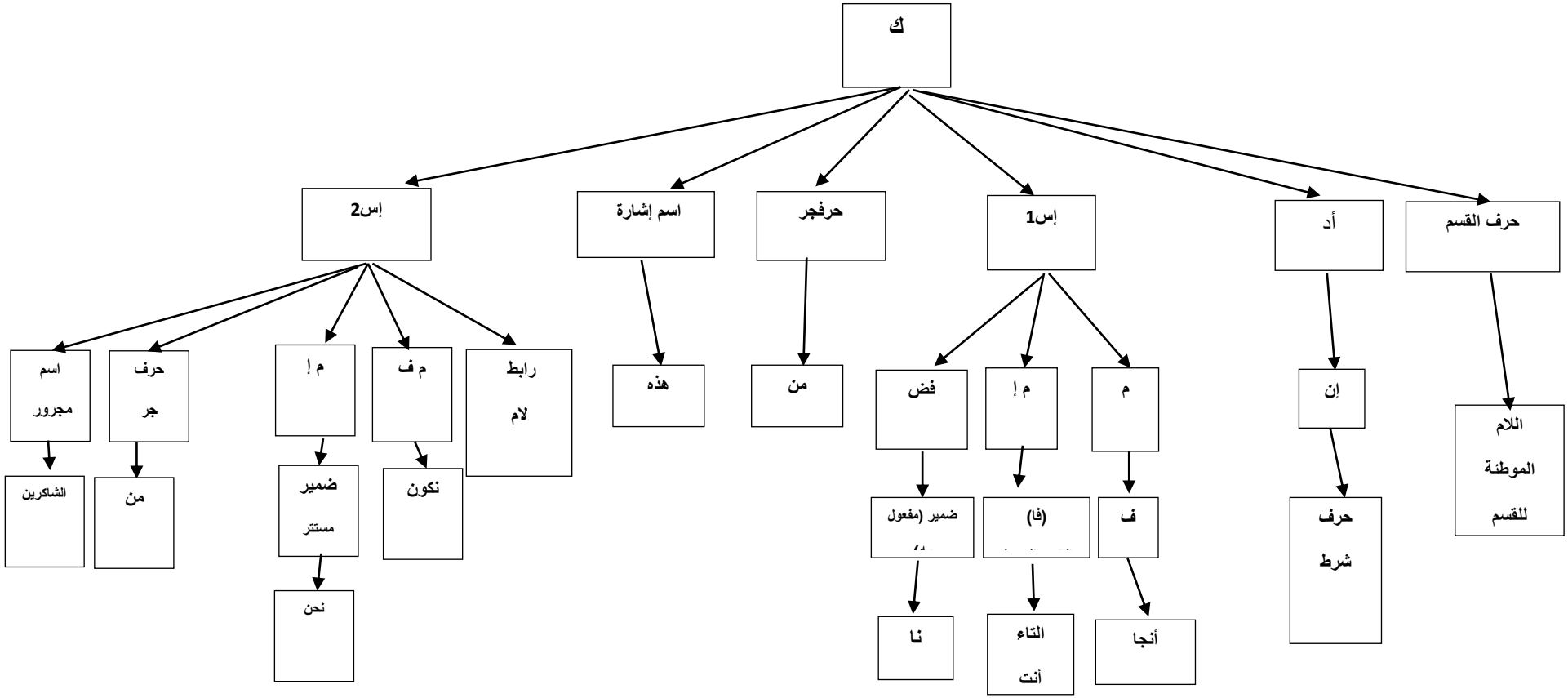
ك
إس2
اسم إشارة
حرفجر
إس1
أد
حرف القسم
اسم
مجرور
حرف
جر
م إ
م ف
رابط
لام
هذه
من
فض
م إ
م
إن
اللام
الموطئة
للقسم
الشاكرين
من
ضمير
مستتر
نكون
ضمير (مفعول
نا
(فا)
التاء
أنت
ف
أنجا
حرف
شرط
نحن

نلاحظ أنّ البنيتين السطحية والعميقة مختلفتان من حيث الإضمار والحذف حيث حذف فعل القسم "أقسم" .أمّا جواب الشّرط فمحذوف أيضا قد دّل عليه جواب القسم والتقدير وأمّا الترتيب فقد وردت جملة الشرط مرتبة ترتيبا منطقيا أي أصليا ولم يغاير المألوف .كما يبرزه هذا التركيب الأدوات المؤكدة للمسند إليه ،والتي تركز الاهتمام إليه من بينها إدراج الحرفين نون التوكيد الثقيلة ولام القسم : النون المشددة واللام الممهدة للقسم فالمتكلم من يعبر عن سجلان بلاء ونعمة أي عن حالة الشدة (ثم النجاة) ثم اشتراط النجاة ليكونوا من الشاكرين أي حالة الشدة تعقبها حالة الرخاء فهنا نرى حسن اختيار الخالق الكلمات المناسبة على مستوى العمودي والأفقي وكان غرضه من ذلك تبيان قدرته على إنقاد البشر من البلاء إذا حلّ بهم .

والمحن التي أصابتهم كبيرة وعميقة جعلتهم يدعون الخالق. كما تنطوي الآية على دلالات أخرى نلمسها من حكمة المضمون الشرطي في هذه الآية وهي:

(1) الدعوة إلى الصمود وتحدي الصعاب .

(2) وجوب القناعة بما عند الإنسان، لأنّها كنز لا يفنى، ولما كان نظام التركيب في هذه الآية قد يبنى على أساس التضاد ظهرت وظيفته المتمثلة في الدلالة على التضاد النابع من تقابل الشكر على نعم الله واجب مع الصبر الكامل على البلاء ،وهو تقابل في الفضاء يميزه التكامل بين العناصر المتضادة لأنّ المتكلم (الذات الإلهية ) حينما اعتمد هذا الإجراء المخصوص الذي يؤدي أسلوبا مخصوصا ويمثل جملا من العربية مخصوصة التي تتبلور فيها هذا المصطلح وهو الشرط لكن مفهوم الشرط لا يتبلور ما لم تتبلور القضية، وهذا ما يتضمن التعبير عن الحاجة الملحّة من المحتاجين إلى المساعدة من الله تعالى وليس استجابة الله لهذا الدعاء إلاّ استجابة لتلك الحاجة لعلها تجسم عزمهم على الطاعة والشكر .

**الصورة السادسة : نمط التركيب القسمي وتداخله بين أسلوبي الشّرط والتوكيد:**

وهو ما نجده في هذه الآية الكريمة يقول الله تعالى: <<وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ>>[1].

[1] سورة هود الآية 07 .

**بنية السطح:** تركيب هذه الآية ممزوج بمعنيين هما القسم والشّرط حيث أنّه أقسم في الآية وعلق أمره بأمر آخر يتمثل في قوله " لئن قلت إنّكم مبعوثون من بعد الموت " أي إن قلت وأكّدت إعادة إحيائهم بعد الممات ردّاً على الذين يدعون عليه الكذب والافتراء بعدم وجود اليوم الآخر الذي يبعث فيه الناس من أجل الحساب لقالوا ما قالوه المنكرين الذين كفروا وكذّبوا بيوم البعث، والقصد من وراء ذلك هو سخطه الشديد على سلوك الكافرين الذين رشقوه بالأكاذيب والافتراءات .

نلاحظ أن البنيتين السطحية والعميقة مختلفتان من حيث الإضمار والحذف حيث حذف فعل القسم " أقسم"، أمّا جواب الشّرط فمحذوف دلّ عليه جواب القسم "ليقولنّ..."، وأمّا الترتيب، فقد وردت جملة الشّرط مرتبة ترتيبا أصليا.

كما يبرز هذا التركيب الأدوات المؤكدة للمسند إليه، والتي تركز الاهتمام حوله من بينها إدراج حرفا للتحقيق والتوكيد : قد، وكذلك لام الممهدة للقسم .

**التنغيم والنبر:**

قد يتوزع التنغيم على القسم والشّرط معا، فتكون جملة التنغيم قسمية إنشائية، وتكون جملة التنغيم الثانية شّرطية تقريرية ، ففي هذا البيت : يوزعها التنغيم على ثلاث جمل أو أربعة نذكر منها ما يلي:

- جملة القسم + جملة الشّرط
- جملة القسم + جملة جواب (القسم )
- جملة الشّرط + جملة الجواب

وفي كل الحالات فالنغمة الصوتية هنا إخبارية مستوية .

**الصورة التركيبية السادسة**

**نمط المزج بين معنى التحضيض و أسلوب الشرط" مع حذف الجواب:**

ونجد ذلك في قوله تعالى :<< وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ>>[1]

صورة التّركيب الشّرطي في قوله :<<لَوْ مَا..... إن كنت من الصَّادِقِينَ>>.

[1]سورة الحجر الآية [7-6] . ورد تركيب شرطي تتصدره هذه الأداة في الآيتين الآتيتين :[15. 7-6 ] .

**ونظامها اللغوي:**

أداة تحضيض" لَوْمَا " + فعل مضارع وجار ومجرور +أداة شّرط +الناسخ والضمير المخاطب (أنت ) فاعل + جار ومجرور .

استعملت لَوْمَا في هذه التّركيب للتعليق في زمن الحاضر فقد أتى فعل بعدها في المضارع على الرغم منَ أنها تستعمل للدلالة على التعليق في الماضي .وقد ذهب المرادي إلى أنّها –حينئذ تختص بالأسماء وأنّ الاسم يرتفع بعدها بالابتداء [1] .

نحو : لَوْمَا ازدهار الثقافة لظل الإنسان متخلّفاً .

**دلالة التركيب الشّرطي:**

وقد جاءت الجملة الشّرطة <<إن كنت من الصادقين.....>> بأسلوب خبري حيث يخبر الله تبارك وتعالى عن كفار قريش لما عرضوا على النّار تمنّوا أنْ لو كانوا مسلمين، ومازالوا في كفرهم وعنادهم وخاطبوا الرسول (صلى الله عليه وسلم) بأنّه مجنون وهو الذي يدّعي إلى اتّباع الدين الجديد الحقّ أي في ادّعائك إيانا إلى اتّباعك وترك ما وجدناه عليه آباءنا >>[2].

كما أنّ السّياق هنا يحمل التركيب الشّرطي دلالات متعدّدة منها: الطلب والتحضيض منه قوله

<<لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ>> أي الإتيان بالدليل على صدق الرسالة كما يتضمن هذا التّركيب دلالة العرض من سياق الآية أي: هلاَّ أنَّكَ تَأْتِي بِالمَلائِكَة يَشْهَدُون لك بِصِحَة مَا جِئْتَ بِهِ، وَ يُعَدُّ إِنْكَارَهُم دَلِيلاً عَلى تَكْذيبِهِم بعثة الرّسُل . وبالرّسالة واليوم الآخر .

أما من حيث ظاهرة التقديم والتأخير تقدمه ما يدل على الجواب نحو قوله تعالى: "لوما تأتينا بالملائكة فافعل إن استطعت".

تقديره الحذف هنا "فافعل" أو فأتينا" ، فالحذف في هذه الآية في غاية من الحسن لأنه قد انضم لوجود الشرط طول الكلام، وهو مما يجوز معه الحذف "ويقدر أن الجواب "فافعل"، إلا أنه أضمر لأن سياق الآية قرينة على تقديره. ويعرف الحذف بأنه"إسقاط لغوي يدفع المتلقي إلى إتمام المقول اللفظي بالجزء الغائب من طريق التأويل، أو

---

[1] ينظر التراكيب الإسنادية –الجمل " الظرفية –الوصفية –الشّرطية " ، على أبو المكارم ،مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة ، الطبعة الأولى 1428 هـ –2007 م ، ص 171.

[2] مختصر التفسير ابن كثير ، تح : محمد علي الصّابوني ، ج2 ، ص 308.

الافتراض الذهني، ويبدو أنّ الاستعانة على كشف سرّه قد تكون من خلال عملية التحويل، باعتماد مفهومي البنية السطحية والبنية العميقة لأنهما يساعدان إظهار العناصر الناقصة.[1] البنية السطحية: مواقع الحذف :"إن كنت من الصادقين.(.....). والبنية العميقة هي: إن كنت من الصادقين 'فأتينا بالملائكة".

واللافت للنظر هنا أن تقدير الجواب حسب السياق الذي ورد فيه، وفي المثال السابق قد خرج المعنى النحوي بإضمار الجواب على حذف الفعل قياسا على قول عبيد بن الأبرص.

فبحظ مما نعيش ولا تذهب بك النزهات في الأهوال والمعنى هنا: "مما نعيش فعيشي"، إلا أن الشاعر هنا أضمر الجواب، فهو مفهوم من خلال السياق والفعل نعيش دليل على تقديره. وقد يحذف جواب الشرط دون تقدم لجوابه أو اكتناف ما يدل عليه، "وقول ابن المعطي: اللفظ إن يفد هو الكلام إما من ذلك ففيه ضرورة، وهو حذف الجواب مع كون الشرط مضارعا، أماّ الجواب الجملة الاسمية وجملتا الشرط والجواب خبر ففيه ضرورة أيضا، وهي حذف الفاء ومثال ذلك قول حسان بن ثابت[2] :

**من يفعل الحسنات الله يشكرها والشـر بالشر عند الله مثلان**

يفهم من قوله أن الشرط إن قدّر جوابه أو علم من خلال السياق فهو كلام مفيد مع كون الشرط مضارعا أو ماضيا، وإن حذف ما يتفرع منه مثل الفعل أو الحرف الرابط "الفاء" فلا يخلو من معناه وإنما ينتج معنا جديدا، وهو مما يحسن في الحذف.

ويمكن أن نمثل لذلك بمثال مأخوذ من كلام الله عزوجل في قوله تعالى : "فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين"[3].

في معنى قوله تعالى : "كما أنّك ليس في قدرتك أن تسمع الأموات في أجداثها، ولا تبلغ كلامك الصم الذين لا يسمعون، أي كذلك لا تستطيع على تبليغ رسالتك الصم كذلك لا تقدر على تبليغ رسالتك الصم بل ذلك كله مرده إلى الله فإنه تعالى بقدرته

---

[1] اللسانيات وتطبيقاتها على الخطاب الشعري، لرابح بوحوش دار العلوم، عنابة حقوق الطبع محفوظة، 1427، 2006، ص211 .

[2] مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام، تح : حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، سنة 1411/ 1991 ص 391.

[3] الآية 52 من سورة الروم.

يسمع الأموات إذا شاء، ويهدي من يشاء، ويضل من يريد إذا رجعوا مدبرين، فهذا الخطاب موجه لمن يسمع ويعقل"[1] ذلك بأن الله هو القادر على فعل ذلك وأن ما يدعون من دونه هو الباطل.

وهذا معناه كذلك أنه لا يمكن أن نعرف الجواب بدون فهم قصد المتكلم وغرضه من إلقاء القول أو الخطاب للمستمع له.

ثالثا: حذف فعل الشرط وحده وشرطه أمران: "دلالة الدليل عليه وكون الشرط واقعا بعد "إلا" مثل: تبْ وإلاّ عاقبتك"[2]، أي وإلا تتب عاقبتك فحذف هنا فعل الشرط بدون الأداة.

وكذلك يحذف الفعلان معا مثل الناس مجزيون بأفعالهم إن خيرا فخيرا وإن شرا فشرا[3].

ومعناه "إن فعل الناس خيرا جزيوا خيرا، وإن فعلوا شرا جزيوا شرا" واللافت للنظر أنه بدأ بحذف فعل الشرط ثم فعل الجواب معا كما نجد هذه الظاهرة (الحذف) بكثرة في القرآن الكريم: نحو قوله تعالى: "وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ..." [4]لعل نظرة فاحصة إلى ماض الحذف من أثر واضح في تأويل النص القرآني وذلك كحذف الفعل بعد الأداة "إن" وبقاء فاعله مثل ما هو وارد في الآية الكريمة ويمكن أن نقدر الفعل بـ "استجارك".

كما نلاحظ أيضا هذه الظاهرة في حذف فعل الجواب نحو قوله تعالى: "من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون"[5].

ومقتضى ذلك أنه يجوز الحذف في كل ما يدل عليه الدليل أو لعلم المخبر به، وفي كل ترتيب ترشد القرينة إلى اللفظ المحذوف ومعناه من الموقف اللغوي الذي وضع فيه.

ولا حاجة لمعالجة اختفاء الكلمات التي حذفت من تركيب الجملة المفيدة خاصة إذا كانت فضلة أي متممات يصح الاستغناء عنها، وأن نهتم بالوحدات الجوهرية التي

---

[1] ينظر مختصر تفسير ابن كثير، الإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الغداء إسماعيل ابن كثير الدمشقي، المجلد (3) اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني، شركة الشهاب الجزائر، قصر الكتاب البليدة – الجزائر ص 59.

[2] ينظر، شذور الذهب، لابن هشام، قدم له اميل بديع يعقوب، ص 307-308.

[3] المرجع نفسه، ص 308.

[4] السبك في العربية المعاصرة بين المنطوق والمكتوب، د/ محمد سالم أبو عفرة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1431/ 2010، ص 119.

[5] سورة التوبة : 5-6

تكون لنا الجمل ولا يمكن بأي حال أن نستغني عنها، أي يجب أن ندرس عملية حذف هذه العناصر الرئيسة للجملة مثل: المسند والمسند إليه.

**الصورة التركيبية السابعة**

**الشرط في ضوء بنية الخطاب السّردي:**

قال تعالى ." إِنْ كَان قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكاَذبِينَ، وَإِنْ كاَنَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ".

إمعانا في ذات الاستكشاف نتوق من خلال هذا الفحص إلى النفاذ إلى آليات السردية الخاصة بالقصص القرآني والوسائل التي توفرها اللغة العربية لتحقيق بنية الخطاب السردي ووظائفه من خلال قصة يوسف عليه السلام .

**1)- المستوى البلاغي:** يؤدي هذا المستوى السمات الخطابية الأساسية تلك التي تؤشر للمركز الإشاري وما ينسج بين المتخاطبين من علاقات وزمان ومكان التخاطب. وكذلك النمط الذي ينتمي إلى الخطاب (سردي وحجاجي)، والأسلوب المتخذ (إنشائي، خبري، تقريري ومهذب)، ويبدو هذا المستوى مغلبا في القصة القرآنية بشكل واضح لكونه من الخطابات الموجهة توجيها ذاتيا .

**طبقة المركز الإشاري:**

يظهر المركز الإشاري معقدا. لأنّ التكلم تم بالوسيط، فالمتكلم هو الخالق سبحانه والوسيط هو الرسول الله (صلى الله عليه و سلم)، والموجه إليهم الخطاب هم عموم الناس، وما اصطلح عليه المتلقون حيث تجلت <<فاعلية التخاطب في اشتمالها على جميع صنوف المتلقين من مستهدف إلى فطري .ومنهما إلى نموذجي أو عادي أو إلى سلبي أو إيجابي ،أو إلى مضمر أو ظاهر .....ومن ثمة فقد تتسلسل في حلقة مكتملة لتشكل لنا صنفين من الناس، صنف مؤمن وآخر كافر >>[1].

[1] مجلة الحكمة الدورية أكاديمية محكمة ع 17 السداسي الأول ،2013، خصوصيات المتلقي وحدوده قراءة في نماذج قرآنية ، أ ، ليلى جودي ص 89

وتختص البنية الإشارية لقصة يوسف عليه السلام في شقها الحواري بالانتقال من مخاطب إلى مخاطب أي من ط1 إلى ط2 دون إعلان مسبق وهو ما تَعَوَدَ على تسميته بالالتفات[1] .

في الدرس البلاغي العربي القديم "" ويمثله قوله تعالى :<<يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ>>[2].

ويعده علماء المعاني من محاسن الكلام لما فيه من تطرية لنشاط السّامع. ويحدد زمان التكلم في زمان نزول سورة يوسف على الرسول الله (صلى الله عليه وسلم ) ومكانه في "مكة المكرمة " .

**طبقة نمط الخطاب:** تنمّط قصة يوسف بالنظر إلى التخاطب المتوخى في مجال الخطاب ( الديني، السياسي، العلمي ) وتفيأ من حيث الآية المشغلة في خانة الخطاب السردي والوصفي والجواري والحجاجي. ومن الواضح أنّ إشارة هذه الأنماط الأدبية المتقاطعة داخل القصة موضوع الدراسة لا يعدو وأن يكون إعلاما، إذ إنّنا سنكتفي في هذا التحليل بالتّصدي للآلية السردية والحوارية فقط .

ونلمح مشاهد حجاجية تبدو ملازمة للفضاء الخلافي الذي تدور فيه الأحداث وتزخر بأفعال دفع من جهة وأفعال إبعاد من جهة أخرى أو تفريغ وملء ،تفريغ الذهن من كل الاقتناعات السالفة وملؤه بما يراد من حجج وإثباتات في هذه الآية الكريمة. إذ هناك تعريض بامرأة العزيز في خيانتها أمانة زوجها وبالعزيز في خيانته أمانة الله حين تجاهل آيات البراءة السّاطعة ولم يتوان في حبس يوسف إرضاء لها. وبذلك ينبري الحجاج باستعمال الشرط كآلية تعبيرية لتبديد الخلافات وتقليص شقة النزاع تستهدف الإمعان فيه وإعادة النظر في تلك الخيانة للأمانة .لأنّ أنجح حجة هي تلك التي تنجح في تقوية البرهان عند من يسمعها وبكيفية تحفزه على المبادرة إقداما أو إحجاما .

**طبقة الأسلوب الخطاب:** صيغة القصة موضوع الفحص صياغة سردية أدبية تتسم بالجزالة والايجاز، وتتخلل أسلوبها الشرطي <<إِنْ كَانَ.....مِنْ قَبْلَ فَصَدَقَتْ وهُوَ مِنْ الكَاذِبِين .....قَدّ مِنْ دَبرَ فَكَذَبْت وهُوَمِنْ الصَّادِقِين >>.

---

[1] تحليل الخطاب في نظرية النحو الوظيفي، نعيمة الزهري منشورات ضفاف، دار الأمان منشورات الرباط ، الاختلاف –لبنان – الجزائر ط1 ، 1435 ، 2014 ، ص 106 .

[2] سورة يوسف الآية 29 .

محسنات بديعية تسهم في استجلاء الدقائق والاستيضاء بنورها، فتحيله إلى ما يعدل الماء في انسيابه وسلاسته لعلّ أوردها "المقابلة" كما في الآية الكريمة السّابقة بما أنّها موضوع الفحص .

**2)-المستوى العلاقي:** يحتضن هذا المستوى السمات التي تؤشر للعلاقات التي تقام أثناء نقل الصورة الذهنية لواقعة أو ذات معينة إلى المخاطب ،وهذه العلاقات علاقتان رئيسيتان اثنتان :

أ) -علاقة تقوم بين المتكلم والمخاطب .

ب)- علاقة تعقد بين المتكلم وفحوى خطابه، وإلى الصنف الأول تنتسب العلاقتان الاستدعائية والإنجازية وإلى الثاني تنتمي العلاقة الوجهية. وبما أنّ القصة تنضوي تحت السرد الذاتي فإنّ ذلك يعني فيما يعنيه تغليب المستوى العلاقي على رديفه الدلالي ، ويستتبع اتّساع رقعة القيم الإنجازية.

**الطبقة الإنجازية:** من المعلوم أنّ المجال الإنجازي للخطاب السردي الخالص تستأثر به القوة الإنجازية الإخبار فيحضر الإنجاز الحرفي وترتفع آليات الاستلزام الحواري، إلاّ أنّ أسلوب الشرط وضوع الفحص في القصة وبحكم توجهها تداوليا تشع بغنى إنجازي حرفي ومستلزم تشكل الحوارية المهيمنة على السورة حرزا له، ولانتسابها إلى الخطاب الديني فإنّها تختزن القوة الإنجازية من مثل: الأمر والاستفهام والشرط ومستلزماتهم التخاطبية مع فسح المجال -بدرجة أقل للقوة الإنجازية "النهي" .

ويعد الأمر أملك للقصة وأكثر استحواذا على مجالها الإنجازي غير أننا سنركز هنا فقط على الشرط موضوع الفحص وبما أنّنا بصدد نص ينتسب إلى الخطاب الديني، وأنّ هذا الأخير يُفَيَأُ ضمن النمط الحواري والحجاجي الذي يختص بالوجه الذاتي المعرفي التقوية باعتبارها استراتيجية خطابية يجنح إليها المتكلم لصكّ مخاطبه وتقوم على دفوع ملقاة إلى منكر أو متماد في إنكاره ،فمن المتوقع أن تكون التقوية حاضرة حضورا مكثفا في هذه القصة فمعظم الأجزاء الحجاجية أرسلت على وجه التقوية وعلى نحو يكفل دفع شكّ المخاطب أو تردده أو إنكاره تبعا لحجم إصرار المخاطب على إنكاره ومن أمثلة ذلك الآيات الكريمة. الآية (20): <<أَرْسِلْهُ مَعَنَا غدًا نرتع ونَلْعَبْ>> يدل معنى هذه الآية على الطلب .

**الصورة الثامنة:**

وذلك في قوله تعالى :<<يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ>>[1] .وقال أيضا <<قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ>>[2].

ما نلاحظه في هذين التركيبين الشرطيين أنّ مجرى معانيها جرى على غير الأمثلة فمحامله متعددة لم نذكر جميع تراكيبها ، لكن في هذين التركيبين دلّت على معنى التحدي .

**بلاغة الخبر بين الغرابة والوظيفة الحجاجية:**

تعد الغرابة أحد مولدات السّرد وأهم منابعه، إنّ وظيفتها الجمالية المتمثلة في شحذ الذهن على التأمل والاستمتاع بالعالم الغريب المفارق للحقيقة كرؤية يوسف عليه السلام الشمس والقمر ساجدين وإخباره أباه بهذه الرؤية تتماهى مع غايتها الحجاجية حيث تسهم في ترسيخ

الأفكار المراد توصيلها وتنقسم الغرابة في أخبار القصة قسمين، غرابة طبيعية لا تتنافى مع قوانين الطبيعة ،بل يمكن ردّها إلى الواقع وتبريرها، وغرابة مفارقة لا يجد العقل لها مسوغا أو تفسيرا عقليا يسهم في تأويل الرؤية والاستيضاء بنورها ،فتحيله إلى ما يعدل الماء في انسيابه لعلّ أوردها الكناية كما في قوله تعالى : <<أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ>>[3]."فالبقرات السمان" و" السنبلات الخضر " كناية عن سنين مخاصب، أما "العجاف "و"اليابسات " كناية عن سنين مجدبة واستخدام "آلية الانعراج" في عملية التخاطب حيث يوجه الخطاب إلى ط1 ويكون المقصود به هو ط2.فيتحدث كما أسماه المتوكل "خطابا منعرجا" ويريد به الخطاب الذي ينكر ما هو معروف فينعرج ولا يلقى إلى مخاطب واحد وإنما يلقى إلى مخاطبين اثنين: مخاطب صريح ومخاطب ضمني.[4] الغرابة إذن، كما يتبين من خلال تحليل خبرين سرديين، وسيلة لإبراز عظمة الخالق

[1] سورة يوسف الآية 43

[2] سورة يوسف الآية 74

[3] سورة يوسف الآية 43

[4] تحليل الخطاب في نظرية النحو الوظيفي نعيمة الزهري ،دار الأمان ،الرباط ط1 2014 .ص 108.

القيم النبيلة، وأداة حجاجية تفسر وتعلل مقولة الاتفاق، وهي من جهة تسمح بتمرير خطاب توجيهي للحاكم، تهذب سلوكه وتحمله على فعل الخير ونهج السلوك الحسن .
على هذا النحو أمكن النظر إلى الخبر باعتباره أحد أجناس الخطاب السردي التي تجيب دوما عن سؤال حجاجي مضمر.<<إنّ يرد ضمن خطاب تواصلي يعلم ويوجه ويفسر مع ترسيخ القيم والسلوكات والمفاهيم في ذهن المتلقي >>[1].
كما أنّ السّارد هنا لا يستجيب لرغبة الحاكم الذي ظلم سيدنا يوسف ونفذ رغبة زوجته، ولكن يحاول السارد أن يمرّر خطابه الخاص خلف أقنعة السرد التي يرتديها الخبر .
وهذا يعني أن للتواصل وظيفة مزدوجة ،تسعى إحداها إلى الاستجابة فعليا بواسطة انتاج نص حكائي يستند إلى مكونات نوعية تمثل عناصر حاسمة في تحديد سرديته .كما يضمر هذا الخبر غرضا بلاغيا خفيا يسعى السّارد إلى توصيله لدى المتلقين ،فهو يرسم بواسطة العبرة السّردية المستخلصة وبألوان من الأساليب من الخبر صورة مثالية لما يجب أن يكون عليه الحاكم ينبغي أن يتصف بها، ذلك أنّ الشّر الذي تتمحور حوله أحداث القصة بما فيها من أخبار يحيل بصفة ضرورية إلى ثنائية "الظلم والعدالة" باعتبارها مقولة تحيط بالإنسان وتصنع وجوده في الحياة .

**الصورة التاسعة : توالي في استخدام "إنْ"الشرطية بصورة مباشرة دون عاطف:**

قرر النحاة أنّ من الأساليب الواردة في التّراث اللغوي تعدّد كل من أداة الشّرط وفعله، << وجَلِيَ من هذه النصوص وما شاكلها أنّه لا يقع بعد الشّروط المتعدّدة إلاّ جواب واحد >> من ذلك قول الشاعر:[2]

إنْ تَسْتَغِيثُوا بِنَا إنْ تذعر واتّجِدُوا  مِنَا مَعَاقِلُ عَزَ زانها كَرَمِ

وهو ما سنقف عليه في هذا الأنموذج : قال الله تعالى :<<وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ>>[3].

---

[1] المرجع السابق ، ص 182 .

[2] التّراكيب الإسنادية ،الجمل الوظيفية +الوصفية –الشّرطية ، علي أبو المكارم ،مؤسسة المختار للنشر والتوزيع – القاهرة ط1 ،1428 هـ / 2007 م ، ص 199 .

[3] من الآية (34) من سورة هود

إنّ ما ضارَع هذا التركيب نجد أنّ لكل أداة جملتها الفعلية التي تليها مباشرة وتحتاج بعد هذا إلى جملة جوابية تخضع للأحكام الآتية: "إن كان التوالي بغير عطف فالجواب للأداة الأولى وحدها ،ما لم تقم قرينة تعين غيرها. أما باقي الأدوات فجوابه محذوف لدلالة جواب الأولى عليه"[1] .ورد في هذه الآية الكريمة شرطان ولم يذكر فيها جواب، وإنما تقدم على الشرطين ما هو جواب واحد

في المعنى للشّرط الأول، حيث وقع مقدّما عليه في عبارة الجواب ،فيجب أن يقدر إلى جانبه ويكون الأصل وهو "إن أردت أن أنصح لكم فلا ينفعكم نصحي"

<<وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي >>، وأمّا الشّرط الثاني فإنّ جوابه محذوف دلّ عليه جواب الأوّل والشّرط الثاني مقيّد لما في الشّرط الأول من إطلاق ،فهو يؤدّي من حيث المعنى وظيفة الحال .

ونحن إذا نقف عل ظاهرة الملفوظ الأكثر بروزاً والأكثر دلالة المتمثل في كلمة " نصح" فإنّما نهدف إلى اسْتِنْطَاق الأهلية التّداولية لذلك الملفوظ من الملفوظات التي تكون معه الجملة الشّرطية، سواء كانت كلمات مستقلة، أو تابعة أو عبارات، أو جملا تنتظم فيها الكلمات على نسق يؤدّي المقصد، ويحقق غاية التّأثير في الموقف الكلامي.

ونَلْحظ أنّ اللفظة " أنصح" متمكنة في موقعها حيث اجتمع فيها أو منح الأصوات، وأكثرها عذوبة وقدرة على التّعبير عن محتواها الدلالي الموزع بين << الإخلاص، والبعد عن الشوائب وتحرّي كل قولٍ أو فعل فيه صلاح >>[2]، كما يوحي أنّ النّصح والإخلاص أمر نابع من قرارة النّفس وصميم الإنسان، يليه نقاء السّريرة وصفائها، ووضوح الهدف والبعد عن الغشّ والخلوص من الشّوائب .

كما يوحي أنّ النّصح يقتضي العفوية والعزيمة كي يدخل من القلب إلى قلب السّامع مباشرة.

---

[1] النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، لعباس حسن , دار المعارف، مصر ج 4,دط ص367,

[2] تجليات الدلالة الإيحائية في الخطاب القرآني، في ضوء اللسانيات المعاصرة، سورة التوبة أنموذجا ، فخرية غريب قادر ، عالم الكتب الحديث –أربد– الأردن ط 1 ، 2011/1432 ص 40 .

وبهذا فإنّ اللفظة في موقعها تجسّد مظهرا من مظاهر المناسبة التّامة. مناسبة الأصوات لكلماتها، ومناسبة الملفوظات لسياقاتها ومواقفها. وتمّة ملحظ صوتي تتلمّسه من السياق الذي وردت فيه الآية وهو كثافة الأصوات المهموسة والرخوة التي لها سمة الانسيابية والطواعية، لتتناسب مع مقام الحديث عن الرّسول الله (صلى الله عليه وسلم ) رقيق القلب في دعوة قومه إلى اتّباع الصراط المستقيم ، فالطّواعية والعفوية والصّدق جزء لا يتجزّأ من منهج حياته ، وذلك أنّ الإيقاع المرافق لنطقه إيقاع راخٍ هادئ ليّن مناسب للمقام .

**الصورة الحادية عشرة الجملة الشّرطية المنسوخة:**

1. إنّ المتأمل يلاحظ في مسار التّواصل بين إبراهيم والذات الإلهية أنّ الرّسالة بين القطبين نحتمل أحيانا قطبا مرسلا آخر غير "إبراهيم " عليه السّلام، وهو باعتبار لحظة الوحي النّبي محمد صلى الله عليه وسلم واحد، وحال قومهما أيضا واحد، مثل ذلك ما ورد في الآيات من سورة العنكبوت، يقول تعالى: <<وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا.....>>[1]. والذي يُمعن النّظر في الآية السّابقة سيتبيّن أنّ بنيتها التّركيبية تتكون من أداة الشرط والناسخ والضمير المتصل والفعل.وأداة الحصر.....أما عبارة الجواب فكانت مقدمة وتتمثل في اعبدوا الله واتقوه.

والملاحظ أن الآيات جملة مقول قول إبراهيم عليه السّلام وهو كلام يتوجّه بها إلى قومه بوحي من الله سبحانه وتعالى، وهي << رسالة تَحْتَمِل مُرْسِلَيْ ومرسل إليْهِمَا نُجَسِدُه في الترسيمة الآتية : [2]

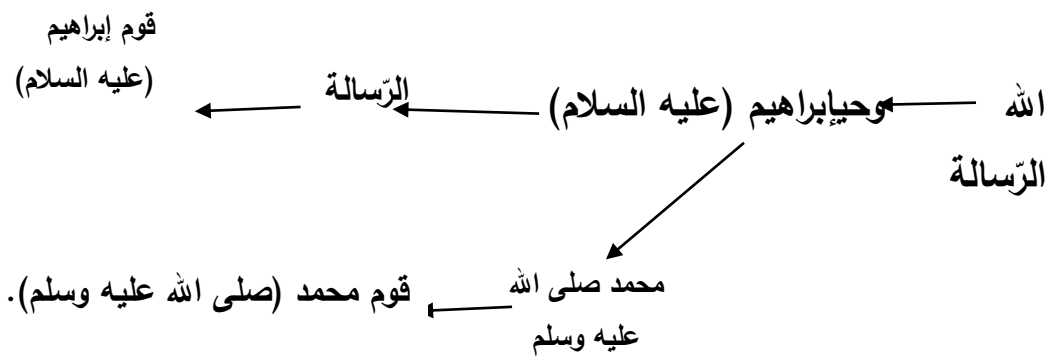


[1] سورة العنكبوت الآية 16 .

[2] البنية السّردية في قصة النّبي إبراهيم (عليه السلام ) ، حلومة التجاني ، دار مجد لاوي للنشر والتوزيع –عمان – الأردن ط1 ، 2013–2014 ص 34.

**الصورة الثانية عشرة: تعدّد الشّرط مع اقترانه بعاطف:**

ورد هذا الأسلوب في كثير من النصوص الفصيحة، ومن ذلك قوله تعالى :

<< قل أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ >>[1].

إذا ما بحثنا عن نوع آخر من المخاطبين هنا في هذه الآية الكريمة نجد المتلقين النموذجيين الذين نحسبهم من أبرز الأصناف وضبط دورهم ،ذلك أنّ طبيعة أي متلق نموذجي –من حيث هو عضو مشارك في الخطاب ومتمثل له – تتطلب منه تَفَاعُلاً على قَدْرِ الأمانة التي أهلّها الله بها ليحْمل مسؤوليتها، فقال الله تعالى : <<. قل أَطِيعُوا اللَّهَ.....فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ.....>> وعن الرّسول الله (صلى الله عليه وسلم ) قال : <<يا مَعَاشِرَ قُرَّاءِ الْقُرْآنِ اتَّقُوا اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ فِيمَا حَمَّلَكُمْ مِنْ كِتَابِهِ، فَإِنِّي مَسْئُولٌ وَ إِنَّكُمْ مَسْئُولُونَ، إِنِّي مَسْئُولٌ عَنْ تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ، وَ أَمَّا أَنْتُمْ فَتُسْأَلُونَ عَمَّا حُمِّلْتُمْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَ سُنَّتِي>>[2]. فما إنْ يقوم هذا الصنف من التلقي بتمثل الخطاب حتّى يتحوّل الاتصال إلى تواصل، وهكذا يتجاوز المخاطب البحث من مدلول الخطاب إلى الكيفية التي يدّل بها .

**الصورة الثالثة عشرة تقديم الجواب على الشّرط:**

قال الله تعالى :<<وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ>>[3].

**مقوّمات أدبية القصة القرآنية ذات البعد التاريخي:**

نهتم في هذا التحليل برصد المقومات الفنية، والحيثيات السياقية للقصة القرآنية وذلك في سبيل البرهنة على أنّ القصد التربوي لا التاريخي هو غاية ذلك القصص ومجال تأثيره ،وهو قصد لا يمكن تحققه إلاّ عبر قنوات إبلاغيه فنية أي في نطاق الأدبية الإعجازية ذات البعد الغيبي و نحاول إسقاط تصوّرنا حول مفهوم حرية المبدع

---

[1] الآية 54 من سورة النور.

[2] خصوصيات المتلقي وحدوده قراءة في نماذج قرآنية ، ليلى جودي مجلة الحكمة دورية أكاديمية للدراسات ص 67 الأدبية واللغوية ع 17 . *–وردت مثل هذا الأسلوب المتعدد الشرط : [ 06–65] / [ 50–41] .

[3] سورة يوسف الآية [44–43 ].

(القاص) عامة في التعاطي مع الأحداث التاريخية حسب متطلبات الخلق الفنّي على الخطاب القصصي القرآني: فنتساءل قائلين: هل توجد فيه يا ترى تلك الحرّية أو التزام طريقة واحدة هي طريقة الصدق والتقصي عن الحقيقة حين يصّور أحداث التاريخ ؟ ليكون الجواب مباشرة بعد الاستقراء تأكيد أنّ ظواهر كثيرة من ظاهرات الحرية الفنية توجد في القرآن الكريم، ومن أبرز تلك الظواهر إهمال القرآن في القصة لعاملي الزمان والمكان، وانتقاؤه أحداثا بعينها دون أخرى ،وذلك بتركيزه على الوقائع التي تحقق الغرض التربوي دونَ الإغراق في التفاصيل والجزئيات والدقائق[1]، إلى جانب عدم تقيّده بالترتيب الزمني المنطقي حسب خطّيته الأفقية التاريخية وعموما فإنّ التحري في إطار إثبات مدى تصرّف الخطاب القرآني بحرية في الأحداث التاريخية وعدم تقيّده بدقتها الحرفية إلى رصد جملة من المقوّمات والخصائص التي من شأنها تكريس أدبية القصة القرآنية والتي يمكننا حصرها في ثلاثة أنواع أساسية هي المقوّمات السردية والمقوّمات البلاغية الأسلوبية، والسياقات الحالية تخص هذه المقوّمات مشكلات الخطاب السردي خاصة الأحداث، إدارة الحوار السردي والشخصيات والحوار حيث نرى أطراف الفواعل حاضرة في القصص . فالمراد بالملك هنا هو الملك الأكبر الريان بن الوليد الذي كان العزيز وزيرا له رأى في نومه لمّادنا فرج يوسف عليه السّلام أنّه خرج من نهر يابس سبع بقرات سمان في إثرهنّ سبع عجاف أي مهازيل .وقد أقبلت العجاف على السّمان فأكلتهنّ، ولقد عبّر بالفعل تعبرون لاستحضار الصورة في آنيتها وقوله << أيّها الملأ أفتوني .....>> خطاب موجّه للأشراف من قومه وأفتوني هنا بمعنى أخبروني بحكم هذه الرؤيا، أمّا كلمة تعبرون أي تعلمون عبارة الرؤيا وأصل العبارة مشتقة من عبر النّهر، فعابر الرؤيا هنا يخبر بما يؤول إليه أمرها .أمّا اللام في كلمة للرؤيا للتبيين أي إن كنتم تعبرون ثمّ بيّن فقال للرؤيا .

[1] ينظر الخطاب القرآني _مقاربة توصيفية لجمالية السرد الاعجازي سليمان عشراتي , ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية _بن عكنون _ الجزائر ,1998 ص 105

**ومن الناحية اللغوية:**

- يُقَالُ عبرت الرؤيا أعبرها وعبّرتها، سرتها، وعبرت عن فلان إذا تكلمت عنه. فسميت الألفاظ الدالة على المعنى عبارات، لأنّها تُفَسِر ما في الضمير الذي هو مستور، كما أنّ المعبّر للرؤيا يُفسّر ما هو مستور وهو عاقبة الرؤيا .[1]

و قيل اللام للتقوية وتأخير الفعل العامل فيه لرعاية الفواصل وبتأمل فاحص، وأمّا فيما يخص استعمال الكناية في الآية فلقد نلاحظ تطورا في استعمالها وتوظيفها تمهيدا للتركيب الشّرطي .

**حجاجية النص السردي التحليلي:**

قدّمت لنا الآية الكريمة خبرا طريفا واردا في نصها وذلك ضمن الصورة البلاغية الجزئية تتمثل في الكناية عن سنين خصبة وأخرى جذبة ،وذلك من أجل بناء صورة كلية قادرة على تأويل الرؤيا وكشف نظام هذا التركيب وصيرورته الإقناعية ،واعتمدنا في هذا التحليل على القيام بعقد ترابطات بين مركبات النص السردية بناء على العلاقات البلاغية الماثلة في الكناية .

وقد أتاح ذلك استنباط المسار الاستعاري العميق للنص من خلال آلية المقايسة التي أدت وظيفة أشبه ما تكون بالكناية أو الرّمز، ليستنتج في الأخير أنّ التحويل الرمزي الذي قام به النص هو << مرافعة ذكية تخلط الجدّ بالهزل، والواقع بالخيال ،والحجّة بالسّخرية ،قصدا لتلبيس الموقف ( أو تمْييعه نسبيا ) وصولا إلى تهوين شأنه ،وذلك كلّه للتلاؤم مع واقع المجتمع الإسلامي ،حيث حياة البلاطات والملوك والأمراء وما تقتضيه من رخص ،وحياة الجمهور والعامة وما تستدعيه فتاوى التحريم والزّجر >>[2].

وهنا يقوم التحليل الحجاجي للنص السردي على استراتيجية تروم الانتقال بالصورة البلاغية من مستواها الجملي إلى المستوى الخطابي النصي، ويتمّ ذلك بالتحويل الحكائي للصورة البلاغية. قصد الخروج من مستوى الجملة إلى مستولى النص. هذه الإجراءات تتحقق من خلال الكشف عن علاقات المتشابهة بين المكونات الحكائية

---

[1] الألفاظ والدلالات الوضعية،بحث في مناهج الاستنباط ،نذير بوصبع،دار الوعي الرويبة الجزائر –2008، حقوق الطبع محفوظة للناشر، ص 348 .

[2] البلاغة والخطاب،إعداد وتنسيق د. محمد مشبال،منشورات ضفاف بيروت دار الأمان الرباط ،منشورات الاختلاف (الجزائر ) ط1 2014/1435 ، ص 300.

التي هي أساس العلاقات التخيلية تكون إمّا بالاستعارة أو الكناية، والانتقال من المستوى الظاهري للنص إلى باطنه الرمزي والكنائي عن طريق القيام بالمقايسات المناسبة ،ثمّ ربط النص بمقصديتها المنسجمة مع سياقه التاريخي، أي وفق البعد التربوي والتاريخي للقصة في النص القرآني، عند هذا المستوى الأخير تتحقّق حجاجية النص التي هي في النهاية استنباط للبنيات الحكائية وردها إلى أصلها البلاغي القائم على المشابهة والمقايسة وعلاقة كل ذلك بالقصدية الاجتماعية أي البعد الاجتماعي للنص.

إذن فالحجاج البلاغي السّردي هنا هو ربط حبكة القصة في النص بمقولات بلاغية قادرة على الاقناع والتّعبير عن المقصدية التي يرمي إليها الشارع أي المتكلم.

**الصورة الرابع عشرة**

**توسط الشرط بين ما أصله المبتدأ والخبر** : في قوله سبحانه وتعالى: " فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ" [1]

عناصر التلازم الشرطي :

أداة الشرط : إن

جملة الشرط : إن توليتم

جواب : محذوف

جاء التركيب الشرطي "بعسيتم ولم ترد (عسى)، وذلك بسبب لفظي واحد، وهو أن (عسى) قد فصل بينهما وبين خبرها بجملة طويلة فأسندت إلى الضمير حتى لا يؤثر هذا الفصل في السماع، وكثيرا ما يلاحظ القرآن في تعبيراته الناحية اللفظية وموسيقى الآيات"[2].

الأداة، يتضح لنا أن أداة الشرط استعملت هنا كموضحات.

[1] الآية 22 من سورة محمد، ورد مثل هذا الأسلوب (5-66)

[2] النواسخ الفعلية والحرفية (دراسة تحليلية) أحمد سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية 2015، ص 85.

**الصورة الخامسة عشرة: اجتماع التركيب النّدائي بالشّرط المعتمد على الأداتين "إنْ" و"إذا" :**

**النص القرآني الآتي:**

قال سبحانه : <<يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ>>[1].

يتركب هذا التّعبير من أداة النّداء "يا" و {أيّ} منادى نكرة مقصودة مبني على الضم في محل نصب، والهاء : حرف تنبيه، {الناس} بدل من أي أو عطف بيان مرفوع لفظا وجملة النداء { ياأيها.....} لا محل لها ابتدائية ، والجملة الشرطية ( إنْ كنتم .....) تتركّب من أداة الشرط و{ كنتم } فعل ماض ناقص ناسخ مبني على السكون وهو فعل الشرط + جار ومجرور{في ريب} متعلق بمحذوف خبر "كنتم" + جار ومجرور + الفاء الرابطة لجواب الشّرط + ناسخ "إنّ" واسمها ضمير + فعل الجواب ماض مبني على السكون والضمير المتصل "نا" في محل رفع فاعل تقديره نحن ، وكم ضمير متصل في محل نصب مفعول به و{ من تراب } جار ومجرور متعلق "بخلقناكم" بحذف مضاف إليه أي آباكم، ويعطف عليه بحرف العطف { ثم} من قوله {من نطفة} إلى قوله { من مضغةٍ } "غير" معطوفة على مخلّقةٍ مجرور، اللام للتعليل، و"نبين" فعل مضارع منصوب ب "أن " مضمرة بعد اللام .

والفاعل "نحن" للتّعظيم ومفعوله محذوف أي كمال قدرتنا + جار ومجرور "لكم" والواو هنا استئنافية +فعل مضارع "نُقرّ" + جار ومجرور + اسم موصول +فعل مضارع مرفوع + جار ومجرور + نعت وثم العاطفة + فعل مضارع + الضمير المتصل "كم" في محل نصب مفعول به. والفاعل ضمير مستتر " نحن " + حال منصوبة +العاطف "ثم" + اللام التعليل كما أنّها تفيد معنى الصيرورة + فعل مضارع + مفعول به + الضمير المتصل "كم" مضاف والواو عاطفة + جار ومجرور "منكم" متعلق بمحذوف

[1] سورة الحج الآية 05

خبر مقدّم من اسم موصول مبني في محل رفع مبتدأ مؤخر + فعل مضارع مبني للمجهول، ونائب الفاعل ضمير يعود على من هو العائد والواو العاطفة : و"لكيلا " مركبة من حرف جرّ وحرف مصدري ونصب وحرف نفي "لا + فعل مضارع منصوب + جار ومجرور ومضاف +مفعول به +حرف عطف "واو" وفعل مضارع مرفوع ويقصد به الرؤية البصريّة والفاعل ضمير مستتر "أنت" ، والأرض مفعول به ، "هامدة" حال منصوبة + رابط الجواب " الفاء" + جملة الشّرط ماضوية + عبارة الجواب (فعلها ماض) + حرف عطف ورَبَت: فعل ماض مبني على الفتح المقدّر على الألف المحذوف لالتقاء السّاكنين والفاعل ضمير مستتر "هي" والواو: حرف عطف +فعل ماضٍ والتاء التأنيث الساكنة والفاعل "هي" +جار ومجرور ومضاف +نعت . ويمكن تقدر مفعول "أنبتت " المحذوف ب أشياء أو ألوانا .

ومن اللافت للنظر استخدام حرف العطف(ثمّ)، وتكراره خمس مرات في قوله السابق، مما يوحي هذا الحرف بحالة الانتقال من وصف إلى آخر أومن طور لآخر ثم تدرج إلى آخر مرحلة من أطوار حياة الإنسان. وإذا نظرنا إلى محل الجمل نجد أنّ جملة {يا أيّها الناس} لا محل لها استئنافية، وجملة {إن كنتم.....} لا محل لها جواب النّداء أمّا جملة "إنّا خلقناكم " لا محل لها تعليل لجواب .

والشّرط هنا مقدّر : "أي" إن كنتم في ريبٍ من البعث فانظروا في ما حولكم فإنّا خلقناكم. وجملة {خلقناكم} في محل رفع خبر "إنّ" وجملة "نبين لكم" لا محل لها صلة الموصول وجملة "نُقرّ" لا محل لها استئنافية مبنية لما سبق ذكره .أمّا جملة {أنزلنا} في محل جرّ مضاف إليه .وجملة اهتزت لا محل لها جواب شّرط غير جازم .كما تضمن الخطاب القرآني الشّرط في قوله :<< وتَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ.....>>، هذا التركيب الشرطي يتركب من أداة الشرط "إذا" وفعل الشرط "أنزلنا" وفعلي الجواب "اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ "، الذي لا يتصور تحققهما إلاّ بتحقيق مضمون الشّرط <<إِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ>>، وفي السياق نفسه نجد مثل هذا الأسلوب في سورة فصلت وهي من الآيات المتشابهات حيث تتشابه وحداتها وترتيب عناصرها ترتيبا منطقيا لكن تختلفان في الوصف أي في دلالتها حسب مضمون النص القرآني،

وذلك نحو قوله تبارك وتعالى : <<وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ >>[1].

تفسير الميسر لدلالة هذا الخطاب القرآني : قال الله في خطابه : يا أهل مكة إنْ كنتم في شكّ من أنّ الله يحيي الموتى فإنّ خلقنا أباكم آدم من تراب ثم تناسلت ذريته من نطفة هي منيّ ثم من لحمة قدر ما يمضغ مصورة تامة الخلق تنتهي إلى خروج الجنين حيّا، وغير تامة الخلق فتسقط لنبين كمال قدرة الله بتصريف مراحل الخلق ولتستد لوابها في ابتداء الخلق على إعادته وبعثه من جديد كماله القدرة على أن يُبقي في الأرحام ما يشاء، وهو المخلق إلى وقت ولادته، وتكتمل الأطوار بولادة الأجنّة أطفالاً صغاراً تكبر حتى تبلغ الأشد وهو وقت الشباب والقوة واكتمال العقل، وبعض الأطفال قد يموت قبل ذلك، وبعضهم يكبر حتى يبلغ سنّ الهرم، فلا يعلم هذا المعمّر شيئا ممّا كان يعلمه قبل ذلك، ويرى الأرض يابسة ميتة لا نبات فيها، فإذا أنزلنا عليها الماء تحركت بالنبات وارتفعت وزادت لارتوائها وأنبتت من كلّ نوع من أنواع النبات الحسن الذي يسرّ الناظرين .

ومن الصور البيانية نجد ائتلاف الطباق والتكافؤ لمجيء أحد الضدّين أو أحد المتقابلين حقيقة والآخر مجازاً، " فهمود الأرض" و"اهتزازها" ضدّان، لأن الهمود سكون وطمأنينة والاهتزاز هنا حركة خاصة وهما مجازان، والربو والإنبات ضدّان وهما حقيقيان، وإنما قلنا ذلك لأن الأرض تربو حالة نزول الماء عليها، وهي لا تنبت في تلك الحالة، فإذا انقطع ماء السماء وذهب الهواء وجفّت رطوبة الماء خمد الرّبو وعادت الأرض إلى حالها من الاستواء والتشقق وأنبتت فصدر الآية تكافؤ وما قابلة في عجزها طباق .

أمّا من حيث الجانب البلاغي نرى المجاز العقلي في قوله { أنبتت .....} فقد أُسند الإنبات للأرض، وهو مجاز لغوي، لأن المنبت في الحقيقة هو الله سبحانه وعلاوة على أن المجاز خلاف الحقيقة التي هي من أحق الأمر يحقّه إذا أثبته أو من حقّقته إذا كنت على يقين، وإنما سمي خلاف المجاز بذلك لأنه شيء مثبت معلوم بالدلالة .

[1] سورة فصلت الآية 39 .

كما تدّل هذه الآية على وجود الله تعالى وإثباتها بأدلة فطرية يدركها العقل و الضمير معا، وهذه الآية التي بين أيدينا من نوع الأدلة الفطرية فقد عرض الله فيها أطوار خلق الإنسان منذ كان نطفة إلى أن أصبح شيخا عاجزا على حافة الموت، فالمتأمل لتطوّر حياة الإنسان يدرك أنّ الذي خلقه ورعاه في هذه المراحل قادر على أن يعود فيبعثه من جديد ويحاسبه على ما كسبت يداه بالخير أو الشّر وأنّ الله قادر على كل شيء .

**مراعاة السّياق في اختيار اللفظ:**

وصف الخطاب القرآني الأرض في النص الأول بأنّها "هامدة" ووصفها في النص الثاني بأنها "خاشعة"، وهذا ليس مجرّد تنويع في التّعبير القرآني، لأن التدبّر وتمعن النظر في سياق الآيتين يظهر سرّ هذا التّغيير ويجلّيه. إنّ توظيف الأرض الموصوفة باسم الفاعل "هامدة"، تأكيداً لعموم الهمود على نقيض ما تعنيه الأرض قديما وحديثا يؤدي مالا يؤديه التعبير المباشر غير الحائد ، إنّه مركب وصفي ممزوج بالشرط يمرّر رسالة من نوع خاص، تعبّر عن ذهول المستضعفين عن العمارة في الأرض .

أمّا وصفها بكونها " هامدة"، فقد ورد في سياق بعثٍ وإحياء، فالناس خلقوا أصلا من تُراب، وسيبعثون مرة ثانية من التّراب، والتراب مادة جامدة ساكنة، فممّا يتناسب مع هذا السياق وصف الأرض بأنها هامدة، فإذا نزل عليها الماء اهتزت وربت وظهرت فيها الحياة وأمّا وصفها بالخشوع (خاشعة)، فقد جاء سياق عبادة وخشوع وسجود، وهذا السّياق يتلاءم معه وصف الأرض بأنها خاشعة، فإذا نزل عليها الماء اهتزت وربت .

ويحسن أن نلاحظ أنّ الهدوء والطمأنينة يتّحدان في المعنى العام وهو خشوع الأرض لخالقها تبارك وتعالى، وهو كذلك السّكون، لكنهما يختلفان في بعض الدّلالات. لذلك كان الهمود مناسبا في السياق الذي يدور معنى الحديث فيه على الإحياء والبعث، وكان الخشوع ملائما في السّياق الذي يدور معنى الحديث وموضوعه فيه على العبادة والسّجود والتسبيح. ونعتبر هذا التأليف أو النظم المعنوي للكلام بما فيه التّوافق البياني في القرآن الكريم نهاية في التناسب البياني لاختيار اللفظة المناسبة في الموضع المناسب ذلك أنّ "إنْ" الشّرطية إنّما تستعمل عند الشكّ بخلاف إذا مثلا تستخدم عند

التحقيق في مضمون النص. [1] وهذا كلّه يصير مبررا للعملية الإبداعية، ومثبتا لمقاصد وقواعد البناء التي يرومها المتكلم .

**الصّورة السّادسة عشرة : تتابع الشرط في النص القصصي**

تبدأ القصة بخطبة لموسى عليه السلام في بني إسرائيل، دفعت أحد الناس ليسأله بعدها، "من أعلم الناس فأجاب موسى: أنا فعتب الله عليه وأوحي إليه أن له عبدا في مجمع البحرين هو أعلم منه، فقال موسى يا رب كيف لي به؟ فأمره الله أن يأخذ حوتا فيجعله في سلة وحيثما يفقد الحوت فان مكان فقده هو مكان وجود الخضر وحين يجده فعليه أن يصحبه ليستفيد من علمه.

ومن ذلك قوله تعالى في سورة الكهف. **قال عز وجل:**"... **(69)قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (70)فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا(71)...**"[2]

إنّ التوجه الحجاجي لسلسلة الأفعال الكلامية التي يتكون منها هذا النص يتغير تغيرا أساسيا حين يشرع موصى عليه السلام في محاورة الرجل "خشر" بل إن أساليب الاقناع تظهر بشكل أكبر على لسان هذا الرجل الحكيم "خضر".

وقد استعملها هنا بما يؤكد لدينا التوجه الحجاجي لهذه القصة، ونستطيع تلخيص الغرض الإنجازي لهذا الحوار الذي دار حول الإقناع في قول فإن اتبعتني ..." أكثر من مرة في هذا النص.[3]، فهذه العبارة الإخبارية البسيطة تتخذ في هذا النص غرضا إنجازيا يمكننا أن نسلكه ضمن البوحيات" أي تلك الأفعال التي يكون الغرض الانجازي منها التعبير عن الحالة النفسية[4]، فحينما قال الرجل جاءت في سياق حديثه. كما تبرز هذه الجمل الشرطية تداخلا بين نظامين للتلفظ:

---

[1] الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن –دراسة تحليلية نقدية ، عبد الرؤوف مخلوف ، دار مكتبة الحياة بيروت ، جميع الحقوق محفوظة ، 1973 ، ص 356

[2] سورة الكهف : الآية 69–71.

[3] تداولية الخطاب السردي (دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي، محمود طلحة تقديم مسعود صحراوي، عالم الكتب الحديث إربد، ص 109.

[4] المرجع نفسه، ص 109.

**أولا:** الحكي أو السرد.

أما عن صاحب الملفوظات الذي يسرد هذا الحوار يعرفه السامع أو القارئ

**ثانيا:** الخطاب أو نظام التلفظ المتمفصلEmbrayé[1]

إذ تسند الأقوال في هذا الحوار إلى شخصيات، وتستطيع من خلال هذه الأقوال تحديد مقام التلفظ وهذا هو المقصود بمشهد التلفظ إذ إن النص يبنى مقام التلفظ الخاصة به انطلاقا من المبهمات والمحددات الموجودة في هذه المحاورة، فمثلا للمبهمات المكانية أو الظروف وأسماء المكان[2] قوله

استعمال الفعل الماضي والمضارع للدلالة على حالهم مرهونا بزمن الحدث الرئيسي وهذا الاستعمال خاصية من خصوصيات التعبير الزمني في اللغة العربية ويستمر هذا الاستعمال في بداية كل آية غير أن الرابط

غير أن الرابط الذي يجعلنا نقول باستمرار السرد دون الإحالة إلى راو معين هو استعمال أداة العطف التي تفيد الربط والترتيب بين الأحداث وهي "الفاء" بين الجمل.

**الصورة السّابعة عشرة: إدماج الأساليب الإنشائية مع الشّرط:**

قال الله تعالى :<<يا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّيَ وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ>>[3].

يقوم هذا التّركيب اللغوي على موضوعية الحوار، حيث يقف فيه الآخر المحاجج موقف الشريك المتعاون لا موقف الخصم العنيد، وذلك من أجل تحقيق الغاية، وهي استمالة المتلقين لما يطرح عليها، وأنْ يَزِيدَ في درجة إذْعَانِهم باعْتِمَاد وسائِلْ التأثير في عواطفهم وخيالاتهم وإقناعهم والإثارة للسّامعين .كما جاء هذا التّركيب بطابع عقلي جدلي يقوم على الحوار والمحاجة، ويستخدم الاستدلال العقلي المنطقي في إثبات عقائد الإسلام ودفع الشّبهات عنها وتوصيلها إلى القوم >>[4].

---

[1] المرجع السابق، ص 84.

[2] ينظر، المرجع نفسه، ص 84.

[3] سورة هود الآية 28 ، وردت مثل هذه الأساليب في الآيات الأتية : [30/11] ، [ 32/11 ] ، [33/11 ] ، [ 34/11 ]

[4] ينظر ، دلالة وسمات فكرنا العربي المعاصر وروافده لجيلالي بوبكر ن مجلة الحوار الثقافي ، مجلد 7 ع: 01 ديسمبر 2018 ، ص 13.

**الوجه النحوي لصيغة الاستفهام التصديقي:**

استعمل في هذا التّركيب الاستفهامي الداخل على أسلوب الشّرط أداة تحويلية لتعبّر عن الاستفهام التصديقي ، هذه الأداة هي (أ) الهمزة التي تحدث في التّركيب المثبت لتحولاته إلى تركيب استفهامي .

إنّ أهمّ صفة نحوية لهذه الأداة هي أنّها تحدث في التّركيب الفعلي والاسمي ثم التركيب الكوني >>[1].

- وتختص هذه الأداة " أ" بتحقيق الاستفهام المنصّب على الفعل [2] الخطابي بكامله ، كما ترد للاستفهام عن الفعل الإحالي أو الفعل الحملي منه :

أ- أ هند أتية أم زينب ؟ .

ب- أ آتية هند أم غير آتية ؟

ولذلك كانت هذه الأداة الاستفهامية دائرة استعمالها أوسع .

والسائل هنا هو الرسول الله ( صلى) الذي يطلب الفهم لكن لا يريد جوابا فالاستفهام هنا جاء تعبيرا عن غرض أدبي من السؤال " أرأيتم ....." وهو الانكار فهو إشعاره للمخاطب أو غيره بأنّه قد فعل عملا منكرا لا يُقِرُّه الحقّ أو الدّين أو العقل بالإضافة إلى غرض العتاب .

فالآية جاء مطلعها يستنكر تكذيب الجاحدين للرسالة ، "فعميت أبصارهم عن رؤية الحقّ " وقد انطلقت في تفنيدهم بمنطقها الاستفهامي، المبني على المحاجة والتّقرير، ولفت الأنظار إلى معطيات الواقع والدّلائل .

كما هو مبين في النموذج الذي نحن بصدد معالجته وفق المخطط الآتي :

---

[1] ينظر ، نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية مازن الوعر . دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر –دمشق –جميع الحقوق محفوظة ، ط 1 ، 1987 ، ص 165 .

[2] اللسانيات الوظيفية المقارنة –دراسة في التنميط والتطور ، احمد المتوكل الدار العربية للعلوم ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، دار الأمان الرباط ، ط 1 ، 2012/1433 ، ص 100.

أ) –[ أ] رأيتم ؟

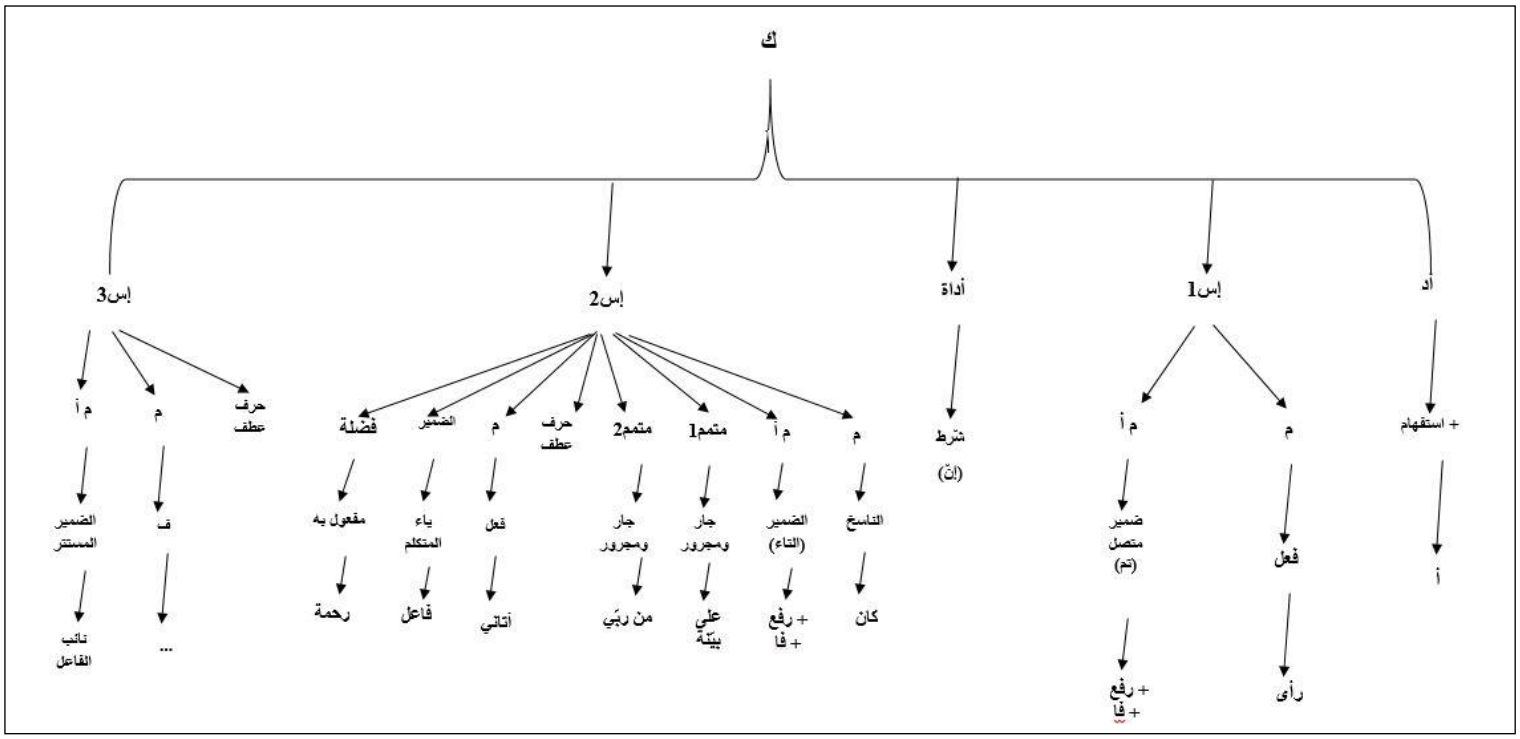


**الصورة الثامنة عشرة: حذف الجواب:**

قال تعالى فيما يحكي عن إخوة يوسف عليه السّلام :<<قالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ>>[1]

فترى هنا كيف صوّت الآية نظرة إخوة يوسف إلى أخيهم حيث تحركت آصرة الأخوة في أحدهم فحملته على أن يستبعد فكرة القتل، وأن يكتفي بإلقائه في غياهب الجب عسى أن تمر قافلة فتلتقطه وتبقي عليه الحياة، وبذلك يجتمع لهم أمران هما: الخلاص من مزاحمة يوسف لهم في حبّ أبيهم، والخلاص من استئثاره بهذا الحبّ فيما يتصورون . وفي الوقت ذاته الإبقاء على يوسف حيّا لأنه أخوهم .

كما نرى في التّعبير بالتركيب الشّرطي بقوله :<< إن كنتم فاعلين >> ، واختيار أداة الشّرط "إنْ" دون غيرها لإظهار أنّ هذا الأخ كان يستبعد أن يقدم إخوته على قتل يوسف أو التخلص نه، نهاية في التوفق لاختيار اللفظة المناسبة في الموضع المناسب << ذلك أنّ "إنْ" إنّما تستخدم عند الشكّ >>

[1] سورة يوسف الآية 10.

وحين يثبت ذلك يكون كل استعمال في القرآن جاء بالغا من الفصاحة والبلاغة غاية، ويكون جميعه على مستوى واحد. ومن أحكام جملة الجواب عدم جواز تقديم جملته على جملة الشّرط نحو قوله السّابق <<لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ .....إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ>> فالكلام الذي قبل الشّرط ليس بجواب وإنما هو دليل الجواب المحذوف، ويجوز حذف جملتيْ الجواب والشّرط إنْ كان في سياق الكلام ما يدلّ عليها. باعتبار السّياق الكلامي نسيج متعشب من العناصر والصّور والتّقدير لجملة الجواب هنا :<إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ فلاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ>>.

**ب/ النمط الثاني :**

**أحرف الشّرط غير الجازمة:**

**وقد توزع هذا النمط على الصور التركيبية مع تنوع أدوات الشرط الآتية :**

**1) – الشّرط المعتمد على الأداة: لو:**

**الصورة الأولى:** تظهر في **قوله تعالى** :<<وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ>>[1].

نظام صورة هذا التركيب يأتي وفق الترتيب العادي الذي يتكون من عبارة الشّرط المؤلفة من أداة الشّر "لو" +فعل مضارع (فعل الشّرط) +لفظ جلالة فاعل + جار ومجرور +مفعول به + مضاف إليه +ضمير (مضاف إليه) +جار ومجرور + اللام الرابطة لجواب الشرط +فعل ماضي مبني للمجهول (فعل الجواب) +جار ومجرور

---

[1] الآية 11 من سورة يونس. – وردت أساليب تتصدرها هذه الأداة "لو" في الآيات الأتية : [10–11] ، [10–16] ، [ 10–42 ] ، [10–54] ، [10–82] ، [10–96] ، [10–97 ] ، [ 10–99 ] ،[ 11. 118 ] ، [ 12–17 ]، [ 12–103 ] [13. 31 ] ، [ 14–21 ] ، [ 15. 02 ] ،[ 15 . 14– 15 ] ، [ 16. 09 ] ، [ 16 . 35 ] ، [16 .41 ] –[16. 61 ] ، [ 16. 93] ،[17. 42 ] ، [ 17. 88 ] ، [17. 95 ] ، [ 17. 100 ] ، [ 18.18 ]/[18. 58 ] / [18. 77] ،/ [ 18 . 109 ] / [ 17. 21 ] ، [ 21. 22 ] ، [21. 39 ] ، / [ 21 . 99] ، / [ 22 . 73 ] ،[23. 24 ] ، [23 . 71 ] ، [23 . 75 ] ،[ 23 . 114 ] ، [24 . 35 ] ، [25. 45 ] ، [ 55 . 51 ]، [26. 30] ، [ 26. 102 ] ، [ 26 . 113 ] ، [ 26 . 198 ] ،/ [ 28 . 64 ] ، / [29. 41 ] ،/ [ 29 . 64 ] ، [ 31 . 21 ] [31. 27 ] ،/ [ 32 . 12 ] ،/ [32. 13] ،[ 33 . 14] ،/ [34. 31] ،[34 . 51] ، [ 35 . 15 ]، [35 . 18 ] ، [ 35 . 45 ] ،/ [ 36 . 47 ] ، [ 36 . 66 ] ، [ 36 . 67 ] ، / [37–166. 169 ] ، [ 39 . 04 ] ، [ 39 . 26 ]، [ 39 . 26 ] ، [ 39 . 43 ] ، [ 36 . 67 ] ،/ [37–166. 169] ، [ 39 . 04 ] ، [ 39 . 26 ] ، [ 39 . 43 ] ، [ 70. 11 ] ، [ 71 . 04 ] ، [ 72– 15. 16 ] ، [ 75 . 14 ] ،[ 102 . 05 ] ، [ 102 . 06 ] .

+مفعول به +ضمير (مضاف إليه) +الفاء (حرف عطف +فعل ماضي +اسم موصول +حرف نفي + فعل مضارع منفي +مفعول به +مضاف إليه (ضمير متصل) +حرف جر +اسم مجرور +ضمير (مضاف إليه ) +فعل مضارع +فاعل ( ضمير الجماعة).

في هذا التركيب تلوح بوادر النّفي الضّمني من أداة الشّرط "لو" والتّعبير بهذه الأداة مشعر بالنّفي المطعّم بالعرض والحث والتحريض في قوله : << لَوْ يُعَجِّلْ .....لَقُضِيَ....>> أي لا يستعجل لهم العذاب بل يمهلهم بما أتاهم الله ، أو بعبارة أخرى هلا رضوا بما آتاهم الله ودخلوا في عداد المؤمنين الصابرين الخلّص .كما تلوح في هذا التركيب ظاهرة التضاد أو التقابل الذي يعدّ من الظواهر الأسلوبية المهمة في أي جنس أدبي، وقد عمد المتكلم إلى هذا الصنيع في قوله :<<وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ>> ، وذلك من أجل << إيجاد لون من التلاحم بين الطرفين ،حيث يتداخل الأوّل في الثاني ويصبح عنصرا فيه ، وأساس هذا التداخل هو اهتزاز الدلالة في كل من الطرفين بحيث يفقد كل منهما جزءا من خواصه الدلالية فيصير إلى شيء قريب من الاتّحاد >>[1].

**دلالة التركيب اللغوي:**

هذه الآية الكريمة تأتي في بيان شأن من شؤون البشر وغرائزهم فيما يعرض لهم في حياتهم الدنيا من خير وشّر ،نفع وضرّ وشعورهم بالحاجة الماسّة إلى الله تعالى واللجوء إلى دعائه لأنفسهم وعليها ، واستعجالهم الأمور قبل أوانها ،وهو تعريض بالمشركين وحجّة على ما يأتون من شرك وما ينكرون من أمر الحساب والبعث ،مكمل لما قبله ،ولذلك عطف عليه قوله <<نَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ>>، بسبب طلب التعجيل بالشيء قبل الوقت المحدد لانقضاء المدّة ،فهم يستعجلون الخير لأنفسهم ولا يؤمنون بيوم القيامة ولا يرجون لقاءه، ولكن من لطف الله سبحانه وإحسانه لعباده أنّه لو يعجّل لهم الشّر إذا أتوا بأسبابه وبادرهم بالعقوبة على ذلك عما يطلبون التعجيل بالخير إذا أتوا بأسبابه لقضي الأمر، أي لمحقهم بالعذاب الشديد ،ولكنه يمهلهم ولا يهملهم ويعفو عن كثير من حقوقه. والمقصود

[1] الحداثة، في الشعر العربي –أدونيس نموذجا ، سعيد بن زرقة ،أبحاث للترجمة والنشر –بيروت– لبنان ، ط1 ، 2004 ، ص 282 .

بالنّاس هنا عند عدد من المفسرين: المشركون الذين وصفهم الله سبحانه قبل ذلك بأنّهم لا يرجون لقاءه ولا يؤمنون بالآخرة، ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ،ولقد حكي القرآن الكريم في كثير من آياته أنّ المشركين قد استعجلوا الرّسول الله (صلى الله عليه وسلم) في نزول العذاب من ذلك قوله: <<وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ.....>>[1].

وإذا تأملنا هاتين الآيتين، نجدهما كذلك، وإنْ لم تكن معطوفة فلا بدّ من دعامة تؤذن باتّصال الكلام وهي قرائن معنوية أو لفظية تسهم بالرّيط وله أسباب أحدها التنظير فإنّ إلحاق النظير بالنظير يبرهن على صدق ذلك .

وقد << جرت عادة القرآن إذا ذكر أحكاما ذكر بعدها وعذا ووعيدا ليكون باعثا على العمل بما سبق، ثمّ يذكر آيات توحيد وتنزيه ليعلم عظم الآمر الناهي >>[2].

-أمّا قوله (استعجالهم بالخير) منصوب على المصدرية، والأصل: لو يُعجّل الله للنّاس الشّر تعجيلا مثل استعجالهم بالخير، فحذف تعجيلا وصفته المضافة وأقيم المضاف إليه مقامها، ثمّ بيّن سبحانه وتعالى ما يشير إلى الحكمة في عدم تعجيل العقاب وعدم مجاوزة الحدّ في التعجيل .

**2) الصورة الثانية – حذف فعل الشرط بعد "لو" :**

قال الله تعالى :<<وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الأَرْضِ لافْتَدَتْ بِهِ >>[3].

ونظام صورته :

---

[1] سورة يونس الآية 12

[2] الخطاب القرآني –دراسة في العلاقة بين النص والسّياق ، وخلود العموش ،عالم الكتب الحديث ،جدار الكتاب العالمي –عمان– ط 1 1429 /2008 ص108،ورد الشّرط المعتمد على الأداة لولا في ما يلي: [98.10 ] / [ 12.11 ] / [ 91.11 ] / [ 110.11 ] / [ 116.11 ] / [ 24.12 ] / [ 94.12 ] / [ 7.13 ] / [ 74.17 ] / [ 15.18] / [ 39.18 ] / [ 129.20] / [ 133.20] / [ 134.20] / [ 40.22 ] / [ 10.24] / [ 12.24 ] / [ 13.24] / [ 14.24 ]/ [ 16.24 ]/ [ 20.24 ] / [ 21.24 ] / [ 07.25 ] / [ 21.25] / [ 32.25] / [ 42.25] / [ 77.25 ] / [ 46.27] / [ 10.28 ]/ [ 47.28 ] / [ 48.28 ] / [ 82.28 ] / [ 50.29 ] / [ 53.29] / [ 31.34]/ [ 57.37] / [144.143.37] / [ 44.41] / [ 45.41 ] / [ 14.42 ] / [ 21.42] / [ 31.43] / [ 33.43 ]/ [ 53.43 ] / [28.46 ]/ [ 20.47 ] / [ 25.48 ] / [62.56 ] / [ 70.56 ] / [ 84.83.56 ] / [ 87.86.56 ] / [ 8.58]/ [ 3.59 ] / [10.63 ]/ [ 28.68 ]/ [49.68 ].

[3] سورة يونس [54 ].

أداة الشّرط "لو" + عبارة الشّرط (اسمية منسوخة + جار ومجرور + مضاف + فعل ماض + اسم موصول + حرف جر + اسم مجرور + الرابط (اللام ) + عبارة الجواب فعلية)، ما نلحظه هنا أنّ عبارتي الشّرط والجواب غير منسجمتين من حيث البناء لأنّ الأولى اسمية منسوخة أمّا الثانية فهي فعلية، كما نلمح من خلال البنية السطحية أنّ الأداة "لو" لم توصل بمركب فعلي وإنّما وُصلت بمركب اسمي، لأن الأداة "لو " الشّرطية توصل في الغالب بمركب فعلي فعله ماض ، لكن هنا ورد بعدها جملة اسمية منسوخة ، وهذا جائز عند النّحويين فقد أجاز بعضهم << وُصْلها بمركب اسمي إسنادي مصدّر ب "أنَّ" وجعلوا من ذلك قوله تعالى:<< يودّون لو أنّهم بادون في الأعراب >>[1]. واعترض بعضهم حيث قالوا إنّ لو دخلت على فعل محذوف مقدّر>>[2].

ويتجلى المشير الركني لهذه الآية في التتابع الآتي : أداة(لو)+حرف ناسخ +ركن حرفي +ركن اسمي+ ركن اسمي + ركن فعلي +ركن حرفي +ركن حرفي +ركن اسمي +ركن حرفي +ركن فعلي +ركن حرفي (شبه جملة ).

القاعدة التحويلية التي أجريت على هذا المشير حتى انتهى إلى ما هو عليه في البنية السطحية هي :أ)- "إضمار الفعل الذي يقع في الحوالية ( لو+ ركن فعلي ) .

ب)_زيادة فعل في البنية السطحية ليفسر الفعل المحول "[3]

ولذلك يمكن تقديره في البنية العميقة بالفعل "ثَبَتَ "، أي << لَو ثَبَتَ أنَّ لكُلِّ نَفْسٍ .....>>>، إذا فالبنيتان السّطحية والعميقة تختلفان من حيث الإضمار والحذف، ذلك لأنه يمكن اعتبار الفعل مضمر بعدها ويمكن تقديره على إضمار فعل يفسّره الظاهر الذي بعده نحو: "لو ظلمت كل نفس لافتدت به "، ولو هنا تفيد امتناع الجواب: اليقين بحسن الجزاء لامتناع الشّرط وهو على الاتفاق على الحق ، والقصد

---

[1] سورة الأحزاب الآية 20

[2] الجملة العربية، دراسة لغوية نحوية ،محمد إبراهيم عبادة ، منشأة الناشر المعارف الإسكندرية ( د. ط.ت) ص 128 .

وردت مثل هذا الأسلوب في الآيات الآتية : [ 11 .80 ] ، [ 13 .31 ] ، [ 13 .18 ] ، [ 20 .134 ] ، [ 23 .114 ] ، [ 26 . 102 ] ، [ 28 . 64 ] ، [ 31 . 27 ] ، [ 33 .20 ] .

[3] السيمات التفريعية للفعل في البنية التركيبية، مقاربة لسانية، أحمد حساني ديوان المطبوعات الجامعية 1993، ص 28.

من وراء إدراج الحكيم الخبير للجملة الشّرطية في كلامه تبليغ المخاطبين ويحمل ذلك بعداً تواصليا للنّاس، يتمثل في أنّ النفس إذا كفرت بالله وتركت طاعة من يجب عليها طاعته أي أشركت لبذلته لدفع العذاب عنها والافتداء هاهنا بذل ما ينجو به من العذاب يوم القيامة .

والدلالة الصادقة الواضحة على هذه الحقيقة أنّنا نؤمن نظريا بأنّ الشيء حقّ، ثم نهمله ونتجاهله، وهذا ما فعله المشركون حيث يعتقدون أنّ ما جاء به النّبي (صلى الله عليه وسلم ) باطل، ثم لا يفعلون ما أمرهم به ويقدّسون غيره، والسّر أن الإنسان خاضع في أعماله لمنطق العاطفة لا لمنطق العقل، ولا لمنطق الدّين ، أجل إنّ الإنسان أو العديد من أفراده يتخيلون أنّهم يسيرون في أعمالهم بوعي العقل والدّين ولكنهم في الواقع مسيّرون بإملاء الهوى والغرض، وفي الوقت نفسه يفسرون أعمالهم الباطلة أو العاطفية بأوهامهم العقلية ويخلطون بين حقيقة الدّين وبين ما يتراءى لهم أنّه من الدّين .

**2 الشّرط المعتمد على الأداة "لولا": الصورة الأولى**

قال الله تعالى :<<وَ لَوْلاَ كَلِمَةُ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ>>

في هذا الخطاب الذي نواته الأداة "لولا" يكشف عن قدرة الله عزّ وجلّ في خلقه وعلى هذا النسيج. يواصل قوله تعالى صياغة كلامه الفني الجميل، فيستخدم لام التوكيد لتأكيد حجّته.

ولعل سرّ الإبداع فيها هو أنّ السياق الشّرطي والتوكيد، كل ذلك قد غَذَى دلالات الجملة الشرطية المحولة، وأضْفىَ عليها طابعا فنيا راقيا.

أمّا "لولا" في سياقها الشّرطي فقد ارتبطت بنتائج الأفعال ،ودخلت على جملتين إحداهما اسمية والثانية فعلية، ولكن جملتها الاسمية "لولا " كلمة سبقت غير تامَّة المعنى نحو :لولا زيد لا خرج عمر، وممّا دفع النحويين إلى <<القول بحذف الخبر بعدها فكان تَقْديرُهُ عندهم : الكون المطلق أي: موجود لأنّ لولا حرف امتناع الثاني لوجود الأول>> ،وأشاروا في الوقت ذاته إلى أنّ حذفه في أغلبية الجمل الشرطية المصدرة ب "لولا" يعود إلى كثرة الاستعمال ،ونحو هذا أكثر من أن يحصى ممّا يؤثر في تغيير التّركيب وفي هذا السياق أيضا، يَسْتَوْقِفُنَا ذلك الكمّ الهائل من أقوال النحاة واللغويين يتعلّلون فيه

بالتّخفيف لجملةٍ كثيرة من المسائل اللغويّة ،كان سببها المباشر كثرة الاستعمال وهو ما نجده عند المبرّد حيث قال :

<< والحذف موجود في كلّ ما كثر اسْتعْمالهم إيّاه.....>>

نعتقد أن ما ذهب إليه المبرد هو أمر صحيح ;لأنّ حذف الخبر بعد لولا يكون واجبا، كما أنّه قصد بكثرة استعماله أنّه صار معلوما مع لولا لأنّها تدلّ على امتناع لوجود، << والمدلول على امتناعه هو الجواب والمدلول على وجودِه هو المبتدأ، فصحّ الحذف لتعيين المحذوف >>.

والدليل على ذلك في ظنّنا أنّ النحاة أَوْجَبُوا الحذف إذا كان الخبر كونا مطلقا أي يمكن فيه تعيين المحذوف ومنعوه إذا كان كونا خاصا لا دليل فيه على الخبر المحذوف بل إنّهم قالوا بأنه واجب وقد ذكره "ابن هشام" في قوله :<<إنّ الخبر بعد لولا واجب الحذف وإنّما ذلك إذا كان كونا مطلقا نحو لولا زيد لكان كذا يريد لولا زيد موجود، وأمّا الأكوان الخاصة التي لا دليل عليها لو حذفت فواجبة الذكر، نحو :<<لولا زيد سالمنا ما سلم>>. أيْ: التقدير هو :<<موجود>> أو<< حاصل >>فيكون تقدير التركيب: <<لولا فلان موجود >>.

نستنتج أنّ الخبر يحذف وجوبا إذا وقع بعد "لولا" وكان الخبر كونا عاماً. أي الوجود العام الحالي من الزيادة كالقراءة، النوم..إلخ ولا يصح في الكون العام قولك :<<الولد نام >>، أو نائم في البيت، لأنّ كلا المثالين يدلان على الوجود مع زيادة في شيء آخر، السبب هو أنّ الخبر كون عام ولا فائدة من ذكره. [1]

قال الله تعالى:

<< وإنْ كذَّبوُك فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلكم >> الآية 41 من سورة يونس.

---

[1] دراسات في ظواهر نحوية، عبد الرحمن فرهود حسّاس، دا سعد خلف العوادي تقديم دا فاخر الياسري، دار الحامد عمان ط1 ، 1431 /2010 ،ص 15

2- في اللسانيات المعاصرة ، الاقتصاد الصرفي ونظريته المفاضلة ،أحمد طيبي ،عالم الكتب الحديث إربد جدار للكتاب العالمي ،الأردن ،ط1 سنة 2015 ص 35

3- دراسات في الظواهر نحوية ،عبد الرحمن فرهودا أسعد خلف ، العوادي ص 16

4- دراسات في ظواهر نحوية ،عبد الرحمن فرهود ،أسعد خلف العوادي تقديم فاخر الياسري ،ص 16

- اللسانيات وتحليل النصوص، رابح بوحوش ص 124 جدار للكتاب العالمي للنشر والتوزيع –عمان- عالم الكتب الحديث –إربد- الأردن ، 2009 .

إنَّ نظام الخطاب في الآية الكريمة يتأسس على نسق تركيبي، يوظف من خلال ذلك أدوات الوصل بين جملة الشرط وجوابه باستعمال الفاء الرابطة بين فعل الشرط "كذبوك" وفعل الجواب "قل" والعنصر الفاعل في الخطاب من ذلك حرف الشرط "إنْ" ودوره في تحديد الدلالة الموجهة في النسق.

أمّا التركيب الشّرطي، وهو <<أسلوب يفيد التعليل >> وتعتمد فيه العبارة الثانية "فقل لي عملي ولكم عملكم "في اختبار على حضور العبارة الأولى عبارة الشرط فعلية، وعبارة الجواب فعلية أي عبارتي الشرط والجواب فعليتان، وهو أسلوب طريف يكشف عن حركية فنية في هذه الآية.

**الصورة الثانية** قال الله تعالى: <<قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ>>[1].

إنّه من يتأمل في هذا النص الشرعي، يجد أنّ الدّعاء سبب في نيل محبة الله – تعالى– ورضوانه ،ولولاه لما كان الله سبحانه يعْبأُ بنا .وبيّن النبي الله (صلى ) أنّ الدعاء أكرم العبادات فهو ثمرة للعمل الصالح .

فالخطاب هنا يحمل معنى توجّه العبد بقلبه ولسانه إلى الله عزّ وجلّ للمعافاة في الدنيا والآخرة ، لكسب مرضاة الله تعالى ودخول الجنّة، والزحزحة عن النّار . وكم تليت على المسامع من آيات التّرغيب، وذكر الجّنات والنّعيم المقيم!، ولكن ما الذي جناه من ذلك أبو جهل ؟ وتقرع الأذان آيات العذاب والتّرهيب والوعيد ،فما هو حظ أبي لهب من النّجاة منها، وهو يُعْرَضُ عنها .

وهكذا تبدو الثّمار جليّة واضحة، حين تقرأ آيات النّار، فيتعوّد منها العبد ويستجير، وتتلى آيات الجنّة فيسأل الله أن يكون من أهلها ،بل إنّ العبد لا يوفّق للدّعاء أو استجابته، إنْ لم يكن مخلصا صادقا، ذلك لأنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: <<..... واعلمُوا أنَّ اللهَ لا يَستجيبُ دُعاءً من قلْبٍ غافِلِلَاهٍ>>[2] .

أخرجه الترمذي والحاكم وغيرها .

---

[1] سورة الفرقان الآية 77 .

[2] أوليات العلم والعمل والدعوة أو شيء من الحلل في مراتب العلم والعمل، حسين بن عودة العوايشة، دار ابن حزم بيروت لبنان ط1 –1423 هـ –ص 44 رقم الحديث النبوي الشريف الثاني والعشرين من كتاب الأربعين القلبية جمع محمد أبو الحمد الدقيشي ,شبكة الألوكة ص 7 - -

فإنّ عدم التوجّه بالدعاء لله تعالى يخلّد صاحبه في النّار، إن لم تقل : << ربّ اغفر لي خطيئتي يوم الدّين >>[1]، وهذا يجعلنا نفهم قوله تعالى :<<وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ>>[2].

**الصورة التركيبية الثالثة للشرط المعتمد على لولا :**

قال الله تعالى: <<قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ>>[3].

تتكون بنية هذا التركيب من ( فعل أمر + فاعل +مضمر + حرف نفي "ما" +فعل مضارع +جار ومجرور + فاعل + الضمير المتكلم (الياء) في محل جر مضاف إليه + أداة الشّرط "لولا" + مبتدأ والضمير المتصل "كم" في محل جر مضاف إليه والخبر محذوف تقديره موجود، كما تجد أنّ الفعل "قُلْ " يُحِيلُ على الفاعل، هو ذات ثابتة، موجودة بمكان، جاءها الأمر الإلهي، بالتبرئ من نجاتهم من العذاب الذي وعدهم به الخالق لولا الدعاء إليه، فالحدث هنا لم يحدّد صراحة مكان الحدث ولكن السِياق التّاريخي للخطاب، يقرّر أنّ الظرف المكاني هو الموطن الذي نَزَلَ فيه الأمر على الرّسول صلى الله عليه وسلم بهذا التّوجيه الحاسم الذي يقطع علاقته بالمخاطبين، وذات الحال يتقرّر بالقياس للضمير المخاطب الدال على الجماعة المتمثل في كلمة "الكم" ليقرّر صلة الرّسول (صلى الله عليه وسلم) بهم، فإنّهم رهط مخصوصون جاء الخطاب القرآني ليقرّر صلة الرّسول ( صلى ) بهم في الإطار المكاني المكي، ولذلك كان الخطاب موجها للكافرين أخبرهم الله تعالى أنّه لا يبالي ولا يكترث بالنّاس، لو دعاؤهم إيّاه دعاء العبادة ودعاء المسألة .

**الشّرط المتعمد على الأداة "إمّا" :**

**الصورة الأولى :**

قال الله تعالى :<<وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ>>[4].

---

[1] المرجع السابق ص 44

[2] سورة غافر الآية60

[3] سورة الفرقان الآية 77

[4] الآية 46 من سورة يونس .

ويتأمّل تركيب هذه الجملة نجد أنّها تتكون من أداة الشرط غير الجازمة (إمّا) ، وهي حرف تفصيل يقوم مقام أداة الشّرط ومعناها << مهما يكن من شيء إلاّ أنّه في هذا التّركيب ورد الفعل بعدها مثال عن ذلك :القراءة مفيدة إمّا إجادتها فتخصب العقول بالمعرفة. أمّا إذا عدنا إلى المثال السّابق، فإنّ القارئ للشِّقَين في قوله <<وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ..... فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ>>، يشعر لأوّل وهلة أنّ الشق الأول جملة الشّرط لا علاقة لها بالشّق الثاني <<فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ>>، لكن المتأمّل للشقين، سيجد خيطا دقيقا موصلا إلى معنى مشترك بينهما، وهذا الخيط يقوم بدور الربط أي يربطهما ليجعلهما كالشيء الواحد، لأنّ عنصر التحفيز، في إنجاز الوعد بالفعل وعنصر التفريغ هو نهاية الوعد، فالبارئ هنا يعد هؤلاء المشركين من قوم الرسول الله (صلى) بالعقوبة الشديدة قبل أن يريه ذلك فيهم، وعنصر التّفريغ هو كذلك الجزاء أي مصيرهم بكلّ الأحوال، وذلك في قوله << فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ>> أي << إلينا منقلبهم إلى النار حاخرين فيها >> . لأنّ الله شاهد على أفعالهم وعالم بها، لا يخفى عليه شيء منها ومجازيهم بها عند الحشر، والله منجز ما وعده الرسول الله (صلى الله عليه وسلم) من النصر والعلو عليهم وإحلال العقاب بهم أينما كانوا .

وحقيقة الملفوظ المبرهن عليه هنا في هذا التّركيب الشّرطي متجسّد في الوعد والجزاء من خلال اللفظين " نعدهم " "ومرجعهم" الذين يحملان شحنة دلالية إبلاغية.

وتقر عن جزاء المشركين فتتمثل في معنى الوعد والعقاب بالوصول إلى إجماع عقلاني حول ما قيل عن يوم البعث لحساب الناس ، فالمعنى هنا يحمل بعدا غيبيا لا يعلمه إلاّ الله ويخبر عباده عن ذلك في هذه الآية الكريمة إلى جانب حقيقة الملفوظات المبرهنة عليها هنا، هناك اعتبارات أخرى يتطلب أخذها بعين الاعتبار تتعدى إلى الوضعية المثلى للكلام ،وهذا حسب رأي " هَا بَرْمَاس" خاصة عند التحليل اللغوي أي أنّ << الملفوظ énoncé الذي يعبّر، عن الحقيقة يجب أن يكون في أنقى مستوياته وهذه الاعتبارات هي الصّدق والمعقولية والدّقة، فالحقيقة تكمن في اللغة والحقيقة

الطّاهرة تستمد من اللغة النظيفة النّقية القائمة على قوة البرهنة justification meilleur>>[1].

ويعنى هذا أنّ لغة الخطاب يجب أن يكون مبرهنا عليها، بالإضافة إلى الحقيقة، لأنّ اللغة ذاتها "تدخل في صميم الخطاب و تلعب دورها الأساسي في التفاعل و التواصل لتصبح أداة إجرائية تعمل على كشف الأمراض الاجتماعية والتشوهات التي تصيب التواصل " [2] "[3] كما يمكن للغة كمجموعة من الاقوال التي تتمتع بمبادئ هيكلية متاصلة أن تحمي بشكل أساسي صحة أوصافها السابقة، هذا بضمان، بصفة أساسية، إمكانية إنشاء اتصال بين الدلالات و بناء الجملة هذا أو ذاك أو مثل هذا النموذج المعجم من المعجم" . لهذا يقتضي أن تخضع للبرهنة حتى تتمكن من بلوغ للبعد التداولي للنص الذي تشكّله فكلّما تقدمت اللغة وآليات تفسير النّص بما فيه من أساليب متنوعة كالشرط تقدّم معها الوصول إلى سبر سرائر الجمل العربية خاصة النص القرآني.

**الصورة الثانية: إمّا (الظرفية الزمانية )**

تمّ تصنيفها إلى النمط الآتي :

صورته التركيبية : جملة فعلية خبرية مؤكدة

إمّا + مسند (جملة فعلية مؤكدة مثبتة ) .

+ مسند إليه (ضمير مستتر (هما)).

ويمثل هذه الصورة المركبة قوله تعالى :

<<وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ (2) وَلاَتَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًاوَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (4) >>[4].

---

[1] مقاربة التّداولية العامة في الفكر الفلسفي المعاصر ، خن جمال ، مجلة الحوار الثقافي ، المجلد 06 ، العدد 04، أفريل 2018 ، ص 109.

[2] المرجع نفسه ص 110.

[3] Txt trad : la langue comme un ensemble d'énoncés qui est muni de principes structuraux inhérents permet de sauvegarder ,pour l'essentiel ,la validité de ses descriptions antérieures est assurée, notamment, la possibilité d'établir une connexion entre la sémantique et telle ou telle syntaxe de la phrase , tel ou tel modèle componentiel du lexique , etc .

[4] الآيات [01– 04] من سورة الاسراء .

تتركب هذه الصورة من حرف شّرط (إنْ) وما زائدة +فعل مضارع مبني على الفتح في محل جزم الشّرط + نون التوكيد الثقيلة +ظرف منصوب +والكاف الخطاب (مضاف إليه ، الكبر ( مفعول به ) منصوب و(أحدهما) فاعل والضمير المتصل (هما) مضاف إليه + حرف عطف (أو) وكلاهما معطوف على أحدهما مرفوع وعلامة الرفع الألف فهو ملحق بالمثنى أسند إلى الضمير "هما" والفاء رابطة لجواب الشّرط، لا ناهية جازمة وقل فعل مضارع مجزوم والفاعل (أنت) ، (اللام ) حرف جرّ وهما ضمير متصل في محل جرّ اسم مجرور، و"أُفٍ" تدلّ على معنى الفعل المضارع " أتضجر " لكنها لا تقبل أية علامة و نجد منوّنا مع أنّ التنوين من علامات الأسماء "فأفٍ"، "إذن" : اسم فعل مضارع بمعنى أتضجر مبني على الكسر فاعله ضمير مستتر وجوبا تقديره "أنا" ، "لا تقل" في محل جزم جواب الشّرط.

بدأت الآيات الكريمة بالتوحيد، وبين بدئها توالت الآداب والفضائل التي دعت إليها. ويتبين لنا من أنّ هذه الأخلاق في الإسلام تقوم على العقيدة الإسلامية الحقيقية، فعقيدة التوحيد تجعل العبادة خالصة لله وحده وتأتي بمعنى الطاعة والخضوع تشمل جوانب الحياة كلها، فتوحد الغاية والهدف، وتوجّه العمل والسلوك.

وتملأ النفوس إيمانا برقابة الله عزّ وجلّ وعلمه المحيط بالنبات والأعمال والأقوال، وبذلك تجعل الأخلاق الإسلامية مبادئ ثابتة، لا تتغير بتغيّر الأحوال والملابسات، ومن ثم نلاحظ الآية قوله << إمّا يَبْلُغَنَّ .....>> أنّها تناولت هذه الآداب –التذكير ببرّ الوالدين حيث أمر الله عزّ وجلّ ببرّهما والإحسان إليهما، وفاء بحقهما، ولاسيما عندما تتقدم بهما السّن فيصبحان أشدّ حاجة إلى الرّعاية والعطف، ولهذا فلا يحل للابن أن تصدر عنه أدنى كلمة تدلّ على الضجر والضيق، أو يسيْطر عليه الانفعال فَيَزْجُرْهُمَا أو يغلظ لهما في القول، بل يجب عليه أن يخاطبهما بإكبار وإجلال واحترام وتقدير مبالغا في التواضع لهما ولذلك علّق الله تعالى كبر سنّهما بوجوب احترامهما ورعايتهما والبّر بهما، متوجها إلى الله تعالى أن يتولى جزاءهما كفاء ما بذلا من جهد في تربيته صغيرا .

فإن بدرت منه إساءة إليهما عن غير قصد منه، كان عليه أن يسارع إلى استغفار ربّه ممّا وقع فيه من خطيئة [1] وأن يبادر بالاعتذار إليهما واجتلاب رضاهما .

**الصورة التركيبية الثالثة: التحويل بتغيير الرتبة**

يقتضيننني هذا التحويل تغييرا في رتبة الفعل[2] ويتوضح ذلك من خلال هذه الآية:

قال الله تعالى: أمّا اليَتيمَ فلاَ تَقْهرْ..." [3]

يتألف هذا التركيب من أداة تفصيل وشرط "أما" وعبارة الشرط "اليتيم" + رابط --- إلغاء عبارة الجواب "تقهر" تؤدي معنى النهي

لكي توضح التغيير في عناصر لجملة الشرطية نعتمد الجملتين الآتيتين:

1-لا تقهر اليتيم

2-أما ا ليتيم فلا تقهر

فالجملة الثانية متفرعة من الجملة (1) بوساطة إجراء تحويل نقل الركن الاسمي /المفعول به/

الذي يقع في المرتبة الثالثة بعد الفعل والفاعل إلى موقع الابتداء، "فيقوم هذا التحويل بنقل الركن اسمي /المفعول/إلى يمين الفعل في هذه الآية وهو مجرد تحويل موقعي فقط، ولذلك لم يترك أثرا في موقعه، حيث انه يظل الركن الاسمي المحول محافظ على وظيفته وهي /المفعولية/على الرغم من احتلاله موقع الصدارة".[4]

ويتم ذلك وفق قواعد تركيبية إلزامية معينة منها:

1-إذا كان "الركن الاسمي /المفعول/من

الملحقات الوظيفية بالأسماء التي تتصدر الكلام في البنية السطحية للجملة العربية كالمورفيمات الاسمية الدالة على الشرط والاستفهام و/كم/الخبرية، يكون إجراء تحويل نقل الركن الاسمي /المفعول) إلى يمين الفعل إلزاميا بحيث يظهر الفعل في غير رتبته

---

1 هذا ما يشير إليه الآية :<<رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا>>

[2] ينظر، السمات التفريعية الفعل في البنية التركيبية – مقاربة لسانية، أحمد حساني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2003، ص 31.

[3] سورة الضحى، الآية 9.

[4] ينظر المرجع نفسه، ص 32.

الأصلية"[1] ولو نظرنا _أيضا_ إلى هذه الجملة لاستنتجنا أنها نطقت في سياق معين حتى تصدير الجملة بالمفعول به بسبب أن الجملة قد تكون ردا على من اعتقد أن شخصا ما قهر أخاه أو ابنه وغيرها، وهذا التركيب يعد خيارا واحدا من عدة خيارات تركيبية تتيحها اللغة ونظامها الكامن في ذهن المخاطب أو المتكلم.

وما نلاحظ في الآية السابقة في قوله: "أما اليتيم فلا تقهر"، إن الفعل "تقهر" ورد جوابا تفسيريا لـ / أما/ لذلك تم إجراء التحويل في تغيير الرتبة للفعل في هذه الآية إخباري لتوافر ضابط تركيبي يتعلق بوجوب وجود فاصل تركيبي بين أما والركن ا لفعلي /جوابها/سواء أكان هذا الفاصل الركن الاسمي المفعول أو غيرهم.[2]

أما تحقيق دلالة التركيب الشرطي للآية فمرتبط بدلالة الالتزام بين الشرط والنتيجة وبذلك يظهر لنا أيضا التفريق بين الصورة التركيبية لجملة الشرط والأثر السيكولوجي المترتب عنها (المدلول الذي يقع في النفس)، وذلك بإشارته إلى الحكم الناتج عن الاتحاد بينهما مما ينجم وحدة ذات علاقة وطيدة بين الشرط والجزاء، وبذلك يتجلى لنا رؤية لسانية التي تكتسبها الألفاظ ضمن الكلام.

**الصّورة الرّابعة : تصدر المسند إليه في السياق الشرطي المبدوء بالأداة إما :**

قال عزّ وجلّ : "وإمّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ... "[3](1)

يتألف هذا التركيب لهذه الآية من العناصر الآتية أداة الشرط : إمّا

عبارة الشرط : ثمود، الرابط : الفاء

عبارة الجواب : هديناهم والمؤلفة من الفعل "هدى"، والضمير المتصل "نا" العائد على الفاعل أما الضمير المتصل "هم" فهو عائد على المبتدأ والملاحظ في هذه الجملة المركبة وجود "تقديم لا على نية التأخير أي تحويل جذري بمفهوم اللسانيات الحديثة"(2)،[4] وهذا التقديم تمثل في كلمة "ثمود" فهي هنا مبتدأ، ولعله اتضح "أن الإسم الواقع في صدر الجملة على خلاف الأصل يختص بوظيفة المبتدأ التداولية، وهذه

---

[1]–المرجع السابق، ص 32.

[2]–المرجع نفسه، ص 32.

[3] فصلت، 171.

[4] التحويل في النحو العربي مفهومه، أنواعه، صوره، البنية العميقة للصيغ والتراكيب المحولة، رابح بومعزة، عالم الكتب الحديث ط1 الأردن عمان 2008/1429، ص 159.

الوظيفة تعني تنبيه المخاطب وشد اهتمامه كي يتلقى الجملة وهو مستجمع لملكاته الذهنية، والمبتدأ عندئذ بمنزلة ما يكون من قرع العصا لتنبيه المخاطب"[1](3) وذلك قصد إثارة المخاطب لكي يتلقى العبارة اللغوية على الوجه المفيد. ويمكن توضيح العلاقة بين المسند إليه "ثمود" والمسند "هدى"، أو بين المعيار والاستعمال وذلك من خلال المقابلة في الفرنسية بالاستعمال.

الذي تحدث عنه مارتينيه في قوله "كثيرا ما يحتل مدخل الجملة عنصر لساني لا يحمل وظيفة الفاعل، وتلجأ اللغة إلى مثل هذا الاستعمال عندما تريد التركيز على هذا العنصر مثل : الرجل أعرفه "l'homme connais" [2]

إن الفكرة الرئيسية في النظرية اللسانية العربية هي فكرة العامل والمعمول "أي الأداة ثم العنصر المعمول عليه(مثل : الاسم أو الفعل)، يعتبر العامل والمعمول وحدة لسانية متفاعلة لا يمكن فصلها عن بعضها".[3]

فالعامل في هذا التركيب تمثل في الأداة: إما، أما المعمول عليه المبتدأ "ثمود" أو الضمير المتصل "نا" في الفعل : هدينا.

ويمكن إعتبار الضمير الظاهر "نا" المتصل بالفعل "هدى" معمول عليه لأنه يعود على الفاعل فإذا لم يكن "المعمول عليه ضميرا ظاهرا فيجب أن يكون ضميرا مستترا ليكون هناك فاعلية علائقية، ويعني أن العرب القدامي حللوا التركيب من وجهة نظر علائقية ورياضية فاعلة، هذا من حيث العلاقة النحوية، أما من حيث العلاقة الدلالية فقد تحدثوا عن نوعين من تقديم العناصر وتأخيرها، هذان النوعان يفرزان وظائف دلالية مختلفة:

الأول: التقديم الذي على نية التأخير لضرب زيد خالدا خالدا ضرب زيد.

الثاني: التقديم الذي لا على نية التأخير مثال: ضرب زيد خالدا خالد ضربه زيد.[4]

---

[1] محاضرات في النظرية اللسانية والنماذج النحوية، محمد الأوراغي، منشورات ضفاف، دار الأمان الرباط، منشورات الاختلاف، طبع في لبنان، الجزء الأول ص 244.

[2] التحويل في النحو العربي، مفهومه، أنواعه، صوره، البنية العميقة للصيغ والتراكيب المحولة، رابح بومعزة، ص 159.

[3] دراسات لسانية تطبيقية، مازن الوعر، دار طلاس دمشق، ط1، 1989، ص 43.

[4] المرجع نفسه، ص 43.

وذلك يعني أنه يجوز التقديم بين عناصر هذه الجملة الشرطية حيث قدم الإسم "ثمود" على الفعل . "هدى" من أجل وظيفة دلالية "دعاها العرب بـ (القصد أو الاهتمام أو العناية)"[1]. وعليه يمكن لهذا التركيب اللغوي أ يتوزع إلى شقين متوازيين لا تباعد بينهما، والتركيب التلازمي لما لهذه العناصر اللغوية التي تتحرك وحداتها الصغرى وتحدث للسامع إيقاع تحديدي للجملة المركبة "أما ثمود فهديناهم"، كذلك ذبذبات النطق بها. وما هذه الجملة إلا ملفوظ عقدت فيه المكونات حول مسند واحد وهو الفعل "هديناهم" الذي تدور حوله العملية الإسنادية.

السلام من بعد ذلك سقى، فأما ما كان المسقى إنما أم إبلا أو غير ذلك فخارج عن الغرض وموهم خلافه"[2]

وقال : "ستعلم أنك لم تجد لحذف المفعول في هذا النحو من الروعة والحسن ما وجدت لأن حذفه وترك ذكره فائدة جليلة، وأن الغرض لا يصح إلا على تركه". [3]

**الصورة الثانية:** حذف جزء من أجزاء الجملة .

قال الله تعالى :<< أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُواْ لاَ يَعْقِلُونَ>>[4].

فجواب الشّرط محذوف، يمكن تقديره: لَمَا لَسَمِعُوا ولا اهْتَدُوا، ويؤدي هذا الإجراء إلى اختزال السّطح ليُوَسِّع من رقعة دلالتها وقيمها الثانوية. فالحذف يسهم في إخراج (لَوْ) من دلالته الشّرطية إلى النّفي المطلق. كما أنّ تجرّد الفعل (يَعْقِلُون) من مفعوله، يضارع تجرّد المتخلفين من الصم الذين لا يذكرون الله ولا يطيعون عند سماع قوله من أيّ فقه وعلم، فالسّمع والعقل معدوم في قاموسهم.

[1] المرجع السابق، ص 44.

[2] الدلالة والإشتقاق في اللغة إعجاز القرآن بين النحو والبيان عبد المعطى ص94، جاب الله سالم دار الكتاب الحديث ط1، القاهرة 1430-2009.

[3] الدلالة المرجع نفسه ص 94.

[4] سورة يونس الآية 42

**خلاصة:**

وخلاصة القول أنّ ثمّة يقين لا يخالطه الظّن أنّ النحو القالبي للشرط ذا البنية الطيعة والقريب من الثابتة اللسانية العربية قد حقّق النقلة النوعية القطاعية المنشودة بتسخير آليته واستثمار نتائجه في مجال حيوي : مجال تحليل البنية الخطابية إذْ تنهض عينات النص القرآني موضوع الدرس حجة على أنّ الأنماط الخطابية المتباينة مجالا وآلية (أدبي وصفي ، أدبي سردي ،سردي حجاجي ) تؤول إلى بنية خطابية ثابتة واحدة قوامها ثلاثة مستويات :مستوى تركيبي، مستوى دلالي ، ومستوى بلاغي ، يستبطن كل مستوى منها طبقات يعلو ويحكم بعضها بعضا ،وتتضمن طبقات المستويات الثلاثة سمات (إشارية و إنجازية .....) ،ووظائف( تداولية ، ودلالية ) تشكل أنواع الخطاب بمعنى أنّ للبنية الخطابية العامة ثوابت ومتغيرات تكمن في القيم التي تأخذها سماتها ووظائفها وعنها تتوالد الأنماط الخطابية .

# الفصل الثالث

# الفحص اللغوي لأسماء الشرط في نماذج قرآنية

1. التحليل التركيبي الدلالي لأسماء الشرط الجازمة وغير الجازمة
2. الشرط المعتمد على الأداة "من".
3. الشرط المعتمد على الأداة "ما".
4. الشرط المعتمد على الأداة "أينما".
5. اعتراض الشرط على الشرط المعتمد على الأداتين :"إذا " و "أمّا" .
6. صورة الأمر المعلق بصفة متضمنة معنى الشّرط .
7. نمط تركيب الشرط الضّمني (بناء الشرط على إضمار الأداة "إذا").
8. الشرط المعتمد على الأداة "كلمّا" .
9. هيمنة النسق التكراري في تشكيل التركيب الشرطي .
10. صورة الجملة الماضوية الشرطية المركبة المعتمدة على الأداة "لمّا" .
11. الشرط المعتمد على الأداة "أينما" .
12. الشرط المعتمد على الأداة "أنّي".
13. الشرط المعتمد على الأداة "إذا ما" .
14. الشرط المعتمد على الطّلب .

يحاول هذا الفصل تتبع ظاهرة لغوية في أسلوب الشرط، ووضع بعض شواهد مقتطفة من السور القرآنية (من سورة يونس إلى سورة الناس) ضمن تحليل الخطاب على المستوى النحوي والبلاغي، وهذا لا يعني أنّنا أغفلنا الجانبين المهمين وهما الصوتي والصرفي، لكن حاولنا حصر اهتمامنا في هذا الجانب اللغوي .

كما تسعى هذه الدراسة التي تفيد من جهود علماء العربية من لغويين ومفسرين إلى أخذ آيات من بعض السور القرآنية مادة خصبة لمثل هذه الدراسة، لأنّها تناقش في بنيتها الرئيسة موضوع العبادة –التوحيد –العقيدة ومواجهة تعنت الكفار لتلك الرسالة الجديدة لذا جاءت هذه الدراسة لوضع اليد على أهم مقاطع الخطاب في التركيب الشرطي لكشف الفروق بين أنواع الخطاب الموجه للرسول الله (صلى الله عليه وسلم) أو للمؤمنين أو للكافرين، وبيان أثرها في المخاطب، على مستوى التراكيب النحوية والمفردات. ويمثل أسلوب الشرط في القرآن الكريم ظاهرة جلية، تستحق الوقوف والتأمل في أسرارها ومغزاها، إذ تتناول نماذج من آيات القرآن الكريم، وعلاقات تلك الآيات بعضها ببعض .

وتعد بنية الشرط من أبرز البنيات اللغوية في القرآن الكريم، فالمتأمل فيه يجد أنّ الشرط يتكرر في غير موطن في السورة الواحدة، ولأسلوب الشرط شأن بارز في الكشف عن إعجاز هذا الكتاب، ممّا يزيد المتأمل تدبرا وتقربا من الله تعالى. وعليه فإنّ هذا البحث يسعى إلى إبراز تلك الظاهرة من خلال بيان الآيات وتطور معانيها وتتابع مقاطعها وأبعادها النحوية والمجازية والتداولية، وما قيل فيها من آراء والوقوف على دلالة تلك الأساليب وفق ورودها في سياقها المناسب.

## 1. التّحليل التركيبي الدلالي لأسماء الشرط الجازمة وغير الجازمة

### 1.1. النمط الأول : أسماء الشرط الجازمة

### 1.2. الشرط المعتمد على الأداة "من":

جاء من هذا النمط تراكيب متعددة ومختلفة توضحه الصور التركيبية الآتية:

**الصورة الأولى :** أداة الشرط (من) + عبارة الشرط + عبارة الجواب .<< إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى>>[1].

تتألف بنية هذا التركيب من أداة توكيد الناسخ والضمير المتصل اسم إن +أداة شرط +فعل(والفاعل مضمر)+مفعول به +ضمير(اسم مجرور) +حال، وهو وصف حالة سيئة مشتق (اسم فاعل) يقابل صيغة الفعل (يجزم)،<< قد اكتسبت من الاسم خاصية التّنوين ومن الفعل خاصية التّعدي إلى مفعول ،فيجمع بين وظيفة الاسم والفعل >>[2]. والمفعول به جملة جواب الشرط تتصدرها أداة ربط الفاء والأداة النّاسخة "إنّ" يليها جار ومجرور.

---

[1] الآية 74 من سورة طه / وردت مثل هذا الأسلوب في الآيات الآتية : [ 10-108 ] ، [ 11 – 15 ] / [ 11-17] / [ 12- 90 ] ، [ 13 -33 ] ،/ [ 14 – 36 ]----الربط بالواو ) ، [ 16 – 75 ] ، [ 16- 97 ] ، [ 16 -106 ] ، / [ 16 -115 ] ،/ [ 17 -15 ] ----الربط بالواو التقابل ) ، [ 17-18 ] ، / [ 17- 19 ] ،/ [ 17- 33 / 37 -63 / [ 17- 71 ] ، [ 17 -72-73 ] ---الربط بالواو، [ 17- 97 ] ، [ 18-17 ]، [ 18 -110 ] ، [ 19 -75 ] –( من + إذا) ، [ 20-75 ] ، [ 20-81 ] ، ل[ 20-100 ] ، [ 20-112 ] ، [ 20-123 ] ، [ 20-124 ] ، [ 21-29 ] ، [ 21-59 ] ، [ 21-94 ] ، [ 22-04 ] ، / [ 22-15 ] ، [ 22-18 ] ، [ 22-31 ] ، [ 22-25 ] ، [ 22-30 ] ، [ 22 -32 ] ، [ 22-60 ] ، [ 23-07 ] ، [ 23-102 ] ، [ 23-103 ] / [ 23-117 ] ، [ 24 -21 ]/ [ 24-33 ] ، [ 24-40 ] ، [ 24-52 ] ، / [ 25-19 ]، [ 25-68 ] ، [ 25 .71 ] –[27 .40] / [ 27 . 89 / [ 27 .90 ] ، ل[ 27 . 92 ] ، [ 28 -84 ] ، [ 29 .05 ] ، [ 29 -06 ] ، [ 30. 44 ] ، [ 31 -12 ] / [ 31 -22 ] ، [ 33 .31 ] ، [ 33 .36 ] ،[ 35 .10 ] ، [ 35 . 18 ] ، 33.71 / 34-12 ،

[36 .68 ] / [ 38 -61 ] ، [ 39- 23 ] ، / [ 39-36 ] ،/ [ 39 -37 ] ، [ 39-41 ] ----أسلوبين الربط بالواو ، [ 40-09 ] ، [ 40 .33 )] ، / [40.40] ، [ 41 . 46 ] ---- الربط بالواو ، [ 42 .20 ] ، [ 42 .23 ] ، [ 42 .40 ] ، [ 42 .44]، [ 42 .46 ] ، [ 43 .36 ] .( [ 45 .15 ] --- الربط بالواو )، [46 -32 ] ، [ 47 .38 ] ، [ 48 .10 ] ، [72 .09 ] ، [ 72 .13 ] ، [ 72 .14 ] ، [ 72 -17 ] – [ 72 .23 ] ، [ 73 .19 ] ، [ 74 .55 ] ، [ 76 .29 ] ، [ 78 .39 ] ،[ 80 -12 ] ، [ 99-7 – 08 ] .

[2] لغة القرآن الكريم "دراسة لسانية تطبيقية للجملة في سورة البقرة ،محمد خان ،دار الهدى ص111 للطباعة والنشر والتوزيع –عين مليلة –ط 12004

فالمجاز في <<مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا >> ومن المعلوم والواضح أنّ الإنسان إذا جاء ربّه وأوقف للحساب لا يكون مجرما لأنّ أعماله تنقطع وتنتهي بموته، ولكن الآية الكريمة عبّرت بالمجاز بالنظر إلى ما كان عليه هذا العبد من الإجرام في دنياه .

فالمجاز مرسل والعلاقة اعتبار ما كان. وقد عدل المتكلم هنا عن الحقيقة إلى استعماله للتعبير عن معنى المعاني هو توكيد ذلك المعنى وتقريره في النّفس، ذلك لأنّ هذا المجاز يبلغنا عن أهم تلك الأغراض والمعاني لأنّها إذا لم تتكشف للقارئ أو السامع تمام الانكشاف مما يثير انفعالا التشوق والتّطلع إلى معرفة دلالته المجازية التي يريدها المتكلم حتّى إذا وصل القارئ إلى معرفة تلك الدلالة المجازية التي يشير إليها الاستعمال المجازي للشرط تحسّ النّفس حينذاك باللذة والمتعة ،مما يستدعي توكيد المعنى المجازي فيها وزيادة قابليته في إشارة الانفعال المناسب وقد أدّى هذا المعنى المقصود بإيجاز أو كلمحة دالة وبهذا يكون قد أصاب المعنى المنشود. ولعّل هذه الآلية التي تعد من الآليات البلاغية التي تشمل الاستعارة والبديع والتمثيل من أهّم الآليات التي تحقق الحجاج والإقناع لما فيها من سحر وبيان.

وهناك مظهر آخر للمجاز المرسل الذي يحمله معنى هذا التركيب بحيث يكون المجاز مصورا للمعنى المقصود خير تصوير، ويظهر ذلك من خلال الدّقة والمهارة في تخير العلاقة بين المعنى الأصلي للإجرام في الدنيا عندما يمارسه المجرم في حياته قبل مماته ،والمعنى المجازي حيث يكون المجاز مصورا للمعنى المنشود وهو إذا جاء يوم الساعة وأوقف للحساب أمام ربّه ولا أدلّ على ذلك أنّ ظاهرة المجاز ظاهرة عامة لكلّ الألسنة يلجأ إليها لتوليد المعاني الضرورية خاصة في إغناء الرصيد المصطلحاتي الخاص بالتواصل المعرفي .

وفي هذا الصدد يقول عبد السلام المسدي :<< المجاز هو محرك الطاقة التعبيرية في ازدواجها بين تصريحية وإيحائية، بين طاقة موضوعة جدولية، وطاقة سياقية جافة فمَكْمَن المجاز استعداد اللغة لإنجاز تحولات دلالية بين أجزائها، يتحرك الدال. فينزاح عن مدلوله ليلابس مدلولا قائما أو مستحدثا، وهكذا يصبح المجاز جسر العبور تمتطيه

الدّوال بين الحقول المفهومية >>[1] فهو يشبه المجاز بالجسر اللغوي الذي تنتقل عبره الدوال إلى المدلولات الجديدة وبذلك تتكشف طبيعة النظام اللغوي وتتضح الوظيفة الحركية له وحركِيتهُ.

**الوجهة الوظيفية:**

لعّل أدنى محاولة تأملية فاحصة إلى ما ورد في عبارة الشرط ،تجرنا حتما إلى التماس بعض الآليات ذات البعد الاستراتيجي ،وبالضبط في جملة الشّرط " إنّه من يأت ربّه مجرما "، حيث اعتمد المتكلم هاهنا مجازا مرسلا مطعّما بأبعاد جمالية من جهة ،وعلى ومضات حجاجية من جهة أخرى ،يحكم أنّ المجاز يفعل في المتلقي مالا تفعله الحقيقة ،فهي قائمة على التأثير والإقناع بمظهريه: الإثباتي، التّقريري، أو المظهر الذي يقوم بنفي المعتقدات القبلية الموجودة قبل عملية التخاطب ومن هنا يظهر فضل استعمال "المجاز اللغوي" وما شاكلها على الحقيقة[2]، وبمعنى آخر يمكن القول إن المتكلم (المرسل) وفق إلى حد كبير وأبعد في خلق صبغة تأثيرية تلقي بظلالها على المتلقي وتجعله يذعن ويسلم ويطوع بقدسيته عبادة الله في الدنيا قبل المجيء إلى الآخرة للحساب وعدم التهاون في إخلاص العمل لله، إذ اضطلع المجاز اللغوي في هذا المقام بدور فعال يقوم على تحريك عجلة الانتقال من المعاني التجريبية المدركة عن طريق الحواس إلى معاني التجريدية (التحليلية)، وكل هذا من أجل استمالة الأنفس وتطويعها على فعل الخير في الحياة قبل الممات والتأثير عليها ،ومهما يكن من أمر فإن عبارة "يأت ربّه..." التي استعملها المتكلم في عبارة الشرط ،تتمفصل حول مجالين مختلفين، فالمجال الأوّل مرتبط بالنظرة السّطحية التي تظهر من خلالها هذه العبارة مجرّد جملة ذات محتوى إخباري محض، أمّا المجال الثاني فهو المسؤول عن المعاينة الفكرية التحليلية الدقيقة التي تغوص في العمق الحقيقي (الدلالي /التداولي ) المرتبط بمقاصد الاستعمال وفنياته واستراتيجياته ،وفي هذا المجال العميق تأخذ تلك العبارة وجهة حجاجية جلية حيث تصبح عبارة جملة جواب الشرط هاهنا فعلا كلاميا منطويا

[1] ينظر علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، منقور عبد الجليل ديوان المطبوعات الجامعية، 2010، ص 272.

[2] الصناعتين (الشعر والنثر)، أبي هلال العسكري، تح علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت ط1 2006 ص 241.

على طاقات حجاجية، ويأخذ هذا الأخير على عاتقه مهمة إقناع الآخرين وجرّهم نحو فعل وهو ما يدعونا إلى استحضار رؤى وتنظيرات الباحث اللغوي (ديكرو Ducrot ) في هذا المجال ،إذ يعتبر هذا الأخير "أنّ" الكثير من الأفعال الكلامية لها وظيفة حجاجية، والتي توجه المتلقي إلى نتيجة معينة أو نفيها عن ذهنه، وحين نكون موضوعيين ونجانب العمومية يمكن اعتبار أنّ الوظيفة الحجاجية تحمل العلامات داخل الجملة نفسها، فالقيمة الحجاجية لملفوظ ما ليست فقط نتيجة المحمولات الخبرية له ولكن للجملة الواحدة عدّة دلالات وعدّة صيغ أسلوبية، والتي يمكن أن تضيف إلى محتواها الخبري توجيهات حجاجية الملفوظ ،على أساس أنّها توجه المتلقي إلى وجهة دون أخرى[1]، وهو ما نراه في المجاز الذي استخدمه المتكلم في عبارة الشّرط "من يأت ربّه مجرما" فبالإضافة إلى المحتوى الخبري الذي حملته جملة جواب الشرط المتعلقة باسم الشرط الجازم "من" الموجود في عبارة الشرط، يمكن القول إنّها تنطوي على ذخر حجاجي أساسه إقناع المتلقي بضرورة الالتزام بفعل الخير في الدنيا قبل الممات، لأن الحياة الحقيقية مبنية على أسس التعاون والإخاء ونبذ الأنانية .

يمكن القول من حيث الدلالة العميقة إنّ التركيب الشّرطي تعبير مجازي موجه إلى المتلقي نحو ما كان عليه في الحياة الدنيا .لقد أصبح هذا التعبير رؤية جديدة للأشياء في الماضي والإعلان عنه الآنية والبعث من الجديد وكشفا لعلاقات جديدة بينها ،وبهذا اكتسب معنى جديدا لم يكن له من قبل ولكي نفهم معاني التركيب ينبغي أن ندرك ما هو حقيقي وجميل، أي الخير الذي يوجد في العلاقة أولا بين الوجود والملاحظة وثانيا بين الملاحظة والتّعبير وإذا كنّا نهتّم بالذات المبدعة وآلية التّعبير فإنّ السّامع يهتم بالذات بالدرجة الأولى، ذلك أنّ التعبير عنده امتداد للذات ،فهو يهتم بمصدر الخطاب أمّا طبيعته فتابعة للذات، وهو من هنا يركز على (ماذا) يرى المتكلم أكثر من (كيف) يعبّر عمّا يراه. وإذا كان المتكلم قد ربط بين الحقيقة والجمال كما ربط بين ما كان عليه وكيف أصبح مجرما ،فإنّه ربط بين الخير والعمل الصالح والشّر وعمله السيئ، من حيث أنّ اتباع الحقّ هو الطريق الأمثل لاكتشاف الحقيقة والفوز بالجنة

[1]Les échelles argumentatives, C. Oswald Ducrot édition de minuit, paris, 1985, p15 , la valeur argumentative d'un énoncé n'est pas seulement une conséquence des informations apportées par lui mais la phrase peut comporter divers morphèmes expressions ou tournures qui comporter divers morphèmes , expressions ou tournures qui, en plus de leur contenu informatif servent à donner une orientation argumentative à l'énoncé ç entraîner le destinataire dans telle ou telle direction .

عنده، كما أنّ كلامه ما من شكّ قد جاء مؤكدا بتكرار الأداة التي تفيد التأكيد قبل جملة الشّرط، ويسمى الأسلوب الذي تتكرّر فيه الألفاظ أو الحروف أو الجمل قصد تثبيت الكلام في ذهن السامع وتأكيده توكيدا والغرض من التوكيد في هذه الآية التّهديد والوعيد بالجزاء السّيء، وهذا يوحي بتنزيل مكانة المجرم في أسفل الدّرك من الجهنم فنستشف من هذا الكلام أيضا دلالة مثقلة بالعذاب الشّديد الذي يجازى به المجرم ، ومنبّهة لعظم هذا اليوم الآخر.

**الصورة الثانية :** من اللافت للناظر أن النظام اللغوي للأنموذج السابق يشاكل نظام هذا التركيب الشرطي في جملة الجواب فالأولى اسمية والثانية اسمية لكن يختلفان في جملة الشرط كما يتماثلان في المجاز اللغوي وذلك في ا **قوله تعالى:**

" وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلً "[1]

عناصر التلازم الشرطي في الآية الكريمة: أداة الشرط "من"

- جملة الشرط (كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ)
- جملة جواب الشرط (فهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ)

ما نلاحظه من كلمة أعمى أنها جاءت بمعناه المجازي والحقيقي في لفظ واحد وذلك حسب السياق ما يقتضيه السياق حيث "أطلق وصف العمي مرة في معناه الحقيقي، وهو ذهاب البصر ومرة في معناه المجازي وهو الغفلة عن أوامر الله وشرعه، وهي صريحة في الدلالة على وجود المجاز في القرآن، لأنه لفظ واحد أطلق مرتين، على معنيين مختلفين، فكان حقيقة في أحدهما ومجازا في الآخر، وإلا كان مشتركا، والحمل على المجاز أولى من الحمل على الاشتراك"[2]

ويفهم من ذلك أنه يوجد في الخطاب القرآني مجازا. يجب تأوليه إلى الحقيقة الشرعية وتفسير ذلك أنه من كان في هذه الدنيا أعمى عن الحق فلم يقبله بل اتبع الضلال فهو في الآخرة أعمى عن سلوك طريق...

**الصورة الثالثة** تعالى: "... فَمَن نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ..."[3]

يتألف هذا التركيب من (ما) أداة الشرط: من وعبارة الشرط "من نكث"

---

[1] الإسراء الآية 72.

[2] أثر التخريجات الدلالية في فقه الخطاب القرآني، عرابي أحمد، ديوان المطبوعات الجامعية ص 108.

[3] سورة الفتح (10/9).

الرابط الفاء – عبارة الجواب "إنّما ينكُث على نفسه"

إنّ الفعل المحوري الذي يهمن في الآية هو / نكث/ وكما هو مألوف في النظام القواعدي العربي أن الفعل / نكث/ ينتمي إلى فئة لازم /+ فعل/ أماّ ينكث فينتمي الى فئة /متعدي/ – فعل/

إنّ ربط فعل الجواب "ينكث" الذي ينتمي الى سمة متعدي بالركن الحرفي "على" وفق ما تقتضيه الضرورة الإبلاغية يكسب هذا الفعل طواعية أكثر لتغطية ميادين دلالية متباينة. كما أن "الاختلاف النحوي بين فئات حروف الجر أكيد بغض النظر عن وضعية "أنفسهم" (ترجمة sig من اللغة الدنماركية)، يسمح بإيصال الى حد ما) خصائص الربط لهذه العبارة.

بالتالي يمكن تقديم الوصف العام الآتي:

قد تكون sig (أنفسهم) مرتبطة بفاعل جملتها، عندما يسبقه حرف الجر...(+1)"[1]

لذلك فالوحدة الإسنادية المضارعية البسيطة "فإنما ينكث على نفسه" المؤلفة من فاء رابطة + كافة ومكفوفة + فعل مضارع + فاعل (ضمير مستتر هو + شبه جملة جار ومجرور (على نفس) + الضمير الهاء) مضاف إليه مبني عليه الفاعل "هو". فهي في موضع مفعول له وإنما حسن أن يبنى الاسم على الحرف حيث كان معملا في المضمر ولولا ذلك لم يحسن لأنك لم تشغله بشيء. فلو قيل "وإنما ينكث على نفس" لم يحسن لأن الضمير العائد على الفاعل اجباري ولولا ذلك لم يحسن على حد هذا التعبير.

ولهذا "تتغير خصائص الربط المتعلقة ب sig، عندما يتبع بالعبارة slev (نفسه). مثلما تم الإشارة إليه، يكون الجناس المعقد مرتبط بأدنى مجال للفاعل. وبالتالي فإن الربط المحلي إجباري بغض النظر عن سمات الحرف الذي يسبقه (+/ أ) أو (+/−1)

مثال: سمعت جولي إيدا تنتقد نفسها"[2].

[1] Structure de la phrase et théorie du liage sous la direction, Hans –George Obenauer et Anne Zribi – Hertz, Université paris, 1992, p : 128, texttrad : le fait qu'une différence syntaxique entre les deux classes de prépositions soit attestée indépendamment de la distribution de sig autorise à relier au trait (+/-1) les propriétés de liage de cette expression.

La généralisation descriptive suivante peut alors être formulée : sig peut être lié au sujet de sa propre proposition lorsqu'il est gouverné par une préposition (+1à Structure de la phrase

[2] Texte trad : les propriétés de liage de sig changent lorsqu'il est suivi de l'expression selv. Comme mentionné, l'anaphore complexe doit être liée dans le domaine du sujet minimal. Le liage local est donc obligatoire et indépendant des traits (+/-a) ou (+/-1) de son gouverneur :

A : Julie, horte (Ida;kritiseresigselv, Julie a entendu Ida se critriquer

وهنا يظهر لنا دور الحرف في إتمام معنى الجملة، أضف إلى ذلك جاء التركيب منتظما ومرتبا في سياقه المألوف.

فإذا ما تأملنا المقارنة بين هذين الركنين الفعليين /نكث/، و/ينكث/، هي مقارنة

أولا : مورفوفونولوجية، لأنّ لكل بنيته الخاصة، فإذا هي للأول /فعل/، والثاني /يفعل/.

ثانيا : حدث – زمنية، لأن كل ركن فعلي يدل على حدث يقترن بزمن محصل، فالأول يظهر القاعدة الآتية :

نكث ____ ركن فعلي ____ زمن + حدث

زمن / + تام/

أمّا الثاني فيظهر القاعدة الآتية:

ينكث ____ ركن فعلي ____ زمن + حدث

زمن / – تام/

فالمقارنة بين /نكث/ و /ينكث/ هي مقابلة بين /فعل/ و /يفعل/، ومن ثمة فهي مقابلة بين /+ تام/ و /– تام/.

ونشير في سياق آخر إلى أن ما يوجبه "الفعل من تحولات زمنية ما هي سوى تحولات يقتضيها الفعل ذاته، وتتم وفق ضوابط منها ما هو توزيعي، ومنها ما هو دلالي".[1]

ويقصد من ذلك أن بنية الفعل تتضام مع عناصر لسانية في سياقه المألوف، ويتطلب ذلك تحولات زمنية تتم وفق قواعد منها ما هو توزيعي ودلالي، تعبر عن أحوال شتى تختلف باختلاف الحوالية اللسانية، كما يتحول الفعل في ظلها صوب المنحى الزمني وفق تلك الحوالية"[2].

**الصورة التركيبية الرابعة:** إنّ آيات الذكر المجيد لا تذكر العمل إلا مسبوقا بالإيمان وتبشر الذين يأتون بصالح الأعمال لصالح أفراد المجتمع بحسن الثواب والمآب وفي ذات السياق يقول الله تعالى: مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنُ فَلَنُحَيِينّه حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كاَنُوا يَعْمَلُونَ" [3]

---

[1] ينظر السمات التفريعية للفعل في البنية التركيبية، مقاربة لسانية، أحمد حساني، ديوان المطبوعات الجامعية، 1993، ص 57.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص 58.

[3] الآية 97 من سورة النحل.

إذا ما تأمّلنا هاتين العبارتين: عبارة الشرط "من عمل صالحا..." والعبارة الثانية جواب الشّرط "فلنحيينّه حياة..."،

نلفيها جملة شرطية أصولية مقبولة مبنى ومعنى، وما كان ذلك إلا لأنها ركبت تركيبا مألوفا في النظام القواعدي للسان العربي.

إنّ المعيار المعول عليه في قبول جملتي الشرط والجواب ينبني على ضوابط تركيبية ودلالية تتعلق بفعل الشرط "عمل" وفعل الجواب " نحي" حيث ينتقيان "فاعلا محولا" عن اسم حدث في سياقه المألوف وفي رحاب هذا التمايز بين العناصر التي تكون فئة فعل الشرط وجوابه تستدعي الضرورة إبراز قاعدة تفريعية انتقائية للفعل يمكن لها أن تأخذ الشكل الآتي:

فعل ← فاعل محول
فعل ← فاعل صريح

كما تبرز القواعد التفريعية للفعل نمطين من السمات التركيبية العائدة إلى فئة الأفعال في النظام اللساني العربي.

ويتجلى هذان النمطان في الثنائية:

ذاتي / انتقائي

تفرع الأفعال وفق هذه الثنائية إلى سمات خلافية تفريعا تركيبيا ذاتيا يرتد إلى طبيعة الفعل في ذاته بمعزل عن السياق، وتفريعا انتقائيا وفق توارد العناصر اللسانية التي تكون حوالية الفعل في الاستعمال المألوف.[1]

وإذا كان التركيب الشرطي ""تتساوى فيه قبوليتان، فان جواب الشرط المتلو بفعل مضارع مسبوق بأداتي العطف الواو أو الفاء يحتل ثلاثة احتمالات:

نصبا وجزما على نحو ما يقدم في الفعل المعطوف على فعل الشرط،

أو رفعا على تقدير الابتداء واستئناف الكلام:

ما تعمل من عمل صالح يجدك ويجد مجتمعك أو يجدي أو يجدي

وهو ما أشار إليه سيبويه:

[1] ينظر السمات التفريعية للفعل في البنية التركيبية، المرجع السابق، ص 42-43.

"إن تأتني أتك فأحدثك" [1]

وتعد هذه التراكيب الشرطية متساوية في درجة قبولتيها من حيث المعنى والمبنى.

وإذا كان التركيب الشرطي ""تتساوى فيه قبوليتان، فان جواب الشرط المتلو بفعل مضارع مسبوق بأداتي العطف الواو أو الفاء يحتل ثلاثة احتمالات:

نصبا وجزما على نحو ما يقدم في الفعل المعطوف على فعل الشرط،

أو رفعا على تقدير الابتداء واستئناف الكلام:

ما تعمل من عمل صالح يجدك ويجد مجتمعك أو يجدي أو يجدي

وهو ما أشار إليه سيبويه:

"إنْ تأتني أتك فأحدثك" [2]

وتعد هذه التراكيب الشرطية متساوية في درجة قبولتيها من حيث المعنى والمبنى.

**الصورة التركيبية الخامسة:**

قال الله تعالى :<<وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ (.....) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ(36) >>[3]

إذا نظرنا إلى هذه الجملة وَجَدْناها تتركّب من عدّة عناصر تكوّن جملا مركبة إسنادية وكل عنصر يؤدّي وظيفته في نظام بديع وهذا دليل على قدرة ربّنا في خلق دلالات جديدة من عالم الكلمات .

لو تحولنا إلى موضوع هذه القصة نفسها في سورة لوجدنا إطارها يمتّد في سياق من الآيات أكثر ممّا هو عليه في السور الأخرى، وإذا كان سياق الأحداث هو ذاته الوارد في سورة إبراهيم .

فإنّنا نتبين مع ذلك مفارقة في السياقين من ناحيتين:

1)- الناحية الأسلوبية الشكلية.

---

[1] في رحاب اللغة العربية، عبد الجليل مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط2، 2007، ص 163.

[2] المرجع نفسه، ص 163.

[3] الآية 36 من سورة إبراهيم .

2)- الناحية الإدلائية، وتتمثل في شيء من الإضافة والتوسع في حدثيه القصة، بحيث تضمنت جانبا أو أكثر من جوانب سيرة إبراهيم عليه السّلام لم يكشف عنها السياق القصصي في هذه السورة .

وتحمل هذه القصة في طياتها خطابا قيميا ونظما بديعا ذا بعد إنساني وتاريخي، شغلت حيّزا هاما في القصص القرآني حيث احتوت قيما أخلاقية وإنسانية .

**الشّرط المعتمد على الأداة "ما" : الصورة الأولى**

قال الله تعالى :<< قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ>>.[1]

تمثل هذا التركيب في الصورة الآتية :

أداة "ما " + عبارة الشرط / فعلها مضارع +الرابط "الفاء" +عبارة الجواب اسمية وخبرها جملة فعلية فعلها مضارع + ضمير المتصل العائد على الخالق +الربط واو العطف + ضمير منفصل ((هو) –خبر + متمم ) .

تتكون بنية هذه الجملة الشرطية المصدّرة ب "ما" التي وردت بمعنى إفادة الجنس العام.

ومن هنا للعاقل على الرغم من أنّها مبهمة، وقد ربطت بين معنيين هما: أولهما: عبارة الشرط " ما أنفقتم من شيء" المراد هنا الإخبار عن سعي الإنسان إلى عمل الخير بوسائل شتى كالإنفاق وتقديم الخير للمحتاجين.

عند إمعان النظر في هذه الآية الكريمة نجد أنّ( ما) فيها مقصودة إليها لما تفيده من الإبهام وإرادة الجنس العام فعلى هذا لا يصح في النظم البديعي والمعنى النبيه الرفيع، إلا( ما ) لإبهامها، ومطابقتها الغرض الذي تضمنته الآية ).[2]

---

[1] الآية 39 من سورة السبأ. وردت آيات تتصدرها الأداة ما في مايلي : [ 28 –60 ] / [ 39–30 ] / [ 39–34 ] [ 35–02 ] / [ 42–10 ] / [ 42–30 ] / [ 42–36 ] / [ 59–05 ] / [ 59–06 ] / [ 59– 07 ] ----- الربط بالواو [20–73 ] .

[2] الدلالة و الاشتقاق في اللغة إعجاز القرآن بين النحو والبيان عبد المعطى جاب الله سالم، دار الكتاب الحديث، القاهرة ط –1– 1430هـ /2009 ص 88 .

أمّا المعنى الثاني الذي يترتب عليه والمتجسّد في عبارة الجواب "فهو يخلفه ...." وهو حصول الجزاء الحسن وثواب الله عليه لأنّه عليم بكل شيء وهو أفضل الرّازقين. أي ما قدّموه من خير وفي أي شيء ينفع غيرهم فإنّ الله يخلفه ويرزقهم من فضله الواسع.
ولا جرم أنّه تبين أنّ التوكيد في عبارة الجواب حصل بالضمير المنفصل "هو" عوض تكرار كلمة "ربّي" ، ومن هذا ندرك أنّه يجوز التّوكيد بالضمير كما يجوز التّوكيد بالمرادف ، ومحل هذا الضمير "هو" من الإعراب في هذه الآية، ومن أغراض التوكيد هنا التعظيم لأنعم الله والتّلذذ بالمكرّر. وأن التعبير ب (هو ) "أسلوب من أساليب القصر، قال عبد القاهر "أن تقصر جنس المعنى على المخبر عنه ". المبالغة وذلك قولك: زيد هو الجواد تريد أنه الكامل، إلا أنك تخرج الكلام في صورة توهم أن الجود أو الشجاعة لم توجد إلا فيه "[1] أي تفيد دلالة القصر حقيقة قصد المبالغة فالمقصد منه قصر التعويض عنه و الرزق على كلمة الله وحده. فنحن أمام لون من ألوان الإعجاز القرآني، إذا نظرنا كيف فعل البارئ بالمعنى استعمال (ما) هنا دون( من )، وكيف انطوى المعنى بسبب هذا الاستعمال على معنى دقيق لطيف ماكان يؤدى بغير ما الشرطية و كذلك بالنسبة لاستعمال ضمير الرفع المنفصل (هو) "[2].
أمام هذا التشكل ، تظهر بوادر أفق تداولي / إبلاغي ذو طابع إيحائي، على أساس أنّ المخاطب ها هنا يلقي بالظلال الإيحائية النابعة من النّبر والتّنغيم على المتلقي، في محاولة منه لإقناعه، وتظهر حقيقة هذا المقتضي حين نلفيه يُنغّم عباراته تنغيما إثباتيا (هو يخلفه...)، وهذا كلّه من أجل خلق جوّ مناسب للنصح والإرصاد وتثبيت الإنفاق في سبيل الله وفي نفوس المستمعين المملوء والمشبّع بالقيم الإبلاغية، كما يظهر الأفق التّداولي ويطفو إلى السّطح في هذه العبارة الشرطية، عندما نلقي المتكلم (الله) ينتقي ألفاظا مطعمة بأصوات مقلقة (القاف، الياء) وأصوات .... تحدث نبرا مناسبا لمقتضى الحال، ممّا يرفع القوة الإنجازية إلى ذروتها، وبالتالي خلق أفعال كلامية تؤدي وظيفتها التأثيرية في بعدها الإيجابي .

[1] المرجع السابق ص 88.

[2] المرجع نفسه ص88.

**الوجهة التّحليلية الوظيفية:**

-في هذه الآية الكريمة يمكن أن نتلمس بعض الومضات التداولية وتموضعها في جملة جواب الشّرط الناتجة من عبارة الشّرط المبتدئة ب "ما" التي تفيد الجنس وإثبات ذلك بما يلي :

-المظهر المتعلّق بالقوة الإنجازية الموافقة للمتلّقي .

**تركيب شرطي يعتمد على الأداة من**

**الصورة الخامسة:**

**جملتا الشرط والجواب وخصائص االجمل الفعلية:**قال الله تعالى : << فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ.....>>.[1]

إذا حلّلنا هذا النموذج الذي تم توزيعه على خمس وعشرين صورة تحليلا نحويا أبرز نظامها، وأفضى بنا إلى بعض معانيها، وقد تبيّنت لنا ملاحظات نجملها فيما يأتي:

**1) أركان الجملة الفعلية الشرطية:**

الجملة الفعلية تركيب إسنادي، والإسناد علاقة ضمنية بين ضمائم التركيب التي تتّخذ ترتيبا معيّنا، وإلاّ كانت رصفا لألفاظ لا جدوى منها.

وتتكون كل جملة فعلية من فعل وفاعل، وقد تحتاج إلى مفعول (النمط الأول) أو جار ومجرور (النمط الثاني) أو إلى كليهما معا (النمط الثالث) أو إلى مفعولين (النمط الرابع) أو تحتاج إلى غير ذلك من المهمات التي يقتضيها بيان المعنى في الإبلاغ ولا يتم إدراك المعنى لهذه الآية إدراكا صحيحا إلاّ إذا اعتبرنا كل لفظ عنصرا مهّما في مبنى الجملة ومعناها،وعلى هذا الاعتبار تزول الفوارق بين " العمدة والفضلة " التي جاء بها بعض النحاة، وإذا كان المفعول به محذوفا هنا في هذه الآية باعتباره فضلة فإنّنا يمكن الاستغناء عنه .

---

[1] الآية 29 من سورة الكهف .

ورد مثل هذا التركيب في الآيات 17-97- 18-17 [ 45 رقم الآية 15-[42 .20 ] ، [ 48 .10 ] [48 .13 ]، [ 48 . 17 ] ، [ 49 .11 ] ، [ 57 ، 24 ] ، [ 58 . 04 ] ، [ 59 . 04 ] ، [ 59 .09 ] ، [ 60-01 ] ، [ 60 . 06 ] ، [ 60 .09 ] ، [ 63 . 09 ] ، [ 64 .09 ] ، [ 64 .11 ] ، [ 64 .16 ] ، [ 65 .01 ] ، [ 65 .02 ]/[ 65 .03 ]/ [ 65 .04 ] ، [ 65 .04 ] ،[ 65 -05] / [ 65 .07 ] ، [ 65 .11 ] ، [ 70 .31 ].

إنّ عناصر الجملتين الشّرطيتين " فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن " و"وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ" بينهما علاقات الإسناد، والتضاد وهو ما يسمى الطباق الذي له أثر في تحديد الدلالة المعنوية وعلى قدر وضوح الدلالة بينهما وصواب الإشارة وحسن الاختصار ودقة المدخل يكون إظهار المعنى وتقويته. بالإضافة إلى العمدة، وليس بينهما فضلة، وكل كلمة منها ذات وظيفة منسقة بما قبلها وبما بعدها، والتّعليق أو النّظم هو الفكرة المركزية بينها .

2) -**الحذف:**

الحذف ظاهرة عامة في الكلام العربي تفسّر بالاقتصاد في اللفظ، لأنّ المتكلم ينزع نحو المجهود الأدنى في الأداء اللغوي .

فالحذف جائز هنا إذا دلّ عليه دليل من السياق والمقام أو إذا قصد به الاتساع الدلالي.

حذف الفاعل في هذه الآية، ويقدر ضميرا يدلّ عليه صيغة الفعل( المسند للمعلوم) شاء، ويحدّد السياق مرجعه .كما يحذف المفعول به أيضا إذا كان غير مقصود في الخبر، فيتعلق المعنى بغيره كقوله <<ومن شاء فليكفر ،فالفعل يتعدّى بوضعه إلى مفعول، ولكن المفعول غير مذكور، لأنّ المقصود هو اتّصاف هذا المكذب بالكفر والعصيان، وقد يحذف المفعول به لضرب من الاتّساع في الاحتمال الدّلالي ليتخيل السّامع مما يتخيل من أنواع المفاعيل من مثل قوله تعالى : <<مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ>>[1].

فالمفعول الثاني محذوف ليتخيل السامع الكثير من أجر خير الدّنيا وخير الآخرة .

**3) -الرّتبة:**

يحتل الفعل المرتبة الأولى في الجملة الفعلية الشّرطية المرّكبة (حيث يتصدر العناصر اللسانية الجوهرية التي تكون مشيره الركني وذلك حسب أصل الوضع إلا أنه قد يعدل عن هذا الأصل بإجراء تحويل موقعي ).[2]

[1] سورة البقرة الآية 112.

[2]– السمات التفريعية للفعل في البنية التركيبية – مرجع سابق، ص 31 .

ويتقدم العنصر الذي يُرادُ إبرازه ولفْت النظر إليه كالأداة "من" في قوله: "من شاء فليؤمن " فالفعل هنا مشترك بين الفاء المضمر والمفعول به المحذوف، صالحا أنّ يسند إلى كلّ منهما، فتصبح العلامة الإعرابية قرينة للوظيفة النحوية في قوله :<<مَن شَاء فَلْيَكْفُرْ>> .

**4) – الرّبط:**

تربط حروف العطف [الفاء والواو] بين الجملتين الشّرطيتين المتتابعتين ربطا متزامنا أي في الوقت نفسه أو مرتّبا ترتيبا زمنيا متعاقبا أو ربطا متماثلا يبرز عملية التقابل الإيجابي والسّلبي.

أ–تؤدي (الفاء) في قوله تعالى :<<فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن>> وظيفة الربط السّببي، فتربط النتيجة بسببها كما ساهم العطف هنا في خلق الاتّساق الدّلالي .

ب– وتؤدّى الواو هنا وظيفة الربط المتوازي بين الجمل المتتابعة مقابلة سلبية كقوله تعالى :

<<فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ>> وهو ربط يُرادُ به مجرّد تعديد الأحداث المتجددة دون ترتيب زمني بينهما ،فالهداية والايمان والكفر والضلال متوازيان .

–تحتوي هذه الآية على نسق تركيبي أحادي تمثل في نسق التكرار الفعل والأداة <<مَنْ شَاءَ>> في تشكيل تراكيبها ويمكن توضيح ذلك في المخطط الآتي:

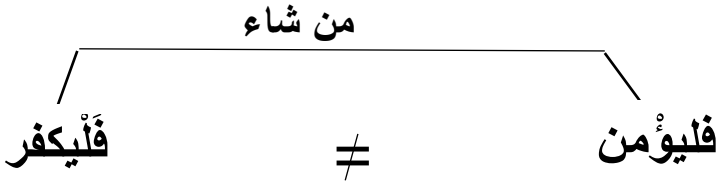


ولم يأت هذا التكرار عبثا، وإنما لغايات متعددة. أسند إليها سياقاتها لتكمل معناها فجاء ايقاعها مغنيا عن موسيقى الآيات لما فيها من جمال التكرار وروعة التقطيع الداخلي. وربما الخصيصة الموسيقية هي التي كانت وراء التّكرار واختلاف النكتة الفنية فيه من موضع لموضع، كالتأكيد والتقريع والتهويل ،والترهيب والتحليل أمر سائغ في بلاغة الكلام عندما يظهر القصد منه .*

* أحكام وملاحظات حول "إذا" الظرفية :

1–إذا جاء بعدها اسم يعرب فاعلا أو نائب فاعل لفعل محذوف .

2– وأول جملة تأتي بعد الفاعل لفعل محذوف تكون تفسيرية .

**الصورة التركيبية السادسة:**

قال سبحانه تعالى: "وَمَنْ لمْ يُؤْمِنْ بالله وَرَسُولِه فإِنّا اعْتَدْنَا للكَافِرينَ سَعيرًا"[1]

يتألف التركيب الشرطي لهذه الآية من ثلاثة أركان هي:

أداة الشرط "من"

جملة الشرط "لم يؤمن بالله ورسوله"

جملة جواب الشرط: محذوفة حلت محلها جملة اسمية منسوخة "فانا اعتدنا للكافرين سعيرا"

والفاء عاطفة على الجواب وان واسمها وجملة اعتدنا "خبر إن، للكافرين متعلقان "باعتدنا" وجملة الشرط والجواب خبر "من" ويمكن تقدير المحذوف بـ "لم يهد قلبه، أو عاقبناه عقابا شديدا، فانه كافر، قد نجد أسلوب الشرط المذكور في هذه الآية قد عبر عنه متكلم في معاني كثيرة بملفوظات محدودة، حيث استعمل المنشئ هذا الأسلوب بالقدر الذي يضمن له الغرض منه ويظهر ذلك وضوحا في قوله: "فانا اعتدنا للكافرين سعيرا" التي يحملها لفظ "سعيرا" وما يترتب عليه من جزاء وهو عقابهم.

عقابا شديدا، أو بمعنى آخر: "قد هيأنا لهم نارا" أو حوره أي خيبه ورجعه إلى النقص.

فوجود هذا الكم من الجمل المقدرة، ما كانت تحقق للخطاب تأثيره وبلاغته، فيأتي اضمار والاختزال ليضفي عليه مسحة جمالية أدائية فضلا عن أنه يؤدي إلى تقصير المسافة بين الوحدات وتسريع النطق بها.

وقد برر اللغويون الأقدمون هذا التحول الزمني، إن نلقي ابن جيني يقول "فاذا نفي المضارع الذي هو الأصل، ظنك بالماضي الذي هو الفرع"[2]

---

3-جملة فعل الشرط هي دائما في محلّ جرّ بالإضافة وجملة جواب الشّرط لا محل لها من الإعراب .

4- ما بعد إذا زائدة لا عمل لها .

[1] لسانيات النص القرآني بين التنظير والتطبيق ، دا أشوق محمد إسماعيل النجار ،عالم الكتب الحديث إربد – الأردن ط1 ،2013.

[1] سورة الفتح الأية (13-12).

[2] لسانيات النص القرآني بين التنظير والتطبيق ، المرجع السابق، ص 59.

والمقصود بذلك أن الحدث الذي يدل عليه الفعل غير التام أسبق في الوجود من الحدث التام ونفي الأسبق منه يؤدي إلى نفي الملحق وهذا ناتج عن التأليف بين عناصر الحوالية بمجملها[1].

**الضّابط التّوزيعي للزّمن السّياقي**

الحوالية (/لم /+/يفعل /---/-نام/)

إن الحوالية المشار إليها أعلاه تحول عادة الزمن السياقي صوبالمضي[2]، كما يظهر ذلك في البنية السطحية للآية التالية:

قال الله تعالى: "ومن لم يؤمن...."

"فالبنية المورفونولوجية للفعل الوارد في الحوالية (/لم/) هي بنية (يفعل) التي تتوافق مع السمة / – تام/ بوصفها سمة مميزة تلحق بالحدث غير التام (الحال الحضوري، أو المستقبل المتوقع[3]) بيد أن الزمن السياقي هنا يخالف في الظاهر دلالة البنية على الزمن بمعزل عن السياق , ومفاد ذلك إلى أن النفي في هذا المقام ليس بنفي الحال الحضوري، بل هو نفي متولج في موالج الزمن الماضي "[4].

كما نلاحظ ف الخطاب القرآني مواضع عديدة تستعمل فيها المتكلم اسم الظاهر في موضع المضمر فهنا أظهر لفظ الكافرين في مقام أن يقال: "اعتدنا لهم سعيرا " بحيث ذكر اسم الكافرين ولم يأت بالضمير العائد عليه، وذلك لزيادة تقرير المعنى.

ووقوع الاسم الظاهر الذي محله الإضمار في السياق الشرطي، إنما الباعث يكون لزيادة تقرير المعنى أو لسبب وأكثر فقد يكون للتهديد للمتخلفين، أو التحكيم، الأمر أو للاهتمام به ولقصد العموم والاعتناء به، التهويل أو لبيان علة الحكم أو لغير لذلك، وقد يقع اسم الظاهر للفظه أو بمعناه.

---

[1] لسانيات النص القرآني بين التنظير والتطبيق ، المرجع السابق ، ص 59–60.

[2] المرجع نفسه، ص 59.

[3] المرجع نفسه، ص 59.

[4] المرجع نفسه, ص 59

**دلالة التركيب في سياق النزول**

هذه الآية نزلت في هؤلاء المنافقين من الأعراب فتكون مختصة بهم، لكن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب لأن قوله: "ومن لم يؤمن بالله..." كلام أدرج فيه كلمة "من" "ومعرض الشرط فيكون العموم.

وحتى لا تبقى دلالة النص قاصرة على سبب النزول فان النص لابد أن يحمل، إشارات لغوية وقرائن تشير إلى تعميم دلالته كلفظ "من" في النص السابق المختلف فيه، ويعتبر ذلك ترجيح لعموم اللفظ بالقرينة اللفظية الواردة في النص ومنها الفاظ العموم أو ما تدل عليه"[1]

**النمط الثاني: أسماء الشّرط غير الجازمة**

**الشّرط المعتمد على الأداة "إذا":**

**الصورة التركيبية الأولى:**

من هذه الصورة قوله تعالى :<<وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا>>.[2]

أداة شرط +فعل +مفعول به +فاعل (ظاهر) +فعل +فاعل (ضمير متصل) +جار ومجرور +ضمير (مضاف إليه ) +حرف عطف (أو) +معطوف +حرف عطف (أو) +معطوف .

يتألف التركيب من فعل الشّرط ومفعول به مقدّم على الفاعل .[3]

ومعنى التركيب في العبارة القرآنية وهي حاملة لمفهوم القدرة الإلهية المطلقة من جهة ، ولكنّها قاهرة، أي وصفية إشكالية لا حلّ لها في حدود قدرة الفعل الإنساني،ولمفهوم العقاب من جهة أخرى، وهذا الاستدعاء الوصفي للعبارة القرآنية إنّما يستدعي درامية

---

[1] ينظر، أثر التخريجات الدلالية في فقه الخطاب القرآني، عرابي احمد، ديوان المطبوعات الجامعية، تيارت، 2010، ص 226-227.

[2] الآية 12 من سورة يونس

[3] وردت تراكيب أيضا في هذه الدلالة 10-21 << وإذا اذقنا الناس رحمة من يعد ضرّاء مسّتهم إذا لهم مكر في آياتنا .

الموقف مع تحييد ثنائية :الإله –الإنسان وترك الحديث في بعده البشري البحث وهذا مثل قوله تعالى: <<.....فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم...>>[1].

فالآية تشير إلى الخصومة والعداء بعد ذهاب الخوف عنهم عادوا إلى طبيعتهم الشريرة الأولى .

**في مقدمة سورة يونس :** بيّنت المقدمة في هذه السّورة أن هناك وضعا جدليا هو إيحاء الله تعالى إلى رجل يأمره بإنذار الناس وتبشيرهم, والمحافظ هنا على هذه الحقيقة هو الله سبحانه تعالى وهناك ناقضا متمثل بالكفار أمّا في الإثباثات فقد عرض فكر المجادلين الناقضين، وعرضت تبكيتات رب العالمين لهم بالحجج الملزمة، فاتضح أن أركان الجدل كلها كانت متوافرة في تلك النصوص. وكما يأتي في هذه الآية التي ردت على حجتهم الواهية فتدحضها، وذلك بعرض القوة المطلقة والإرادة غير الممانعة لله تعالى ثم يأتي السياق بحجة من الواقع المحسوس ليبين كذب أولئك المستهزئين".[2]

كلّ هذا الكمّ من التأثير القرآني يجعل القارئ يهتدي بذوق جمالي رفيع، ولكنّه كامن إلاّ لمن يكتشف أسرار الأسلوب الشرطي في العبارات القرآنية.

إنّ الذي يحاول أن يتقصىّ ما ورد في الخطاب، في هذه النقطة تحديدا، يجد أنّ المسألة متعلقة بنوع من اللاتمازج الناشئ عن اجتماع جُلّ عوامل الرّفض، من تعنت ونكران وجحود وجبلة فاسدة –وقد حصلت كلّها في نظامه الفكري المختل، والأمر هنا متعلق بالمتلقي الذي بموجبه حكم على الخطاب وقَيّمَهُ ،حيث أنّه فكّر ثم قدّر، وحينما يفعل ذلك يكون قد ربط التّخاطب بأرقى مستوياته ،ثمّ بتّره في مستوى آخر، وفي هذا دلالة على كبرهم وعتوهم، لقد غلّق هؤلاء المشركين باب الهداية عليهم لأنهم غير مقتنعين بأنّ القرآن جاء من الرسول محمد –صلى الله عليه وسلم– ثمّ إنّهم نسوا الفطرة التي كانوا عليها. وفي هذا دلالة أيضا على خوف نبي الله على ضياع الرسالة وهي الدعوة للإسلام وغضب الله عليه .فالتلقي هنا هو المحك، إذا كلّما اتّسعت ثقافة

[1] الآية 19 من سورة الأحزاب.

[2] ينظر_ بنية النص القرآني دراسات موازنة بين البنى العقائدية واللغوية والفنية ,لابتسام السيد عبد الكريم علي المدني منشورات دار النهضة العربية بيروت لبنان ,بيت الحكمة,العراق بغداد طبعة الأولى1431 _ 2010 ص ص 81_82 .

القارئ القرآنية اتّسعت مساحة التأويل والاستمتاع الفني لهذه البنيات التركيبية في الأساليب الشّرطية، كما يثير آيات الإعجاب عند متلقّيه لأنّه وهو في مغامرة القراءة والتعرّف على ما لا يعرفه من أحداث وتفاصيل صيغت صياغة لغوية، إذا به يُفاجأ بما يعرفه في غير مكانه ولا سياقه ولا أجوائه ،إنّه الكسر لأفق الانتظار الذي يولد الدّهشة والمتعة الفنية في توْليفة بين الغرض الدّيني من جهة والغرض الفني من جهة أخرى ،في محاولة لكشف تطويع العبارة الشّرطية والعبارة الجوابية في القالب النحوي، وهذه الدّقة في الوضع والاختيار للألفاظ المناسبة للإنسان الذي يصبه بلاء ،وكذلك التناسق، تتبعها دّقة في المعنى، ودّقة في وصف حالة الإنسان عندما يتعرض للبلاء ،تجعل الموصوف أكثر حضورا في الذهن والوجدان ممّا يجعل هذا الوصف جزءا من التلاحم العضوي للتعبير، وليس وصفا زائدا وتحلية جمالية، وهذه سمة قرآنية لا تقتصر على صفة "قاعدا" أو قائما دون غيرها ولكنّنا نستحسن ذكر النموذج الذي يجسد هذه الخصيصة ،فمثلا نجده في قوله تعالى :

<<.....وَإِنْ مَسَّهُا لشَّرَ، فَذُو دُعَاءِ عريض...>>، تجد نفسك مأخوذا بالدّهشة من هذا الوصف الذي ارتبط بموصوفه، بل إنّك لتكتشف الموصوف الآن، بعد أن كان غائما غير محدد .

وأكثر من ذلك، فإنّ المتلقي يجد اللفظة القرآنية مشعة بأكثر من دلالة وموحية بأكثر من معنى. وكلّه مقبول ومرضي في الوجدان والعقل، فحين يقول الله تعالى: << وَإِنْ مَسَّهُ ...>> فقد احتمل تفسير هذه الآية أن يكون المقصود أنّ الإنسان ضعيف أمام المصائب ووصف الحال التي يكون عليها الإنسان عند نزول ذلك الضرّ (الشّر) به.

**الصورة الثانية:**

**قال تعالى:** *"فَإِذَا قَرَأْتَ الْقرآن فاسْتَعِذْ باللهِ من الشَّيطانِ الرَّجيمِ"* [1]

يتركب هذا التركيب الشرطي من عبارة الشرط "قرأت القرآن"، الرابط الفاء وعبارة الجواب المبدوءة بفعل الأمر "استعذ بالله".

ومعناه إذا قرأ القرآن استحق به ثوابا عظيما فإن لم يستعذ وقعت الوسوسة في قلبه فاعلية خرق الترتيب في السياق القرآني.

[1] سورة النحل، الآية 98.

ما يلاحظ في الآية الكريمة تقديم القراءة على الاستعاذة والواقع الشرعي أن الاستعاذة مقدمة، وهذا ما يدفعنا للتساؤل الذي يثيره ظاهر النص لأنه ترتيب غير مطابق للواقع. فهو تأويل توفيقي بين ظاهر النص والواقع وقد ربط بين عبارة الشرط والجواب الفاء وهي غير فاء العطف "إلا أن كليهما يقوم بوظيفة الربط بين الشرط وجزائه، ووظيفة الترتيب والتعقيب. ويعد هذا دلالة على خروج حروف المعاني عما وضعت له أصلا. وهذا خرق لمعيارية الترتيب بين الشرط وجوابه واعتمد هذا الخرق على الطريقة الشرعية والعقلية التي تعني أن تكون الاستعاذة قبل البدء في القراءة. ولعله من الواضح أن فهم الجواب لاحقا للشرط في الزمان مهم في بعض الآيات لأنه تقوم عليه أصول تشريعية"[1]، وهذا الأصل يرتبط بدلالة السياق والتظافر النصي. والمقصود بذلك أن الأصل في الفاء الرابطة لجواب الشرط "أن تفيد الترتيب في الزمان إلا إذا قامت في السياق قرينة تفيد غير الترتيب وعليه فإن الترتيب ظاهرة سياقية". كان هذا التقديم دليل لغرض آخر ومعنى ذلك أن السياق الشرطي يحدده دلالتها على هذا التأويل للمعنى المراد أو معنى آخر فدلالتها كدلالة اللفظ المعجمي وقد تبقى دلالتها اللغوية ظنية على الترتيب حتى تفهم من السياق ويتوفر الدليل على ذلك.

**الصورة التركيبية الثالثة**

**قال تعالى:**

"وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ"[2]

جاء التركيب الشّرطي لهذه الآية في جملة تحويلية خبرية و يتألف نظامها التركيبي من جملتي الشّرط و الجواب، إنّ كلتيهما تتألفان من عمدتين هما المسند "وقع " والمسند إليه "القول "و لا غنى عن إحداهما، أما في جملة الجواب فتكونت من المسند "أخرج " والمسند إليه (الضمير المتصل "نا" ثم عطف على فعل الجواب فعل آخر " تكلمنا "

[1] ينظر : أثر التخريجات الدلالية في فقه الخطاب القرآني، عرابي أحمد، ديوان المطبوعات الجامعية، ص 60.

[2] سورة النمل (82) .

باعتبارها عبارة إضافية[1] تضيف معنى إلى عبارة رئيسية، أو تحددها أو ما يسمى بتركيب مفتوح أي تركيب قابل للتوسيع بزيادة بعض العناصر عليه .

ومعنى هذه الآية أنه (إذا وقع القول )إذا "وجب القول أخرج الله لهم دابة من الأرض فتكلم الناس على ذلك وفي تفسير كلمة تكلم وجهين حيث اختلف القراء في قراءة ذلك، هناك من قرأها بضم التاء وكسر اللام قال عباس والحسن وقتادة تكلمهم كلاما أي تخاطبهم مخاطبة فتقول لهم إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون"[2] وقرأ سعيد بن جبير وغيره تكلمهم بفتح التاء وتخفيف اللام عن الكلم أي من الكلم، ويعني في اللغة الجرح، ولعل في هذه التسمية مراعاة للأثر فالجرح أثر فعل، والكلمة " تكلم " قد تصيب موقعها الذي يريده لها صاحبها أن تصيبه فتحدث عملا عجيبا هو أقرب إلى السحر[3].

**مؤشر ال (نا) و ال (هم ):**

"وهو من أهم المؤشرات اللغوية ذات البعد التداولي، لأن توزع مادة الخطاب، وهندستها يخضعان إلى حد كبير لهما ، إنها الوجه الآخر لثنائية (الانا ) و( الآخر)، التي يعتبر المناطقة طرفيها عناصر مؤشرية ، في حين يعدها الألسنيون، وفق ما ذهب إليه جاكبسون Jakobson محركات مفصلية في عالم الخطاب إنها الأقطاب التي تتردد بينها العملية التواصلية " [4] يتحدد حضور المتكلم في الضمير نا الذي يعبر عن "نحن " والضمير "هم " الذي يعبر عن المتخاطبين . رمز الملاحظ أن يتلفظ يستلزم حاضرا أو الضمير "أنا " أداء الفعل ، أي التقاء بين المتلفظ و الملفوظ ( القول و المقول ) فحسب " أوستين " لكل تلفظ بعد إنجازي إلى جانب الفعل القولي الذي يشمل :

الفعل الصوتي :إنتاج الأصوات

الفعل التحدثي: الأصوات لديها أشكال

---

[1] معجم المصطلحات اللغوية انكليزي _عربي مع (16) ستة عشر مشردا عربيا رمزي ،منير بعلبكي ،دار العلم للملايين بيروت – لبنان، ط1، ,1990 ، ص30.

[2] ينظر مختصر تفسير ابن كثير ، الشيخ محمد علي االصابوني قصر الكتاب البليدة ، شركة الشهاب الجزائر ، جميع الحقوق محفوظة الجزء الثاني 1990،1410 ص 682.

[3] في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ و الإجراء, نواري سعودي أبو زيد ، بيت الحكمة للنشر و والتوزيع بالجزائر ط1 ، 2009،ص65

[4] المرجع نفسه، ص 65.

الفعل الكلامي: الكلمات لديها معنى"[1] وهذا يعني إن التلفظ نشاط لغوي خاضع لإنتاج الملفوظ فحين قال تعالى " أخرجنا ..." فإنها تؤدي فعلا ،فيتعلق الأمر بالأفعال الإنجازية .

فهناك قوة إنجازية تؤشر إلى نوع فعل الكلام المحقق و المؤكد وقوعه عند التلفظ .

ما يستوقف القارئ وهو يتلو السورة التوظيف اللافت للانتباه للوحدات اللغوية ذات صيغة فعل وأفعلنا ودلالتها على الزّمن الماضي .

إنّ التعبير عن وقوع وعيد البعث بالإشارة إلى شيء، من أشراط السّاعة وعلامتها الكبرى بصيغة الماضي لتقريب زمن الحال من المضي، أي: أشرف وقوعه على أن فعل المضي مع "إذا " ينقلب إلى الاستقبال و يفصل بالقول أخبار الوعيد التي كذبوها متهكمين باستبطاء وقوعها بقولهم :متى هذا الوعد إن كنتم صادقين "[2] فالشرط موجه هنا إلى المكذبين به وقد عبر عن ذلك بالضمير الغائب للجمع "هم" وتؤدي وظيفة التخصيص لهؤلاء المكذبين، وهذا الخطاب تنبيه لهم بذكر أشراط قيام الساعة .

الآية التي ضمن الوعد والوعيد ويهدف المتكلم من ذلك ايصال الخبر للمتخاطبين في المستقبل. أمّا تركيب هذه الآية الذي ضمّن الوعد والوعيد عند سيبويه الذي قال: ولكنّ العباد إنّما كُلِّمُوا بكلامهم، وجاء القرآن على لغتهم وعلى ما يعنون فكأنّه – والله أعلم – قيل لهم : هؤلاء ممن وجب هذا القول لهم " .

والخلاصة أنّ الوعيد والوعد والتحذير والدعاء كلّها من الأفعال الكلامية ولها معاني إنجازية التي حرسها النحاة. وغرض المتكلم من استعمال الخبر الذي يتضمن ايصال نفع أو ضرر إلى الغير في المستقبل للتذكير بأشراط الساعة وتوكيد وقوعها، كما يبدي المتكلم عناية كبيرة بالارتباط التداولي بين الأسلوب الخبري والشرطي وبين معناه الإبلاغي ووظيفته التواصلية مع حرصه القوي على الاهتمام بالمعاني والأغراض الإبلاغية المتوخاة من الخطاب الموجه للمخاطبين ذلك أنّ البنى التركيبية تابعة

---

[1]–لسانيات التلفظ و تداولية الخطاب، ذهبية حمو الحاج ، منضورات مخبر تحليل الخطاب جامعة مولود معمري تيزي وزو ،دار الأمل ،2005،ص 127.

[2]– سورة النمل (71)

للوظيفة التواصلية "[1] والقصد من ذلك التنبيه بذر قيام الساعة وتأكيد الرسالة الإبلاغية لهم .

**الصورة التركيبية الثالثة**

**قال تعالى:***"وإنّا إذَا أَذَقنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمة فَرح بِهَا وإِنْ تُصِبْهُم سَيِّئَة بِمَا قَدّمَتْ أَيْدِيهم فإنّ الإِنْسَانَ كَفُورٌ"* [2]

إنّ الجملة الشرطية "إذا أذقنا الإنسان.....فرح بها" في بنيتها السطحية أصولية ومقبولة من وجهة نظر النظام القواعدي العربي، وعناصر التلازم الشرطي لهذه الآية تتمثل في : أداة الشرط : إذا وعبارة الشرط : "أذقنا الإنسان ...." وعبارة الجواب "فرح بها"، كما ثمّ عطف جملة الشرط الثانية "وإن تصبهم سيئة" على الجملة الأولى وحذف جواب شرطها، فعبارة الشرط هنا "إن تصبهم سيئة" وجملة "فإن الإنسان كفور" جواب الشرط المقدر، أي: إن تصبهم سيئة نسوا نعم الله عليهم، والفاء رابطة أو علة الجواب المقدر.

إنّ فعل الشرط "أذقنا" ههنا كما "أوضح "الجرجاني" ليس بوارد من أجل الوقوع على عنصر لساني خارج عن ذات الفاعل لتحقيق علاقة وظيفية تقتضيها طبيعة الفعل المتعدي، بل هو وارد لارتباطه بالفاعل ارتباطا مطلقا دون حاجة الى ما عداه من العناصر اللسانية الأخرى"[3].

**دلالة التركيب:**

نلمح في هذه الآية الكريمة دلالة الإفراد والتقليل والتكثير، فأية رحمة وإن كانت كثيرة أو قليلة فإنّها مصدر ابتهاج وسرور لنفسيتهم المريضة، وأية مصيبة أو سيئة تصبهم وإن كانت هينة تصبح مصدر سوء وجزع وقنوط لأنفسهم المريضة ويتخذونها ذريعة ووسيلة لتبرئة أنفسهم.

ونظير الأسلوب السابق نجده في قوله تعالى ( وَإِذا غَشِيهُم مَوْج كَالظُّلَلِ دَعُوا الله مُخْلصِين له الدين فلمّا نجَاهُم إلى البرِّ فَمِنْهم مُقتَصد وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار

---

[1]–التداولية عند العلماء العرب ,دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ,لمسعود صحراوي، ص269.

[2] سورة الشورى (48–47). ورد نظير هذا الأسلوب في سورة الروم، الآية 36

[3] السمات التفريعية للفعل في البنية التركيبية ، مرجع سابق، ص 105.

كفور)[1]." فالعبارة القرآنية حاملة لمفهوم القدرة الإلهية المطلقة من جهة، ولكنها قاهرة أي وضعية إشكالية لا حل لها في حدود قدرة الفعل الإنساني، ولمفهوم العقاب من جهة أخرى وهذا الاستدعاء الوصفي للعبارة القرآنية إنما يستدعي درامية الموقف مع تحييد ثنائية (الإله – الإنسان)، وترك الحديث في بعده البشري البحث وفي ذلك حكمة لكل صبار شكور"[2]. عندما يحاجج المتكلم عن واقعهم وفلسفة حياتهم وتماشيهم مع الهموم التي يصنعها القدر ومعاناتهم بسبب عنادهم قد لا تصل مقاصد الشارع حين تكون الإحالة على معلوم عنده تتشخص الدلالة و تتجسد أكثر وتفهم بشكل أوضح.

كل هذا الكم من تأثير الشرط القرآني في توليد الدلالة يطعم مقاصد الخالق في النصوص الشرعية بذوق جمالي رفيع ن ولكنه كامن إلا لمن يكتشفه، فالتلقي هنا هو المحك إذ كلما اتسعت ثقافة القارئ، اتسعت مساحة الفهم والتفسير لهذه البنية التركيبية، بل و يثير آيات الإعجاب .

**الصورة التركيبة الرابعة :جملة الشرط المسندة إلى المفعول (الفاعل غير الحقيقي):**

*قال تعالى "وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ "*[3].

تتكون جملة الشرط *"إذا أنزلت سورة محكمة ..... رأيت الذين في قلوبهم مرض"* من العناصر الآتية :

عبارة الشرط *"إذا أنزلت ....."*

عبارة الجواب *"رأيت الذين....."*[4]

أي لولا نزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة فيها فضيحة أمرهم وذكر القتال فيها رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك بخائنة الأعين المغشى عليها من الموت فيصفهم لأنهم كانوا متعجبين ومغشي عليهم من إطلاع الرسول صلى الله عليه وسلم على

[1] سورة لقمان –31–32–

[2] التناص لدراسة في المنهج و التأويل ورهانات الترجمة ، عيسا ني بلقاسم ، منشورات ضفاف ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، دار الأمان ، الرباط ، ط 1 – 1437هـ /2016 ص 272

[3] سورة محمد ، الآية 20

[4] الآية 20 من سورة محمد

أسرارهم، لأنهم بكفرهم لا يعتقدون أن الله أطلع نبيه عليه الصلاة والسلام على دخيلة أعمالهم السيئة.

**النظام التفريعي للفعل في السياق الشرطي :**

إنّ الفعل في النظام اللساني العربي قابل في ذاته لأن يفرع تفريعا تركيبيا سياقيا وفق القاعدة الآتية :

فعل ← مسند إليه فاعل

↓ مسند إليه مفعول

إن هذه القاعدة تفرع فئة الفعل تفريعا انتقائيا إلى نوعين هما :

1. زمرة الأفعال التي ترتبط بفاعل حقيقي عن طريق عملية الإسناد
2. زمرة الأفعال التي ترتبط بفاعل غير حقيقي أي محول عن مفعول به ومسندة إليه[1]

**تحليل زمرة الفعلين "أنزل" و "ذكر" من الآية الكريمة السابقة**

**فعل الشرط المسند إلى مفعول:** ويتمثل في الفعل "أنزلت" الذي يظهر في المشير الركني الآتي:

جملة – ركن فعلي + ركن اسمي

م / فعل / م إ

1.أنزلت سورة

**(أ)**

1.جملة ← ركن فعلي + ركن اسمي + ركن اسمي

↓ ↓ ↓

أنزل م إ **مفع به**

/س/

ضمير مستتر **متمم**

عائد إلى لفظ /ع/

الجلالة الله سورة

[1] ينظر السمات التفريعية للفعل في البنية التركيبية – مقاربة لسانية، أحمد حساني، ص 128.

**(ب)**

ركن فعلي + ركن اسمي

م م إ

أنزلت سورة

2.**جملة** "ذكر فيها القتال"

جملة ← ركن فعلي ركن حرفي ركن اسمي

م إ

**ذكر** **فيها** **القتال**

**جملة عبارة الجواب** : "رأيت الذين في قلوبهم"

ركن فعلي + ركن اسمي + ركن اسمي موصول

م م إ مفعٌ به (متمم)

رأى الضمير المتصل المخاطب التاء الذين

القاعدة التحويلية المورفوفونولوجية للثنائية (أنزلت / ذكر)

إنّ إجراء هذه القاعدة يتم على النحو الآتي :

1.نزلت يتحول إلى أنزلت بإجراء التحويل الآتي :

1.تحويل بالزيادة أي إضافة الفونام /أ/ في أول البنية الشرطية، فتستحيل حينئذ إلى /أنزلت/

ب) تحويل بتغيير الصوائت، حيث يغير الصائت الأول الملحق بالصامت الأول إلى ضمه / أنزل/ – /أنزل/

2. ذكر يتحول إلى /ذكر/ وذلك بإجراء التحويل التالي :

تغيير الصائت الأول الملحق بالصامت الأول من حركته الأصلية إلى /ضمة/، /ذكر/، /ذكر/

أ. القاعدة التركيبية للثنائية (أنزل، ذكر)

إن إجراء هذه القاعدة يتم على النحو الآتي :

1. "تحويل بالحذف، أي حذف المسند إليه الحقيقي (الفاعل التركيبي والدلالي)

2. تحويل بتغير الوظيفة، أي تغيير وظيفة العنصر الثاني من المفعولية إلى الإسناد فيحل محل المسند إليه الحقيقي (الفاعل الدلالي) رتبة، ووظيفة، فيرث بعض خصوصياته، منها قيامه بوظيفة المسند إليه، ويقتضي هذا التغير في الوظيفة تغيرا في المميز الوظيفي، إذ يتحول من مميز وظيفي للمفعولية إلى مميز وظيفي للإسناد (الضمة)[1].

والغرض من ذلك إيراد الأفعال المسندة إلى المفعول باعتباره إسناد تحويلي لأنه ارتباط وظيفي بين فعل ومفعول دلالي.

يتخلص من كل ما تقدم، أن الركنين الفعليين متوافقان في البنية العميقة، وفي التحويلات التي جرت عليها، لكن هناك تباين دلالي بينهما، كما أنه ثمة فرق بين الشق الأول عبارة الشرط "إذا أنزلت سورة" وعبارة الجواب "رأيت الذين...." من حيث العلاقة الوظيفية، فالإسناد في الجزء الأول (أنزلت) هو إسناد غير طبيعي فهو إسناد فعل إلى مفعول، لكن الإسناد في الشق الثاني هو إسناد طبيعي، أي إسناد فعل إلى محققه في الواقع اللغوي.

ما نلاحظه في هذين المشيرين يهدي إلى أن الركنين الفعليين "أنزلت" و"ذكر" قد خضعا لإجراء قاعدتين تحويليتين إحداهما "قاعدة مورفوفونولوجية والأخرى قاعدة تركيبية"[2]

ويبين الرسم الآتي – كما نرى – بنية الجملة الشرطية في مستواها الأول :

عبارة الشرط

| | | |
|---|---|---|
| مسند | + | مسند إليه |
| فعل | + | نائب الفاعل |
| أنزلت | | |

[1] المرجع السابق ص 131

[2] المرجع نفسه : ص 130

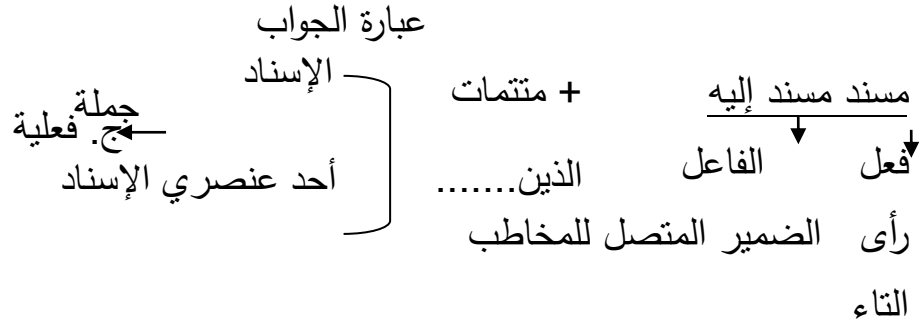


- أمّا المستوى الثاني فنراه في الشكل الآتي :[1]

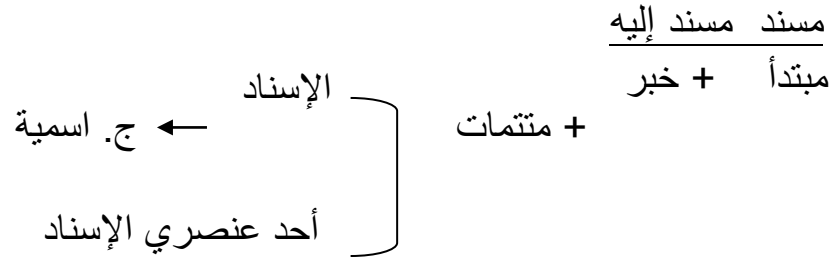


ويمكن تلمس النسق التداولي المبني على الاقتضاء والاستلزام في تفسير هذه الآية إذ قال: *"فإذا أنزلت سورة ....."* مستلزم لإنكارهم نزول القرآن على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وذكر القتال مستلزم لنفورهم من الجهاد في سبيل الحق، فإن من ضل استحث العقوبة التي هي موجب ضلالة لنفسيتهم المريضة فاستلزم وصفهم بالضعف مع ذكر الفاعل في جزاء الشرط وحرفه من الشق الأول (عبارة الشرط).يتراءى مما تقدم وجود الأنساق التداولية ومبادئها في سورة محمد، إذا أضفت عليها دلالات مختلفة.

**الصورة التركيبية الأولى: الشّرط المتعمد على الأداتين الزمنيتين (حتّى –إذا): الصورة الأولى**

ومنه قوله تعالى :<< (23) إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ

[1] دراسات في اللسانيات العربية بنية الجملة العربية – التراكيب النحوية والتداولية – علم النحو وعلم المعاني، عبد الحميد السيد، دار الجامد للنشر، ط1، 2004/1424، ص 71.

أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ>>[1].

تتكون بنية التّركيب الشّرطي في قوله :<<حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا>> من العناصر الآتية : حرف غاية وجرّ (حتّى الغائية) + ظرف زمان يتضمن معنى الشّرط (إذا) + فعل الشّرط ماضي + الفاعل + مفعول به والهاء ضمير متصل في محل جرّ مضاف إليه + حرف العطف + فعل ماض فاعله ضمير مستتر والتاء التأنيث وجملة معطوفة (وَظَنَّ أَهْلُهَا) – واو عاطفة وفعل ماض وفاعله و(الضمير المتصل ) مضاف إليه والجملة المعطوفة <<أَنَّهُمْ قَادِرُونَ>> أنّ واسمها وخبرها، والجملة سدّت مسدّ مفعولي ظنّ، والجار والمجرور "عليها " متعلقان بقادرون .وضمن أسلوب الشّرط تطفو على السطح بعض البنى البلاغية وبعض السياقات المعرفية وكذلك الاجتماعية والثقافية وحتى التداولية .

فإذا ما وقفنا لنكشف أبعاد هذه البنية اللغوية وعناصرها من خلال تلك الصورة المركبة المتحركة حيث شبّه الله سبحانه حياة الدنيا بإنسان تَتَزَيَّن في عين الناظر، فتروقه بوجهها وتعجبه فيميل لها جمالها ويهواها اغترارا منه، حتّى إذا ظنّ أنّه مالك لها وقد أسرته ببريقها انقلبت عليه فجأة فعضّته بنابها، وهذا الحال تشبه الأرض التي ينزل عليها الغيث فتهتزّ ويحسن نباتها ويروق في عيون النّاظرين حتّى يغترّوا بها، ويظنّوا أنّهم قادرون عليها فتبْغته الواقعة بما يحدث لنباتها الذي تدركها الآفة بصورة عاجلة فتصبح هشيما، يابسا وكأنّها لم تكن قبل شيئاً، فيخيب ظنّ أهلها ومن هنا نخلص إلى أنّ التّركيب الشّرطي يحمل في ظلّ هذه الصورة البلاغية بعدا تربوي يفضي إلى بيان

---

[1] الآية [23–24 ] من سورة يونس . *وردت أساليب تتصدرها الأداة "إذا" في الآيات الآتية : [110.12 ] – [12.10] / [21.10 ] / [ 51.10 ] / [ 11.13 ] / [ 53.16 ] / [ 55.54.16 ] /[ 5.16 ] / [ 85 .16 ] / [ 86.16 ] / [ 91.16 ] / [98.16 ] / [17. 8/7]/ [ 16.17 ] / [ 35.17 ] / [ 67.17 ] / [ 83.17 ] / [ 36.21 ] / [ 05.22 ] /[ 35.34.22 ]/[ 36.22 ] / [ 52.22 ] / [ 39.24 ] / [ 48.24 ] /[59.24] / [ 61.24 ]/ [62.24]/ [ 67.25] / [ 72.25] / [ 73.25] / [ 26. 80/79 ] /[ 34.27] / [ 07.28] / [ 10.29] / [ 25.30] / [ 33.30] / [ 48.30] / [ 10.32] / [ 37.33 ] / [ 49.33] / [ 53.33 ] / [ 8.39] / [ 45.39 ] / [ 49.39] /[ 12.40] / [ 39.41] / [ 51.41] / [ 29.42] / [ 39.42] / [ 09.45 ] / [04.47] / [ 16.47 ] / [ 09.58] / [ 11.58 ] / [ 11.58] / [ 12.58] / [ 10.60] / [ 10.60] / [ 12.60] / [ 1.65 ] / [ 2.65 ] / [ 20/70.19] .

أنّ الدنيا ليست بدار خلودٍ ولا بقاء ولا يجب أنْ يَغْتَرَّ بها أو يعجب بشهواتها خاصة المادية كي يتجنب أحمالها وأعباءها الي تثقل كاهله وتجهده ، فذلك الوصف التمثيلي يطابق حال إعراضهم عن أحكام الشريعة الإسلامية كما يتضمن التشبيه التمثيلي موعظة جليلة لكل من يكون على شاكلتهم أو يتخبط على غير هدى.فتركيبة الخطاب هنا تعد تركيبة تباين واختلاف, يقول عبد القاهر الجرجاني، مؤكدا هذا المعنى، وموضحا دور التشبيه التمثيلي في تحقيق مفهوم الشعرية بهذا المعنى "فإذا استقريت التشبيهات وجدت التباعد بين الشيئين كلما كان أشد ,كانت إلى النفوس أعجب، وكانت النفوس لها أطرب وكان مكانها إلى أن تحدت الأريحية أقرب، وذلك أن موضع الاستحسان، ومكان الاستظراف، والمثير للدفين من الارتياح، و المتألف للنافر من المسرة، والمؤلف لأطراف البهجة، أنك ترى بها الشيئين مثلين متباينين، ومؤتلفين مختلفين وترى الصورة الواحدة في السماء والأرض وفي خلق الإنسان، وخلال الروض"[1].

هذا الإيحاء لا يتحقق إلاّ من خلال السياق تأثيرا وتأثرا بين الصور التّشبيهية والسياق. وإنّ الصور التشبيهية التي يتضمّنها المثال السابق لا تكتسب قوتها التأثيرية إلاّ عندما يقدح المتكلم زناد السطر الذي يصدم المتلقي صدمة عنيفة لمعنى هذه الآية الكريمة، فيحدث انتقال مفاجئ من قطب موجب وعالم خصب إلى قطب سالب وعالم نقيض قاحل يتولد من العالم الأول، ولكنه يتولد مشوّها يمكن تسمية هذه الصورة من خلال ما تقدم "بالصورة الانقلابية " [2]

إنّ ارتباط التشبيه هنا في بعده التخييلي بالتمثيل صورة بصورة أخرى تضارعها في المعنى ذي المنحى الواقعي يتجلّى بشكل خاص في التّركيب الشّرطي القرآني من خلال التصوير المشهدي، ومن هنا يقتضي أن جمالية لغة الخطاب تدرك بالعقل والقلب ودلالة الاختلاف والاتفاق أو التطابق بين الصور الحقيقية والخيالية حيث

[1] شعرية الخطاب في التراث النقدي والبلاغي، عبد الواسع أحمد الحميري، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط، 1425هـ- 2005م، ص 126.

[2] ينظر : ريشة الشاعر "رابح ملوك" بحث في بنية الصورة الشعرية وأنماطها عند الماغوط دار ميم الجزائر للنشر ط1 2008 ص 70 .

تتداخل وتتعالق ألوان البيان في تدفق المعاني التخييلية ولذلك فإنْ قلْنا : لم جاء بهذه الصورة البلاغية ؟ .

قلنا ليحكي الحال التي تقع فيها حقيقة الحق من الباطل، وتستحضر تلك الصور البديعة (كالمحسن البديعي المتمثل في الطباق (ليلا ونهارا)، وكلها دالّة على القدرة الرّبانية .

وقد أضافت هذه الصور البيانية والبديعية دقة وجمالا حيث اشتملت على حقيقة مصحوبة بالدّليل مع تقوية معناها وتثبيته عند المتلقي.

**فاعلية الزمن في السياق الشّرطي للآيات:**

لقد كان الزمن من أهم المدركات الصريحة والضمنية التي تصدّت بها أدبية الخطاب القرآني إلى معالجة هذا الموقف المكذب باليوم الآخِر، وبملاقاة الله، وهذا سواء على مستوى سياق الآيات أو على مستوى المادة الأدبية والفكرية التي تمحورت حولها آيات هذه السورة ، فلقد استثمر الخطاب الطبيعة بمظاهرها الحسية، باعتبارها من جملة تجليات القدرة الإلهية للخالق المدبر، الذي أنجز الكون، واستغلّ الخطاب أيضاً الوقائع التاريخية التي عرفها رسل الله، فخطابه ينطوي على هذا البعد التاريخي أيضاً أي الأحداث التي عرفها الأنبياء مع أقوامهم، كما استغلّ الفاعلية الدلالية ، فوظف الظروف، والصيغ الزمنية بصورة تلائم المغزى الاعتباري .كما أنّ الآيات قد صدرت في خطابها أيضاً على زمنية ذهنية، وهذا بطرحها لوقائع ذات مغزى افتراضي، مثلي، تتجسّد فيها المفاعلة الزمنية من خلال الشّاهد الحسّي.

الفرضية الحسّية قُدمت ناجزة، نظير ما عليه الحياة المادية، بالقياس لوعينا، إذا أنّنا نأتي إلى الوجود، فنجدها ماثلة قائمة على نظام زماني، طبيعي، قار، والخطاب يتابع الأحداث، تمثيلا لنظام زمني تعاقبي يقوم عليه نظام الأشياء .

<< حتّى إذا .....>> الأداتان زمنيتان، تمَفْصِلَان الظاهرة الوجودية ، بالقياس إلى الحقل النباتي (موضوع : مثل ) المحيل على الحياة مطلقا >>[1].

[1] ينظر، الخطاب القرآني –مقاربة توصيفيه لجمالية السرد الإعجازي، سليمان عشرائي، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية –بن عكنون ، الجزائر 1998 ص 141–142.

<< أخذت الأرض زخْرُفها >> ⟵ جميعها أحداث استِغْراق ، وتعاقب تجسّد الفعل الزمني الحيوي.

<< أتاها أمرنا ليلا ونهاراً فجعلناها .....بالأمس >> ⟵ الخطاب معبأ بالحس الزمني الصّريح : (ليلا – نهاراً – الأمس .....) والضّمني: أتاها – جعلناها حصيداً .....) .

إنّ هذا الشاهد المثلي، قد عكس ظاهريا الوجه الذي يتفق مع منطق المكذبين، القائلين بالدّهرية، فإقرارهم بالمصير يُجانس الدلالة العامّة لظاهر السّياق أي نحيا –نعيش– ثم نموت، كأنّنا لم نخلق قط .....، لكن المنطق القرآني لا يقف بالتصور الإنساني عند هذا الحدّ الدهري القاصر، إنّه منطق يقوم على صيرورة قدرية، لها إطارها، فهي تبدأ من هذا المستوى الزمني المدرك الذي تُجسده المادّة الجمادية، والإنسان لتستمر إلى ذلك المصير البعثي المفضي بالمؤمنين إلى الخلود، وهذا المصير البعثي لا يستثيره المثل المضروب المستعرض، إلاّ تضمينيا، لقد صمَتَ الخطاب عن النهاية المادية المرئية ، ليحقق بعدا تربويا وقصدا تبليغيا ، ويترك للعقل مهمة استنتاج ذلك المصير البعْثِي كي يعي نفسه أولا والحياة من حوله ثانيا في محاورة ثلاثية بين الذات ونفسها والحياة والكون، انطلاقا من جدلية أو حوارية الخصوبة والقحط التي ساقها الخطاب باعتبارها مبدأ لا يقتصر على ظاهرة طبيعية دون أخرى، فليس الحقل النباتي وحده هو الخاضع لهذا المبدأ الرجوعي في بعده المصيري، بل إنّه حكم شرط الوجود الإنساني أيضاً، ولذلك كان المشتبه أو موضوع المثل عاماً إطاره الحياة برمّتها ،وبوعيها الإنساني المتصرف في فضاء الزمنية بحيوية يفترض منها أن يكون وازعها العقل والرّشد .....>>[1].

**الصورة الخامسة: اعتراض الشّرط على الشّرط المعتمد على الأداتين: إذا و إمّا**

**صورة التماسك المعنوي بين تركيب فعل الشّرط و وجوابه:**

قال الله تعالى :<<وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنسَانُ كَفُورًا>>[2].

[1] ينظر ، المرجع السابق، ص 142.

[2] [ الإسراء /67 ] .

يتألف هذا التّركيب من الواو الاستئنافية وإذا ظرف يتضمن معنى الشّرط خافض للجزم << مسّكم الضرّ>> جملة شّرطية فعلية (ماض والضمير المتصل (كم) في محل نصب مفعول به مقدّم وفاعله مؤخر (الضرّ) والجملة مضاف إليه ، وحرف جرّ ومجرور << في البحر>>متعلقان بمسكم وضلّ فعل ماض مبني على الفتح ، "ومن" اسم موصول في محل رفع فاعل والجملة جواب الشّرط "تدعون" فل مضارع مرفوع بثبوت النّون والواو ضمير في محل رفع فاعل تقديره ( أنتم ) والجمة صلة موصول بالإضافة إلى أداة استثناء وحصر "إلاّ" وإيّاه : ضمير منفصل في محل نصب على الاستثناء .

ج2) –الفاء : حرف عطف، لمّا (الحينية ظرف زمان + جملة الشّرط فعلية ماضوية وجملة الجواب فعلية ماضوية .

ويلحظ أنّ كمال الاتّصال والارتباط متحقق في هاتين الجملتين وعبارتيهما الشّرطيتين حيث نرى عدم وجود رابط لفظي بين عبارتي الشّرط للجملة الأولى ثم الثانية لأنّهما واحد في المعنى، وهذه الأفعال ( مسّ ، ظلّ ، تدعون ، نجّا ) أسهمت في تحقيق التماسك النصي بين عبارتي الشّرط عن طريق الرجوع إلى المعنى المذكور في الآية الذي يرتبط به ما جاء بعده وهذه تُعْتَبَر مرْجعية داخلية .

إذن فالتّرابط ناشئ من وجود التّماسك المعنوي بين عنصري فعل الشّرط وفعل الجواب، ووجود المرجعية السّابقة ، وهذا على عكس علاقة العطف التي تكتفي بكونها جامعة فقط بين المعطوف والمعطوف عليه >>[1].

**دلالة التّركيب الشّرطي:**

يُخبرُ الله سبحانه أنّه إذا مسّ الأنام ضرا دعوه منيبين إليه مخلصين له الدّين ولهذا قال :<< وإذا مسكم .....>> بأسلوب الشّرط، أي ذهب عن قلوبكم كل ما تعبدون غير الله تعالى .

كما اتفق << لعكرمة بن أبي جهل لمّا ذهب فاراً من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين فتح مكة، فذهب هاربا فركب في البحر ليدخل الحبشة فجاءتهم ريح عاصف

[1] لسانيات النص القرآني بين التنظير والتطبيق ، أشواق محمد إسماعيل النجّا ، عالم الكتب الحديث –إربد الأردن، ط 1 2013 ص 73.

فقال القوم بعضهم لبعض: إنّه لا ينفع في البرّ غيره ، اللهمّ لك عليّ عهد لئن أخرجتني منه لأذهبن فلأضعْن يدي في يد محمد فلأجدنّه رؤوفا رحيما ،فخرجوا من البحر فرجع إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم ) << فأسلم وحسن إسلامُه رضي الله عنه >>[1] وقوله تعالى : << فلما نجاكم .....أعرضتم >> أي نسيتم ما عرفتم من توحيده في البحر .

أي لمّا تحقق ما كانوا يدعون إليه من شّرط النجاة من الموت وعبادته وحده وهم في البحر لما أصابهم من بلاء أعرضوا عن دعائه وتوحيده بأنّه لا إله إلا هو وحده لا شريك له .

وفي هذا الأسلوب إخبار من الله تبارك وتعالى عن سجية الإنسان الذي ينسى النّعم ويجحدها في رخائه إلاّ من عصم الله. وهكذا فبإمكاننا القول إنّ إدراك الناس للخطر في عالم البحر –ساعة احتضارهم –شكّلته المعاني القائمة على تباين الأبعاد بين المأمول والواقع، بين ما كانوا عليه وما أصبحوا عليه .

بفضل استجابة الله لدعائهم لكن أنكروا ذلك بمجرد خروجهم من دائرة الخطر إلى برّ الأمان. ثم إنّ الأمر في حقيقته يصدر من ذات أدنى إلى ذات أعلى القادر على إنقاذهم، غير أنّه في نص الآية يتحول الخطاب من طاقة الحقيقة إلى طاقة الاستلزامية حسب المقام .

تحتفل الآية بمعان متقابلة: النِقمة على ما أصاب الناس من ضرّوهم في البحر مقابل النعمة التي تتمثل في نجاتهم إلى البرّ بفضل الله وإحسانه . وتُبيّن الضمائر الظاهرة والمستترة عن بنيات تقابلية: (إيّاه) الدالة على الخطاب مقابل خطاب (الجاحدين لنعمه ( تدعون –ضلّ ). والمعنى المستخرج من ذلك أنّ الدّاعين كثيرون، من سُئِل الإعانة والنجاة، وهذا أقوى دليل على ألوهيته وربوبيتَه وعظمته وقدرته على إجابة السّائلين كيفما كانت أزمنتهم وحاجاتهم، ومطالبهم القريبة أو البعيدة الصغيرة أو الكبيرة في أي مكان، وهو معنى عميق يدعو إلى التأمل والتفكر في عظمة الخالق. وكذا الخطاب في أعرضتم. إضافة إلى هذا هناك ثنائية أخرى تتجلى في التعارض المكاني (بر–

[1] مختصر تفسير ابن كثير اختصار وتحقيق الشيخ محمد علي الصّابوني ، الجزء الثاني ، قصر الكتاب البليدة ، شركة الشهاب البليدة الجزائر جميع الحقوق محفوظة 1410 هـ /1990 ، ص 388.

بحر). وخلال حركة المكان هذه تتحرك الدلالة بين الضد والضد راسمة أبعادا لا متناهية. فينشأ عن ذلك أن دلالة ما تزحف على دلالة أخرى لتهضمها وتمنحها خصائص جديدة غير التي كانت.

وإذا تأملنا التركيب من الناحية الدلالية للكلمات التي تدلّ المعنى نجد أنّ الأداة "إذا" تكتسب دلالتها في هذه الآية من داخل السّياق فلو حذفنا لاخْتل المعنى، فالكلمة – خارج السياق– غالبا ما تكتفي ببعدها الأحادي، وتنكمش على ذاتها وتنحصر دلالتها ثم وليها الفعل "مس"، تلاها الفاعل "الضر" بعدها تلاها الاسم المجرور"البحر" فهذه اللفظة –مثلا– بمفردها تدلّ على أنّ هناك فضاء من الماء يتضمن في عمقه الحيتان والحيوانات المائية والنبات المائي، كما ترسو فوقه السفن والبواخر مليئة بالركاب، لكن حينما استُعْملت كلمة " بحر " داخل سياق قرآني، تتفجرّ المخيلة، وتتعدّد معاني البحر فاجتماع الكلمتين " الضرّ" –" البحر "، انحراف على التحديد المحكم، وتساهمان في نقل اللغة التّقريرية من الدلالة الإدراكية إلى الدلالة الإيحائية بواسطة انحراف لكلام يفقد معناه الحقيقي على مستوى اللغة الأولى ليجده على مستوى الثانية، فالكلمات المركبة في هذه الآية تشع وتتفجر دلالاتها، وتتجاوز محدوديتها، تعبر عن صمتها النثري، تقول ما لم نكن نتوقعه، وتشير إلى أكثر ممّا تقول، والطريقة التي صيغت بها الكلمات جاءت مخالفة للمألوف .

**النّمط الثالث: الطّلب المتضمن معنى الشرط**

يعدّ الطلب " جملة شرطية اختزلت منها الأداة فعوّضها المظهر الإعرابي"[1]أي مظهر نحوي يأتي على نسق الأمر في صلب التركيب وقد تواتر الطلب 73 مرة"[2] .

**صورة الأمر المعلق بصفة متضمنة معنى الشّرط:**

قال الله تعالى :<<وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً>>[3].

يتألف نظام صورتها من: حرف عطف + اسم موصول + فعل مضارع وفاعله الضمير المتصل (واو الجماعة)+ مفعول به كما أدى حرف العطف (ثم ) الدال على

[1] الشرط في القرآن على نهج اللسانيات الوصفية ,لعبد السلام المسدي ومحمد الهادي الطرابلسي ,ص89

[2] المرجع نفسه ,ص89

[3] سورة النور الآية 04 .

الترتيب والتراخي معنى الحركة والتتابع، وتجسّدت هنا الحالة النفسية التي كان عليها الرامون المحصنات وتراخيهم في عدم الإتيان بأربعة شهداء، ولا يمكن أن تكون الصفة هنا صريحة، ولكن يجوز أن تتحلّ العبارة << الذين يرمون المحصنات >> إلى الصفة الصريحة، كما جاء قوله << والذين يرمون .....جلدة >>، فإنّها تتحلّ إلى قولنا:

<<الرّامون المحصنات أنتم مأمورون بجلدهم .....>>[1].

قد يرد في بعض عبارات الشارع تعليق الأمر على شّرط أو تقييده بصفة ومعنى تعليقه على شّرط أن يقع الأمر جوابا الشّرط في عبارة من عباراتي الجملة الشّرطية نحو قوله :<< والذين يرمون ..... جلدةً >>، يحذر الله الذين يرمون المحصنات ولا يأتوا بالدليل ثمّ قال فاجلدوهم، فجاء بالفعل بعد أن مضى فيهما اسم الموصول والفعل المضارع المرفوع والفاء لمعنى الشّرط ، دخلت الفاء لكون الجملة الفعلية مسبوقة ب الذين وتضمينه معنى الشّرط ، تقدير المثال السابق في الآية الكريمة : << مَنْ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً>>، كما نقول: <<من ..... فاجلدوه >>، كما نقول : زَيْدٌ فاضْرِبْه ، وكأنّ الفاء زائدة ، فصلح أن يكون هذا الحرف في هذا الموضع من السياق الشّرطي لأنّها ربطت بينهما .

**تركيب شرطي يعتمد على الأداة إذا وصورته التركيبة السادسة:**

**تعدّد تركيب فعل الشّرط مع الأداة (المشاركة بالعطف ) :**

قال اله تعالى :<<وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ>>[2].إذا أشرنا إلى معنى إذا في هذا الموطن فقلنا أن إذا صلة أكدت وجود الفعلين مترتبا أحدهما على الأخر ,في وقتين متجاورين,لا فاصل بينهما كأنهما وجدا في جزء واحد من الزمان كأنه قيل إذا ذكر الله اشمأزت قلوب الكافرين ومن دونه استبشروا كما نلمح في هذا التّركيب المزدوج بين الشّرطين مع اقترانهما بعاطف وهو حرف (الواو) ، وقوع المقابلة التي تكون بين لفظتين

[1] ينظر، الألفاظ والدلالات الوضعية، بحث في مناهج الاستنباط، نذير بوصبع، دار الوعي للنشر والتوزيع الجزائر 2008، حقوق الطبع محفوظة للناشر، ص 97/96.

[2] سورة الزمر الآية 45.

متقابلتين، وقد جاء منها في قوله تعالى :<<وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ..... إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ>>، وقال الزمخشري في بيانها :

<< ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز إذ كل واحد منهما غاية في بابه >>[1] وهو شرط مزدوج يتقابل فيه الشرط الحاضر بالشرط الثاني .

فقد جاءت الآية السّابقة لتقرّر حقيقة التوحيد لله وذكره، لكن فريقا من المشركين إذ أفْرد الله – جلّ ثناؤه بالذكر فدعي وحده، وقيل لا إله إلاّ لله، نفرت قلوبهم لأنّهم لا يؤمنون بالمعاد والبعث بعد الممات وانصرفوا عن الحقّ، وإذا ذكر الآلهة التي يدعونها من دون الله فقيل: تلك الغرانيق العُلى، وإنّ شفاعتها لترتجى ويفرحون بذلك .ويجعلون لله شريكا في الخلق وهو مخلوق منهم لذلك كانت الآية على هذا النّسق من التّرتيب الأصلي. كما جعل المتكلم هذه الآية من قبيل ما اتّحد في الشّرط والجزاء. من خلال مجيء الجملة الشّرطية السّابقة من الآية الكريمة.

ومن بين الآليات الكبرى لتي تعمل على تماسك هذا النص القرآني وترابطه جملة فجملة وجود وسائل الاتّساق ومن بينهما :

الاتّساق المعجمي : ينقسم الاتّساق المعجمي في نظر الباحثين إلى نوعين : [2]

أ)– التكرير ( Réitération).

ب)–التضام ( collocation).

وما نلاحظه في نص الآية السابقة، ورود كلمتين مختلفتين بالفعل نفسه، وهو ما يسمّى بالاتّساق المعجمي التّضامي ويعرّف بأنّه << توارُد زَوْجٌ من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظراً لارتباطها بحكم علاقة ما >>[3].

فإذا لاحظنا جيّدا هذا الخطاب أدركنا أنّ ذكر الله تخص الذات الإلهية أي الخالق أمّا الكلمة الثانية " الذين من دونه " المراد بها الأوثان والأصنام التي تتعدّد آلهتها أو أشياء

---

[1] المباحث البلاغية عند الزمخشري من خلال تفسير الكشاف، الشارف لطروش ، دار أمّ الكتاب للنشر والتوزيع ، جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2010، ص 88.

[2] لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب ، محمد خطابي المركز الثقافي العربي ، دار البيضاء –المغرب – لبنان –بيروت ط2 ، 2006 ص 24 .

[3] ينظر، المرجع نفسه، ص 25 .

مخلوقة ضعيفة، إذن ليسا مترادفين، ولا يحيلان إحالة واحدة بعينها، إلاّ أنّ تموضعها في خطابٍ واحد ، يدفع بالنّص إلى أخذ طابع النّصية .

**الصورة السادسة نمط تّركيب الشّرط الضّمني ببناء الشّرط على إضمار الأداة " إذا":**

الشّرط الضمني هو الذي يكون بغير أداة الشّرط، أو بعبارة أوضح هو ما كان بأداة غير أدوات الشّرط المعروفة، فيستشف معنى الشّرط من السّياق، فثمة شّرط ضمني ينبثق من تعظيم الأمر الثقيل الذي كلّف به الرّسول الله (صلى الله عليه وسلم )لإنذار البشرية قاطبة، وذلك في قوله تعالى: <<يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) قُمْ فَأَنذِرْ (2) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (3) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ(4) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (5) وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (6) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ(7)>>.

–تتضمن الصورة التّركيبية لهذه التراكيب المتتالية جملا تحمل معنى الشّرط، وهذا ما يجعلها تشكل من مجموعها جملة واحدة فعلية مركّبة، وأنت تقرأ الآيات تحسّ من نفسك إذا تأمّلتها، كأنّك في مدح الذات الإلهية أو أنك أمام أمر صادر من الله سبحانه يأمر الرّسول الله (صلى الله عليه وسلم ) بفعل عمل عظيم ما وذلك في قوله <<قُمْ فَأَنذِرْ أيخوف أهل مكة وحذرهم العذاب إن لم يسلموا. وقيل الإنذار هنا إعلامهم بنبوته لأنه مقدمة الرسالة. قيل دعاؤهم إلى التوحيد لأنه المقصود بها وقال الفراء قم فصل وأمر بالصلاة"[1]، وقوله وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ>> أي سيدك ومالكك ومصلح أمرك وصفه بأنه أكبر من أن يكون له صاحب أو ولد أي وصفه بأنه أكبر"[2]، فتزيد هذه الكلمات في قوة اللفظ، من مثل<< وربّك – كبّر– طهّر >> وتتمكن من تمطيط الباء والهاء وإطالة الصّوت بها وعليها، ولابدّ من تقدير المحذوف هنا مثلا: " إنْ كبّرت فكبّر"، و" إن قمت فأنذره "، .....إلخ. ففي هذا النص القرآني يتبيّن لنا ما أشار إليه أبو الفتح عثمان بن جِنِّي (330 هـ/ 392 هـ ) من القرائن الدّالة على المحذوف، فبالإضافة إلى السّياق يشير إلى النّبر الذي هو زيادة في الضّغط على مقطع معيّن من مقاطع الكلمة ليصبح بارزاً واضِحاً في جهاز سمع السّامع أكثر من بقية مقاطع الكلمات فتزيد في قوة اللّفظ ....وتتمكن في تمديد الحرف، وإلى التّنغيم وهو ارتفاع الصوت وانخفاضه إبّان النّطق بالجملة للتّعبير عن معنى وتحويل الجملة من معنى،

[1] تفسير القرطبي لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق سالم مصطفى البدري المجلد العاشر محمد عي بيضون دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ص 41

[2] المرجع نفسه، ص 41

في باب نحوي معيّن إلى معنى في باب نحوي آخر، وتمكن الصّوت وتفخيمه ..... فتزيد في قولة اللفظ وتتمكّن من تمطيط الحرف المشدّد وإطالة الصوت بها وعليها>>[1].

**التنغيم:** إنّ التنغيم الذي نسْتشفه من خلال قراءة هذه التّراكيب وتحليل عناصرها في كل جملة، يعدّ كلّه تنغيم إثبات وتقرير ذو نعمة موسيقية صاعدة ويمكن أن يتوزع على الجمل، وبيان ذلك فيما يأتي:

يأيّها المدثر ⟵ تنغيم ندائي .

قم فأنذر ⟵ تنغيم خبر طلبي .

ربّك فكبّر ⟵ تنغيم إخبار، إثبات .

ثيابك فطهّر ⟵ تنغيم خبر طلبي .

والرجز فاهجر ⟵ خبر طلبي .

إذا وقفنا وقفة تأمل إلى ظاهرة التنغيم التي وظّفها المتكلم (الخالق) في هذه الآيات الكريمة وجدناه ذا وظيفة تميزية من حيث الدلالة الإبداعية فيتحدد بما نسميه (النبرة) نوع الجملة إن كان شرطا أوتعجبا ..إلخ، وبذلك يمكن القول إنّه– سبحانه تعالى_ يسعى إلى إشباع تركيبه بقيم تداولية تُفضي إلى إقناع المتلقي والتأثير عليه، لأنّ التّنغيم من الاستراتيجيات والأدلة والأساليب المهمّة المتعلقة بزيادة القوة الإنجازية للفعل الكلامي force illocutoire فهناك << قوة إنجازية تشير إلى نوع فعل الكلام المحقق عند التلفظ، وكيف يجب أن يستقبله المرسل إليه، يمكن أنْ يَتَعَلَّق الأمر بطلب، تهديد، إنذار، اقتراح ..... لأنّ التحدّث يعني التّواصل وانطلاقا من كوننا نتواصل، وحتّى يكون فعل الأمر ناجحا يجب أن يَفْهَمَ المرسل إليه أنّه وُجِّهَ إليه أمر، مستعينا في ذلك بالتّنغيم intonation أو السّياق >>[2].

**دلالة تّركيب الشّرط:**

[1] ينظر، في نحو اللغة وتراكيبها –منهج وتطبيق، خليل أحمد عمايرة، عالم المعرفة الجدة ط1، 1404 هـ، /1984، ص 137 .

[2] لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب ذهبية حمو الحاج ، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ، 2005 بدون طبعة ، منشور مخبر تحليل الخطاب –جامعة مولود معمري، تيزي وزو ص127.

لقد افتتحت سورة المدثر بنداء التكليف الرباني بالأمر العظيم الثقيل، إنذارا للبشرية وإيقاظا لها، وتخليص للناس من شرور أنفسهم، وتوجيها لهم إلى طريق الهداية، مستخدما أشدّ ألفاظ الإنذار .

واختير التعبير بأداة النداء "ياء"، لأنّ حمل الرسالة أمر عظيم .

إذا تأملنا الآيات السّابقة نجد أنّها احتوت على أفعال تَدَرَّجَت في شدّتها ودلالتها، فبدأت بأفعال الأمر على وجه الإلزام والتكليف لأنّه أمر صادر من الله عزّ وجلّ إلى عبد لم يألف أمر الدعوة من قبل، لذا كانت جميع الأفعال في تصعّدها وانتقالها من حركة إلى أخرى، تخدم المحور الرئيسي وهو التبليغ

كما أنّ حذف مفعول (أنذر) فيه إماءة إلى عموم الإنذار، لكل من يمكن منه المخالفة عقلا، وهم جميع الناس . وهنا نجد أنّ تقديم المفعول به ( ربّك) فيه نوع من قصر ذلك على الله تعالى، إذ لولا ذلك لكان التكبير جائز لله ولغيره ، إذْ يهدف المعنى إلى رصد محطات التّصعيد كما يأتي :

قُمْ ⟵ أَنْذِر ⟵ كَبِّر ⟵ طَهِّر ⟵ اهْجِر ⟵ اصْبِر.

ففي الآيات المتتابعة دليل وجوب التأهب والاستعداد لحمل أعباء الرّسالة الجديدة ومواجهة الصعاب في سبيل ذلك، مع التحلي بالإرادة والتخطيط المحكم، ثمّ تصاعد الأمر إلى توسيع دائرته، والانتقال به من خطاب الموجه للرسول (صلى الله عليه وسلم ) إلى إنذار من حوله من الأهل والعشيرة، كما يدل توالي هذه الأفعال الدالة على الأمر ( قم–أنذر–كبّر .....إلخ) في تدرّجها وارتفاعها على تلك المهمة الشاقة في جوّ عَكَفَ النّاس فيه على عبادة الأصنام والأوثان، حتى يصل بتلك الرسالة إلى الناس كافة، صابرا على ما سيواجهه من شقاء وشدة، تقف حائلا في وجهه عليه الصلاة والسّلام .

ومن الملاحظ أن هذه الآيات احتوت على أفعال متنوعة، كالأمر، والمضارع المسبوق بلا الناهية، والفعل المبني للمجهول " وأوثر الأمر ليكون وسيلة الربط والانتقال من خطاب الله لرسوله " إلى الحديث عن قصة الوليد بن المغيرة .

ويلفت النظر تلك الفاء التي انتظمت أفعال الأمر في نسق مميز فريد، توالت فيه الفاء خمس مرات، مرتبة الأفعال ترتيبا فيه نوع من الشّرط حينا، والعطف حينا آخر، كما

في ترتيب الإنذار على القيام، وتخصيص التكبير والتوحيد لله عزّ وجلّ، إذ وقفت الفاء حاجزا بين الفعل ومفعوله في جميع الأوامر، حتّى يتحقق شّرط الثبوت والإصرار على الفعل، وعدم التخاذل مهما تكن القوة الصّادة عن الفعل[1]، وعبّر عن ذلك المفسرون بالفاء الجزائية، كما عند الزمخشري إذ يقول :" ودخلت الفاء لمعنى الشّرط كأنّه قيل: وما كان فلا تدع تكبيره "، وهذا ما ذكره الألوسي في روح المعاني، وأضاف قائلا: إنّها دخلت في كلامهم على توهم شّرط، فلما لم تكن في جواب شّرط محقق، كانت في الحقيقة زائدة، فلم يمتنع تقديم معمول ما بعدها عليها، ثم إنّ في ذكر هذه الجملة بعد الأمر السابق مقدمة على سائر الجمل، إشارة إلى مزيد من الاهتمام بأمر التكبر، وإيماء على ما قيل إلى أنّ المقصود الأول من الأمر بالقيام أنْ يكبّر ربّه وينزهه من الشرك.[2]

وقال الزجاج:" إنّ الفاء في فكبر دخلت على معنى الجزاء، كما دخلت في فأنذر، وقال ابن جني: هو كقولك : زيدا فاضرب، أي زيدا اضرب فالفاء زائدة ". وقال ابن عاشور: "مهما يكن شيء فكبر ربّك"[3]، وكلا القولين فيه إخلال بنظم الكلام ومعناه، فأمّا إخلاله بالمعنى فإنّ الغرض من تقديم قوله تعالى: " وربّك" هو التخصيص، ولربطه بما بعده ، وهو قوله تعالى: "كبّر"، ولجعل هذا الأمر واجب الحدوث دون تأخير، جيء بالفاء الرابطة، فقال سبحانه: " وربّك فكبّر"، وهذا المعنى لا يوجد على الإبهام، والمبهم يحتمل الحدوث وعدمه، فهذه الفاء في توسطها بين الفعل ومفعوله أشبه ما تكون تنبيهاً إلى خطر ما تتعرض له الدعوة، فجاء الخطاب بتلك الأوامر حثاً للنبي على مواجهة ما يعترضه من تحديات ولم تفقد الفاء مع ذلك، دلالتها الأصيلة على التعقيب، من أجل المبادرة والإسراع بتنفيذ ما أمره الله به.

**الصورة التركيبية السابعة: التحويل بالإضمار**

ونظامها اللغوي: أداة الشرط "إذا" + إضمار الفعل (....) + ركن اسمي + ركن فعلي

---

[1] ظاهرة التصعيد الخطابي المدثر والقيامة أنموذجا محمد سلمان مرزوق الرقب ط1 2010 دار يافا العلمية الأردن –عمان ص 187 .

[2] المرجع نفسه، ص 188.

[3] لتحرير والتنوير، ابن عاشور ، محمد الطاهر ، الجزء التاسع والعشرون ، دار سحنون للنشر ، تونس، ص296

ومثال ذلك: قوله تعالى : ***إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ***"[1]

إنّ التحويل "بإضمار الفعل في البنية السطحية للجملة العربية يختلف عن التحويل بالحذف، لأنّ الإضمار ينتمي إلى القواعد التحويلية الأثرية التي تترك عادة نسخة أو أثر يفسر العنصر اللساني المحول، في حين أن التحويل بالحذف ينتمي إلى القواعد التحويلية الباترة التي لا تترك أثرا في موقع العنصر المحول"[2]. وعليه يمكننا إجراء قاعدة تحويل الفعل بالإضمار في الجملة العربية على المشيرات الآتية

تجرى قاعدة تحويل الفعل بالإضمار في الجملة العربية على المشيرات الآتية :

1. /إذا/ + ركن اسمي + ركن فعلي

قد ورد هذا المشير في قوله تعالى :"إذا الشمس كورت".

فهذه الآية الكريمة تظهر في بنيتها السطحية التتابع الآتي :

/أداة + ركن اسمي + ركن فعلي/ .

إن القاعدة التحويلية التي أجريت على هذه الآية هي

1) إضمار الفعل الذي يقع في الحوالية /إذا/ + فعل "حسب مقتضيات القاعدة التركيبية لمقولة الشرط في النظام القواعدي العربي. وما نراه أن الجملة هنا محولة تحمل معنى عميقا غير الذي كان لها عندما كانت توليدية كورت الشمس، خبرية إذ أصبحت تحويلية مؤكدة فالشمس نائب الفاعل لفعل محذوف يفسره المذكور بعده، وهو مقدم على الفعل المبني للمجهول" كورت" لغرض التوكيد ثمّ كانت التاء في آخر الفعل إشارة إلى جنس المسند إليه المقدم لتحديده وللتذكير به وبذا يكون التركيب بكامله جملة واحدة "وربما كان الذي دار في ذهن "الأخفش" عندما قال برأيين يخالف في أحدهما الآخر، فقال في كتابه معاني القرآن بأن هذه الأدوات مختصة بالولوج على الفعل، وأما فيما

[1] سورة التكوير / 01، وردت أيات معطووفة عليها تماثلها ف ي التركيب من مثل :قوله تعالى:وإذا النجوم انكدرت 2 وإذا الجبال سيرت3.....وإذا الجنة أزلفت13".كما ورد مثل هذا الأسلوب (01/81) . (01/84)

[2] السمات التفريعية للفعل في البنية التركيبية، مرجع سابق، ص 27.

ينقله عنه صاحب مغني اللبيب فهو يرى أن هذه الأدوات ليست مختصة، فتدخل على الاسم تارة وعلى الفعل أخرى".[1]

زيادة فعل في البنية السطحية ليفسر الفعل المحول"[2]

يتجلى لنا من هذا الإجراء التحويلي أن المشير الركني في البنية العميقة يظهر أصلا في التتابع الآتي :

/أداة (إذا) + ركن فعلي + ركن اسمي/

"فالقاعدة التحويلية التي أجريت على هذا المشير هي قاعدة اختيارية أي ليس هناك أي ضابط تركيبي أو دلالي يحد من إجرائها، غير أن إجراءها مشروط بوجود العنصر المفسر، وهو الفعل الثاني الذي يظهر وجوبا في البنية السطحية.[3]

ومن هنا يتبين لنا أن إضمار الفعل بعد الأداة "إذا" الظرفية الشرطية يفسره الفعل الثاني الذي يأتي بعد الاسم.

**الشّرط المعتمد على الأداة "كلّما": جاء من هذا النمط تركيب شرطي توضحه الصورة التركيبية الآتية :أداة الشرط " كلّما" + عبارة الشرط فعلية عبارة عبارة الجواب فعلية. ومثال ذلك :**

قال الله تعالى :<<وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سخروا منه..>>[4].

تتألف بنية هذا التّركيب من: حرف عطف + فعل مضارع + فاعل (ضمير مستتر +المفعول به (الفلك +حرف عطف + جملة شّرطية تلازمية تتصدّرها الأداة (كلّما) وهي << منصوبة على الظرفية عند النحاة، وناصبها الفعل الذي هو جواب في المعنى >>[5]، وهو قوله (سَخِرُواْ)، وهذه الأداة تفيد التكرار من ناحية مدْلُولِهَا، أمّا

---

[1] في نحو اللغة وتراكيبها منهج وتطبيق، لخليل أحمد عمايرة، عالم المعرفة جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى 1404_1984، ص197 .

[2] السمات التفريعية للفعل في البنية التركيبية، مرجع سابق، ص 28.

[3] المرجع نفسه، ص .28

[4] سورة الهود الآية 38

[5] لغة القرآن الكريم "دراسة لسانية تطبيقية للجملة في سورة البقرة ، محمد خان، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع –عين مليلة –الطبعة الأولى (01) 2004 ، ص228

معناها الوظيفي فهي تفيد التّعليق بين حدثين من حيث ارتباط الجزاء وتوقُّفِه على الشّرط>>[1].

(قد توجد علاقة توقيتية ومكانية بين مركبين أحدهما مركب ظرفي مكون من ظرف ومركب إسنادي أو من ظرف و مركب موصول حرفي).[2] ويمكن تمثيل ذلك عبر هذا المخطط :

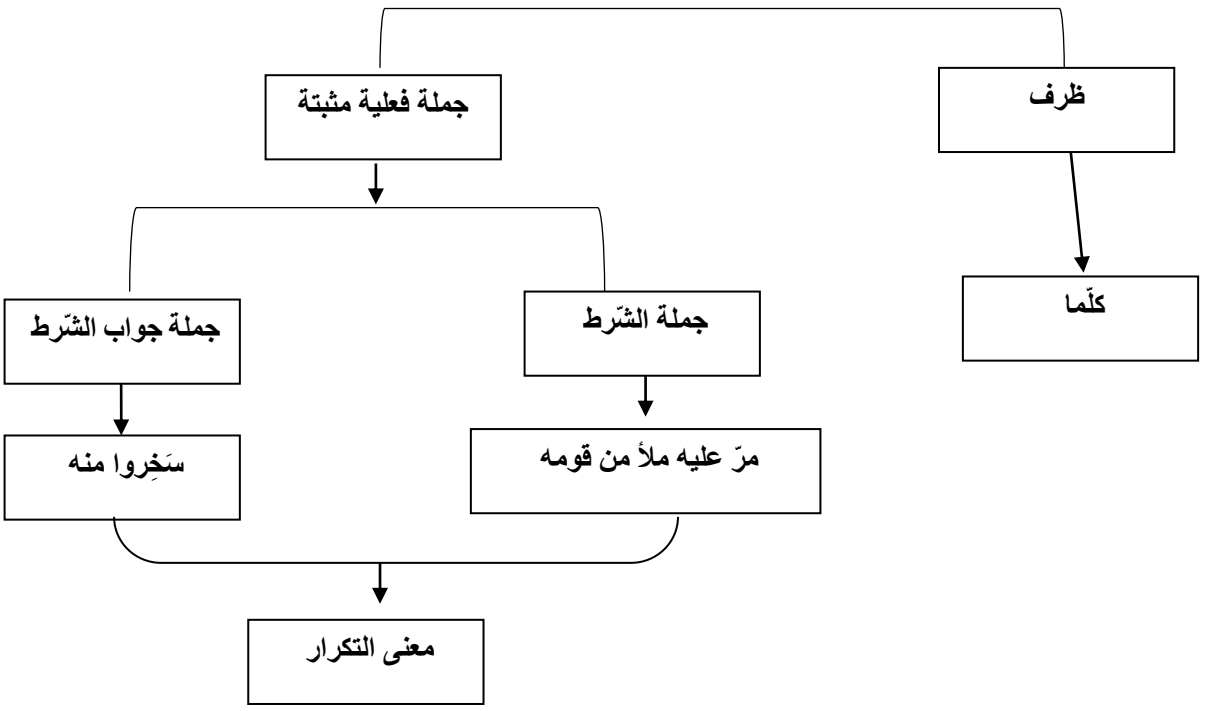


**الشرط المعتمد على الأداة إذا الصورة الثامنة**

**هيمنة النسق *التكراري في تشكيل التركيب الشرطي:*** وصورته التركيبية التي تعتمد على الأداة "إذا" نقف عليها من خلال قوله تعالى: <<مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (2) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (3) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (4) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (5) >>[3].

---

[1] المرجع نفسه، ص 229. * لقد ورد تركيب شرطي تتصدره الأداة "كلّما " في سورة المائدة الآية 70 ، وسورة الحجّ [ 22.21 ] .

[2] الجملة العربية دراسة لغوية نحوية محمد إبراهيم عبادة منشأة الناشر المعارف الإسكندرية، ص158.

[3] الآية [05-03 ] من سورة الفلق .

يتميز هذا التّركيب بإعجاز تركيبه من حيث النسق الفنّي للعبارة الشّرطية ويتكون هذا التركيب من شبه جملة [من شرّ] + وتسوّغ " الكرْماني تكرار(من شرّ أربع مرات) إلاّ أنّ شرّ كل واحد منها غير الآخر ويمكن توضيح ذلك في المخطط الآتي : [1]

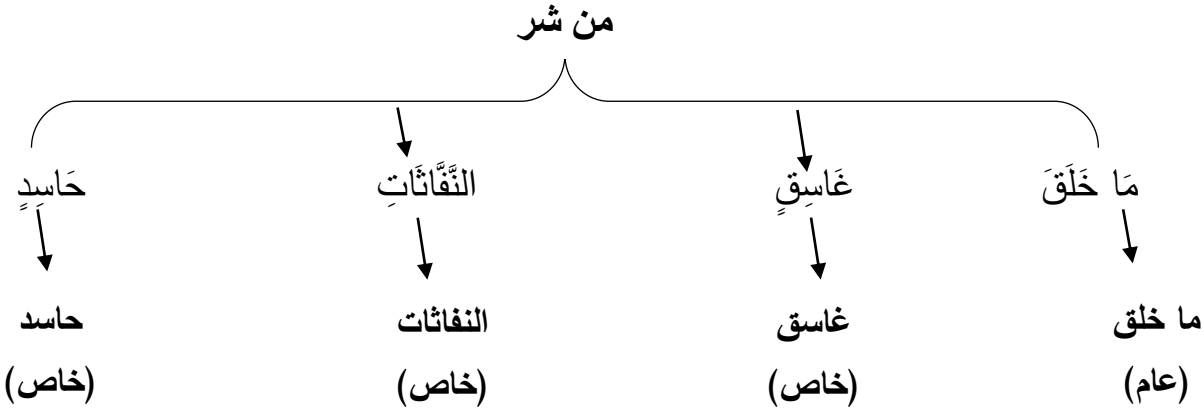


ولا يقف ذلك عند هذه الصورة ، بل يتجاوز أمر تكرار العبارة الشّرطية إلى تكرار القالب النحوي في

سورة الفلق ويمكن توضيح ذلك من خلال هذه الترسيمة للشكل الآتي :[2]

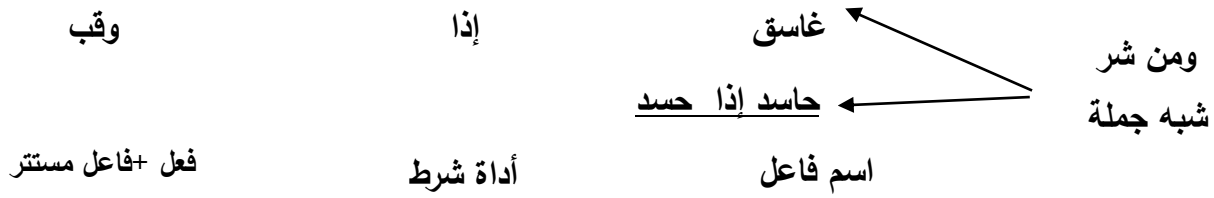


تحتوي التّراكيب على أنساق نحوية فنية مندرجة ضمن التشكيل التركيبي المزدوج ويسهم الشّرط في تحقيق التماسك النصي بين آيات السورة وعناصرها .

**صورة الجملة الماضوية الشّرطية المركبةالأولى المعتمدة على الأداة "لمّا" :**

ونقف على عيّنة لها في قوله تعالى: <<وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ >>[3].

---

[1] ينظر أبحاث لغوية في لسانيات النص القرآني، بين التنظير والتطبيق، أشواق محمد، عالم الكتب الحديث، إربد إسماعيل النجّار، ط 1، 2013 ، الأردن ص 118.

[2] المرجع السابق، ص 119.

[3] الآية 12 من سورة يونس، وردت أساليب تتصدرها الأداة "لمّا" منها : [12-10 ] /[ 76-10 ] /[81-10 ] /

يتألّف هذا التّركيب من العناصر الآتية: (الفاء) عاطفة، لمّا لظرف بمعنى حين متضمن معنى الشّرط متعلّق ب "مرّ"، والفعل الماضي "كشف" + الضمير المتصل في محلّ رفع فاعل +حرف جرّ (عن)، والهاء ضمير متصل في محل جرّ اسم مجرور متعلّق ب "كشفنا" + المفعول به ( ضرّ) والهاء ضمير متصل بالاسم في محل جرّ مضاف إليه.

(كأنّ) حرف تشبيه ونصب مخفف من الثّقيلة، واسمه محذوف أي كأنّه " ولم " حرف نفي وجزم وقلب إلى الماضي والفعل المضارع (يدعنا) مجزوم وعلامة الجزم حذف حرف العلّة . و"إلى" حرف جرّ، ضرّ ل اسم مجرور ب "إلى" وعلامة الجرّ الكسرة الظاهرة على آخره بالإضافة إلى الفعل الماضي "مسّ" و"الهاء" الضمير المتصل في محل نصب مفعول به، وفي هذا التركيب تكون الحال جملة اسمية مركبة الناسخ الحرفي فيها هو كأنّ المخففة، ذلك أنّ الجملة الاسمية المركبة "كأنّ لم يدعنا " وخبرها " لم يَدَعْنَا " الوارد جملة مضارعية منفية بسيطة هي في محل نصب حال ، بيّنت الهيئة التي مرّ عليها صاحب الحال الفاعل المضمر (هو) من الفعل الماضي "مرّ" وبنيتها العميقة " كأنّه غير دَاعِينا"، ففي الجملة السابقة " كأنّ لم يَدَعْنَا" نرى أنّ الضمير الشأن المبهم قد حذف كما نلاحظ أنّ الفعل يتطابق مع الفاعل ولا يتطابق مع المبهم. أضف إلى ذلك أنّ << الفاسي الفهري>> يرى أنّ الضمير المُبْهم يمكن إسقاطه، إذ لاحظ أن الجملتين :

1) –إنّه جاء الجنود .

2) – جاء الجنود .

ويبدو أن الذي دفع الفهري إلى هذا الافتراض هو تبنيه جملة من المحكات التوليدية منها مبدأ التأويل التام ( principal of full interprétation) الذي يسمح بحذف العناصر الزّائدة التي لا تلعب دورا في التأويل وليس لها وظيفة من الناحية الدلالية فهذا المبدأ يتيح له حذف الضمير المبهم >>[1]

---

[98-10 ] / [ 58-11 ]/ [ 66-11 ]/ [ 70-11 ]/ [ 74-11 ]/ [ 77-11 ]/ [ 82-11 ]/ [ 94-11] /[31-12]/[ 50-12]/[54-12]/[59-12]/[66-12]/[79-80-12].

[1] ينظر اللسانيات العربية والاضمار –دراسة تركيبية دلالية ، محمد الغريسي ، عالم الكتب الحديث ، إربد الأردن ، 2014 ، ط1 ، ص 106 و 107 .

غير انّ إسقاط هذا الضمير كما هو متعارف عليه عند النحاة يملك مميّزات إنّه << لا يعطف عليه ولا يبدل منه ولا يفسر بمفرده، ويفسر بجملة تقع بعده >>[1].

لذلك فلا يجوز حذفه إلاّ أنّه حذف هنا مراعاة لفواصل القرآن ومقاصده .

وفي معنى هذا التركيب أنّه يشير إلى إخبار عن طبيعة الإنسان إذا مسّه ضرّ دعا ربّه مُنِيباً إليه ثم إذا حوله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل وجعل لله أندَاداً ليضِلَّ عن سبيله .

ويجدُرُ التّنبيه هنا إلى أنّ الأمر الذي ازداد به الاضمار (الضمير الشأن) وضوحا في الآية ليس له صِبْغة تدلّ عليه لغة أو لفظاً، بل يعرف من السياق وغرض المتكلم . فالمعنى في النص يفهم لأنّ المتكلم ساق ذلك النظم لذلك المعنى ولو حذف منه عنصراً مميّزاً . ولأنّ اهتمام المتكلم (الذات الإلهية) ببيان ما قصده بالسّوق أتمّ .

ومن جهة أخرى، فإنّ المرسل (الله) يدرك أنّ الإقناع وحده قد يحصل بوسيلة أخرى مثل التلويح بالوعد والوعيد، ولكن هذا يتناسب ما يقتضيه الخطاب الطبيعي من مرونة وتبدّل يناسب تحوّلات السياق، وينساق مع مجريات الأخذ والرّد على الادعاء والاعتراض، القبول والرفض، بما في ذلك تبدّل قناعات المرسل إليه (المخاطبين) وتحوّله من موقف إلى موقف آخر واكتفاؤه بحجّة بسيطة، أو طلبه حجّة قوية .

**الصورة الثانية :جملة الشرط معطوفة على جملة الشرط :**

**باعتماد الأداة لمّا**

**قال الله تعالى :**

"ولَمَّا توَجهَ تِلقَاءَ مَدْيَنَ قال عَسَى رَبّي أنْ يَهْدِينِي سَوَاء السَّبِيلِ(22) ولمَّا وَرِدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنْ النّاَسِ يَسْقُون وَوَجَدَ مِنْ دوُنِهم امْرأَتين تذُودانَ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتا لا نَسْقِي حَتّى يَصْدُرُ الرِّعاَء وأبُونَا شَيخٌ كبَيِر (23)"

[21-22-23] من سورة القصص

يتألف هذا التركيب من جملة الشرط مستأنفة وهي "ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني"، وجملة الشرط الثانية معطوفة وذلك في قوله".

[1] المرجع نفسه ص 107 .

يتبين لنا أن هناك توسيعا في الحقل الدلالي للفعل الوارد في الآية، إذ إن الحقل الدلالي الذي ينتمي إليه / سقى / هو حقل الأفعال الحركية التي تدل على حركة الفاعل وتنقلاته، فالفعل ههنا يدل على حركة رأسية تنازلية، فهو أنذاك فعل ينتمي الى فئة / متعد / غير أنه حينما وسع مجاله الدلالي ليغطي حقلا آخر وهو حقل الأفعال العملية، التي تقتضي التواصل بين الفاعل المحقق للحدث في الواقع اللغوي والعالم الخارجي سلك سلوكا تركيبيا يقتضيه المقام الجديد، فوجدناه يتعدى فاعله للوقوع على عنصر آخر خارج من ذاته[1] وما كان ذلك إلا أنه تضمن مدلول فعل من خصائصه التركيبية التعدي الى مفعول مباشر ولكنه محذوف تقديره "أغنامهم أو مواشيهم وامرأتين تذودان غنمهما وقالتا لا نسقي غنما فسقى لهما غنمهما.

ولهذا جاءت الآيات الكريمة على أعلى درجة من البلاغة التي كان من أسبابها حذف المفعول في أربعة مواضع.

قال عبد القاهر: "ثم إنه لا يخفى على ذي بصر أنه ليس في ذلك كله إلا أن يترك ذكره ويؤتى بالفعل مطلقا وما ذاك إلا أن الغرض في أن يعلم أنه كان من الناس في تلك الحال سقى ومن المرأتين ذود وأنهما لا يكون سقى حتى يصدر الرعاء وأنه كان من موسى عليه السلام من بعد ذلك سقى، فأما ما كان المسقى غنما أم إبلا أو غير ذلك فخارج عن الغرض وموهم خلافه"[2].

وقال : "ستعلم أنك لم تجد لحذف المفعول في هذا النحو من الروعة والحسن ما وجدت لأن حذفه وترك ذكره فائدة جليلة، وأن الغرض لا يصح إلا على تركه"[3]

**الشّرط المعتمد على الأداة "أيْنما":**

قال الله تعالى :<<وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَىَ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لاَ يَأْتِ بِخَيْرٍ>>[4].

يتألف سياق هذا الخطاب من عدة عناصر في هذه الآية :<<أَيْنَمَا..... بِخَيْر>>:

---

[1] السمات التفريعية للفعل في البنية التركيبية، مرجع اسبق، ص 83-88.

[2] الدلالة والاشتقاق في اللغة إعجاز القرآن بين النحو والبيان عبد المعطى ص 94، جاب الله سالم دار الكتاب الحديث ط1، القاهرة 1430-2009.

[3] الدلالة المرجع نفسه ص 94.

[4] سورة النحل الآية 76 ، وردت مثل هذه الأساليب :[ 31/19]،[ 61/33] ،[ 04/57] ، [ 7/58 ] .

أداة الشّرط " أَيْنَمَا " والفعل المضارع يوجّه والفاعل ضمير مستتر تقديره "هو" +عبارة الجواب المؤلّفة من لا النافية والفعل المضارع المنفي "يأت" وجار ومجرور (بخير) .

إذا نحن أخذنا بظاهر النص، فإنّنا لن نجتهد في تتبع مكان يُبين فيه فساد عقيدة الشرك عند أحدهما الذي يوصف بأنّه أخرس ،أصم لا يفهم ولا يقدر على منفعة نفسه وغيره، وفي هذا الصدد قال مجاهد هذا أيضا المراد به الوَثَن والحق تعالى يعني أنّ الوثَن لا يتكلم ولا ينطق بخير ولا يقدر على شيء بالكلية، فلا مقال ولا فعال، وهو مع هذا كلّ أي كلفة على مولاه، أينما يبعثه لا ينجح مسعاه هل يستوي من هذه النعوت (الصفات) و[ من يأمر بالعدل] أي بالقسط، فمقاله حقّ وفعاله مستقيمة ،وقال ابن عباس: هو مثل ضرب للكافر والمؤمن أيضا كما تقدّم، وقال ابن جرير نزلت في رجل من قريش وعبده، قال عثمان بن عفان، قال والأبكم الذي لا يأت بخير هو مولى لعثمان حيث كان عثمان ينفق عليه ويكفيه، المؤونة وكان الآخر يكره الإسلام ويَأْبَاه ويَنْهَاه عن المعروف، فنزلت فيهما، وذكر السّهيلي: أنّ الأبكم هو أبو جهل لعنه الله واسمعه عمر بن هشام بن المغيرة، والذي يأمر بالعدل هو "عمار بن ياسر العنسي المذحجي"، وكان أبو جهل يعذبه على الإسلام، ويعذّب أمّه "سمية" وكانت مولاة لأبي جهل، وطعنها في قلبها فماتت وهي أوّل شهيدة في الإسلام.

لم يستعمل المرسل الاستراتيجية المباشرة في هذه الآية للتعبير عن القصد,إذ لم يذكر أي معلومة عن المكان الذي يتوجه إليه " وهنا يغدو من الواضح أنّ المرسل قد أنتج خطابه بالاستراتيجية التلميحية بالاعتماد على تفعيل مبدأ التعاون والثقة في أنّ المرسل إليه سيتمكن من تأويل الخطاب التأويل المناسب للسياق" [1], فقد يحمل هذا التركيب تعبيرا عن الإحساس بالحيرة والترقب ، لينتقل هذا الدّليل اللغوي أو هذا التّمفصل اللّساني، من مجال الأفعال الإخبارية التقّريرية النافية إلى مجال أفعال اللغة الإنجازية، كتعبير عن حالة نفسية لا يخبر عنها إلاّ بضرب المثل للموعظة والإرشاد، وهي تبدو إلى عالم الفعل في الوقت الذي تتم فيه عملية التّمفصل.

[1] استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب ,بيروت لبنان ط 1، 2004 ص368 ، 369.

وبالمفهوم الأوّل (وصف الحالة)، يحيلنا الدّليل اللغوي بالمفهوم الموسع (الكلمة وما يتجاوز الكلمة) على تكافؤ الحدث وما ينتظر له :

حدث واقعي ( مقرّر) حدث افتراضي (منفي)

التّوجيه إلى أيّ مكان عدم الإتيان بالخير ( انعدام الرجولة )

وكلا الأمرين يبدو مقبولاً في تأويل دلالة الآية في ارتباطها بالمقصد وهو التأثير لأنّ الكسل من خصائص مطلق الإنسان الذي يميل إلى اللهو وعدم المبالاة بالجدّ والاجتهاد بحكم الفطرة إلاّ المؤمن القوي، لذلك ركّز المتكلم على هذه الصفة الذميمة ووجوب نبذها ومحاربتها في المجتمع، ولنقف نحن على عدم اعتباطية التّأليف أو التركيب في ارتباطه بالدّلالة والتداول، كما يُروج له في لسانيات "سوسير"، ويتلقى بالقبول على إطلاقه .

هذا التّبرير التّرابطي، فيما بين التّأليف والدّلالة بحكم من التّداول يمتد حتّى أصغر المكونات اللسانية، ونقصد هنا في التّركيب العيّنة، العنصرين اللغويين: الظرف الشّرطي " أَيْنَمَا " و"لا " النافية، والجار الشّكلي (ب)، الواجب أن يعيّن موقفياً، فعادة ما يقال في الدرس النّحوي إنّ الكلمة (ب (الباء) ) حرف جر زائد، وهذا كلام، وإن كان من النّاحية النظرية كتعليل لخرق أصل في النّحو، مقنعا، إلاّ أنّه من ناحية الممارسة التّداولية غير مبرّر (نعني الزيادة)، إذ لابد لكلّ عنصر من وظيفة تواصلية يؤدّيها وهي في حالة (( ب ) في عبارة (بخير))، وظيفة مبالغة في نفي وجود الخير والمنفعة العامة، وهو استغراق عموم نفي الصفة، ولهذا ارْتباطه بمقصد المتكلم، وهو التأثير في المتلقي المؤول، بوصف الحال الواقعة بأقبح صورة (انعدام أنى معالم العمل المفيد الصالح والإخلاص)، ممثلة في هذا الشّخص الذي يُفترض فيه أن يحملها .

وأمّا " أَيْنَمَا "، فلفظة تدلّ في الأصل المكان، المشار إليه إشارة حسّية، أو ذهنية مستحضرة بداعي الموقف، ولكنّها في سياق الخطاب الداخلي لا تُحيل على شيء، بحكم إبهام المكان خارجيا، والأمر نفسه هنا مع الظرفية الشّرطية "أَيْنَمَا " (وجه في الاستعمال)، وقد تكون ظرفية مبهمة كذلك. ولعلّ القصد في انتفاء الخير في أي بقعة يوجّهه فيها. ولعلّ استخدام حرف النّفي " لا" في قوله تعالى: << لا يأتِ بخيرٍ >> يدلّ على ذلك الشّرْك واتّباع الأهواء والانغماس في شهوات الدّنيا واتّباع الأهواء، كما

دلّ على التّصعد والتّدرج في ذلك الكفران وعدم المبالاة بما سيؤول إليه مصيره وعدم العمل لهذا اليوم العصيب .

ومن الوقفات التي وقفها بعض المفسرين لهذه الآية قال مجاهد: وهذا أيضاً المراد به الوثن والحق تعالى، يعني أنّ الوثن أبكم لا ينطق بخيرٍ ولا يقدر على شيء بالكلية وهو مع كلفة وعبء، ثقيل على مولاه أينما يبعثه لا ينجح مسعاه، وقال ابن عباس: هو مثل للكافر والمؤمن أيضاً كما تقدم وقال ابن جرير: نزلت في رجلٍ من قريش وعبده يعني قوله << عبداً مملوكاً >> وفي قوله <<ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً.....وهو على صراط مستقيم>> قال : هو عثمان بن عفان، قال : والأبكم الذي أيْنَمَا يرسله لا يأت بخير قال: هو مولى لعثمان بن عفان، كان عثمان يُنفق عليه ويكفيه المؤونة، وكان الآخر يكره الإسلام ويرفضه، وينهاه عن الصّدقة والمعروف فنزلت فيهما>>[1].

**الشّرط المعتمد على الأداة "أيُّماَ":**

<<قُلِ ادْعُواْ اللَّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى>>[2].

التركيب الشّرطي في هذه الآية قوله <<أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى>> وصورته التّركيبية هي :

أداة الشّرط " أَيًّا مَّا" والفعل المضارع "تدعوا" والفاعل ضمير مستتر تقديره "أنْتَ " والفاء هي رابط لفظي بين العبارتين وله ( جار ومجرور في محل رفع خبر) مقدّم والأسماء مبتدأ مرفوع أمّا النعت فتمثل في كلمة الحسنى. وما يلاحظ هنا هو حذف فعل الجواب.

وقوله تعالى : <<ادْعُواْ اللَّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى>> أي الدعاء له باسم الله أو التلفظ بأسمائه العظمى، وهو الدليل الموضح للتوحيد وللحق المزيل للشبهة بأن لا ندعو غيره فهو وحده لا شريك له، وهو الذي لا يخفى عليهم أنّه يُناصحهم بهذا الدّعاء ويقصد ما ينفعهم فيه، فقد قدّم المتكلم وصفة شارحة لأحوال التّواصل مع من له منزلة أعلى ويستحق العبادة، وتوضيحات مقام الدّعاء بالأسماء الحسنى وفق أغراض الحديث ومقاصده، وذلك هو مجال اللسانيات التّداولية الحديثة،

---

[1] مختصر تفسير بن كثير، تحقيق محمد علي الصابوني ، الجزء الثاني ص 340.

[2] [الإسراء :110 ] وردت مثل هذه الأساليب تتصدرها الأداة "أيّما" في بعض النصوص منها : [ 110.17 ] / [ 28.28]

ويتميّز فعل الشّرط " تدعو" هنا بتوفره على قوة إنجازية وهي : << تفترض تزمُناً تامّاً بين موضوع الملفوظية والمتلفّظ >>[1]

كما يعدّ هذا الفعل من ضمن الأفعال التمرّسيةexersitifs[2]. وإذا فالخطاب هنا ذو صبغة تواصلية عُليا.

ومن الوقفات التي وقفها بعض المفسرين في تفسير هذه الآية، نذكر تفسير عماد الدين إسماعيل بن كثير حيث قال: يقول تعالى : "قُلْ" يا محمد لهؤلاء المشركين المنكرين صفة الرحمة لله سبحانه، المانعين من تسميته بالرّحمان، <<ادْعُواْ اللَّهَ أَوِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى.....>> أي لا فرق بين دعائكم له باسم "الله" أو باسم " الرحمن " فإنّه ذو الأسماء الحسنى. وقد روى مكحول أنّ رجلاً من المشركين سمع النّبي (صلى الله عليه وسلم) وهو يقول في سجوده :

<< يا رحمن يا رحيمٍ >>، فقال إنّه يزعم أنّه يدعو واحداً وهو يدعو اثنين فأنزل الله هذه الآية >>[3] .

**الشّرط المتعمد على الأداة "أنَّى" :**

قال تعالى :<< قاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ>>[4].

صورته : يتألف هذا التّركيب من الفعل الماضي "قاتل" والضمير "هم" مفعول به ولفظ الجلالة "الله" فاعل وعبارة الشّرط المؤلفة من أداة الشّرط "أنَّى" وفعل الشّرط مضارع "يُؤْفَكُونَ" والضمير الجماعة "الواو" في محل رفع فاعل أمّا عبارة الجواب فهي محذوفة يمكن تقديرها في البنية العميقة ب أنَّى يؤفكون يقاتلهم الله تعالى .

ويمكننا تمثيل مكونات معاني الآية من خلال هذا الرسم الآتي :

---

[1] في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدّرس العربي القديم ، خليفة بوجادي ، ص 97 .

[2] المرجع نفسه ، ص 97.

[3] مختصر تفسير ابن كثير (الإمام الجليل الحافظ عماد الدين ، أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ، اختصار وتحقيق ، محمد علي الصّابوني الجزء الثاني ، ص 405.

[4] [المنافقون الآية:4 ] .

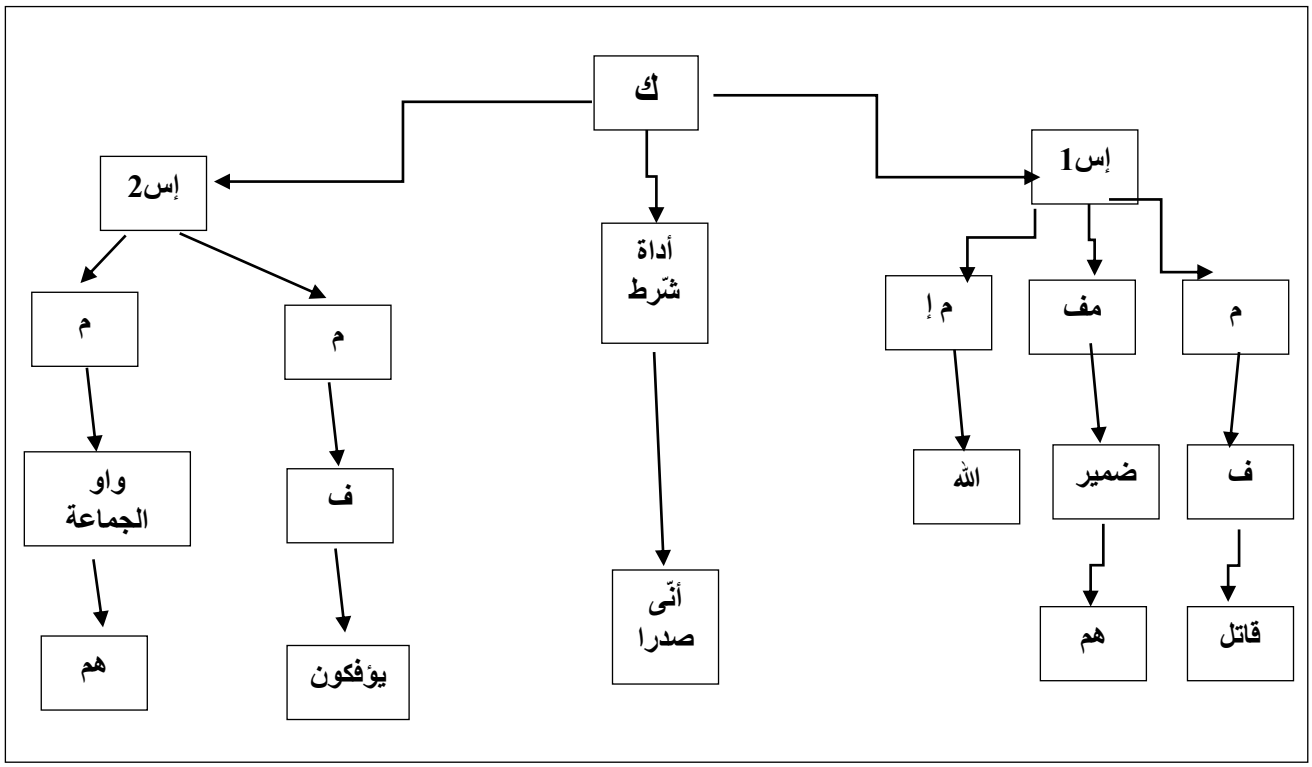


الملاحظ أن البنيتين السطحية والعميقة مختلفتان من حيث التقديم والتأخير والإضمار والحذف والإظهار حيث حذفت عبارة الجواب، وتأخرت عبارة الشّرط حيث وردت فعلية كما أن الفاعل هنا ومما يدخل في هذا الإطار قوله تعالى : <<وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى>>[1].أي تقديره الجواب هنا : لكان هذا القرآن .

فهذه التشكيلات التعبيرية التي رأينا "هي أوضاع يبدعها الناظم للتراكيب النحوية لتستوعب انفعالاته المتدفقة، بعد أن أحس أن الشكل التقليدي للقاعدة النحوية يؤدي إلى خنق الفكرة التي يريد تصويرها في بعض الأحيان، فيقدم ويؤخر ويحذف" [2]. على أنّ الحذف حامل لومضات تداولية مهمة، وتتموضع هذه الأخيرة في تلك المساحة المفاهيمية التي تعتبر أنّ الصياغات اللغوية المحذوفة مدركة لدى المتلقي، أي أنّ صانع التركيب اللغوي ها هنا ينطلق في استخدام هذه الآلية (النحوية / البلاغية ) من

[1] سورة الرعد الآية 31 .* ورد مثل هذا الأسلوب الذي تتصدره الأداة "أنّى" في ما يأتي : [ 4.93] .

[2] بديع التراكيب في شعر أبي تمام الكلمة والجملة ، منير سلطان ، منشأ النشر المعارف الإسكندرية جلال جزئي وشركاء ص 484.

افتراض مسبق ( présuppotion)، مفاده أنّ للمتلقي إمكانات تؤهله لملء العبارات والكلمات المحذوفة في التّراكيب اللغوية .

**التنغيم:**

إنّ التنغيم الذي يلابس معنى الآية فيه إخبار ، وقد تكون الجملة الشّرطية هنا خبرية ، ويوزعها هذا التنغيم على جملتين ، لكن تختلف عناصر كل منهما :

أنَّى يؤفكون / (..... )التنغيم إخبار وشّرط .

**النبر: ج.شر ← ج.ج.شر محذوفة**

هناك أصوات تشكل حدة وقوة في النبر ، وتصنع إيقاعه المتميز مثل: "الدال" من بين صفاته أنّه صوت مجهور منفتح ، وأمّا "الميم" فصوت شفوي ذو غنة، أمّا الراء فهو صوت يخبرنا تعالى أنّ المنافقين يتفوهون بالإسلام ظاهرا فأمّا في الباطن فليسوا كذلك وليس كما يقولون ,لأنهم لم يكونوا يعتقدون صحة ما يقولون ولا صدْقه ولهذا كذّبهم بالنسبة إلى اعتقادهم واتّقوا الناس بالأيْمان الكاذبة ليصدّقوا أقوالهم فاغْتر بهم من لا يعرف جلية أمرهم، فاعتقدوا أنهم مسلمون ،وهم في الباطن لا يؤمنون بالإسلام، فحصل بهذا القدر ضرر كبير على الناس وصدوا عن سبيل الله وقد قدّر عليهم النفاق لرجوعهم عن الإيمان إلى الكفر واستبدالهم الضلالة بالهدى، ولا يصل إلى قلوبهم الهدى ولا يخلص إليها خبر>>[1] ولهذا قال تعالى :<< هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنّى يؤفكون>> أي كيف يُصرفون عن الهدى إلى الضلال.

**نمط التّركيب الدعائي:**

ينتمي الدعاء إلى حقل الإنشاء الطلبي وصنفه، يتميز بأنّه لا يعرف التقيّد بصيغة مستقلة ومحددة فهو شركة بين طائفة من الأنماط التركيبية >>[2].

وذلك أنّ الدعاء بالمآل والعاقبة تَرِدُ ضمناً في أسلوب الرجاء، وإذا كان الدعاء بالخير يُساق مساق التّطمين والثناء والوعد الحسن للمؤمنين، فإنّ الدعاء بالهلاك والوبال والعاقبة السّيئة للكفار يُساق مسَاق الإنكار المشرب بالسّخط والذم والغضب الإلهي، في

[1] ينظر، مختصر تفسير ابن كثير، عماد الدين، أي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ..... .774 هـ تحقيق، محمد علي الصابوني، شركة الشّهاب الجزائر، قصر الكتاب البليدة الجزائر ج3 ،1411-1990 ، 503-504.

[2] تجليات الدّلالة الإيحائية في الخطاب القرآني في ضوء اللسانيات المعاصرة سورة التوبة أنموذجا فخرية غريب قادر، عالم الكتب الحديث ، الأردن ط1 ، 2011 ، ص 264 .

قوله تعالى: <<قاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ>> ومن أمثلته كذلك قوله <<سَخَرَ الله منهم>>(76)، << وعليهم دَائِرَة السُوء والله سميع عليم >> (98) .

و<< صرف الله قلوبهم بأنّهم قوْمٌ لا يفقهون >> فالعبارات القرآنية الكريمة الواردة في سياق الوعيد والتّقريع تتضامن مع مطلب السياق لتُصوّر فداحة فعله الكفار وقرّنائهم المنافقين وشناعتها ولذلك فضحهم الله في هذه الآية ،ممّا ترتّب عليه الدّعاء والسّخط الإلهي عليهم . الإله الجبار الذي لا يُعْجِزُهُ شيء في الأرض ولا في السماء، كما أنّ فيها إشعاراً بأنّها دعوة عموم أهل الإيمان ، فهي بمثابة تلقين للمؤمنين لِيَدْعُوا على مُنَاوِئِيهم.

**الشرط المتعمد على الأداة "إذا ما":**

قال الله تعالى: <<أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ >>[1].

نظام صورته الآتي:

أداة الشّرط "إذا" و"ما" الزائدة + عبارة الشّرط فعلية ماضوية / فعلها ماض + عبارة الجواب فعلية ماضوية فعلها ماض، ما نلمحه في هذا التركيب أنّ العبارتين "إذا ما وقع"، و" أمنتم به"، فعليتان متلازمتان قد وقعا في الزمن الماضي، لكن بدخول أداة الشّرط " إذا ما " تحول الفعلان إلى زمن آخر للدلالة على المستقبل في السّياق المناسب له، واستعمل المتكلم في تعليق الأولى مع الثانية الأداة "إذا ما " المركبة من " إذا " مع "ما"، وقد تستخدم هذه الأداة لتأكيد التّعليق >>[2]. أمّا العلاقة بين الشرط وجوابه هنا فهي قائمة على الارتباط السّببي، لأن تأكيد الجواب بالإيمان هو نتيجة لسبب وقوع الحقّ وإصابة غرض المتكلم، ومنه يظهر لنا المعنى السطحي لهذه الجملة الشّرطية وهو أنه إذا ما وقع الحق أدرك قصد المخاطب وغايته المنشودة، الرامية إلى تحقيق الجزاء الذي يهدي إلى الإيمان بالله تعالى .

والملاحظ أنّ البنيتين السطحية والعميقة متفقتان من حيث الحذف والإظهار والإضمار، أما من حيث الحذف فترى حذف الفاعل لذلك نقدره بالضمير "هو" في العبارة الأولى أما الثانية جاء الفاعل ضميرا متصلا " تُمْ" في محل رفع تقديره "أنتم"،

[1] سورة يونس [ 51] .ورد الشّرط المعتمد على إذا ما في الآيات الآتية : [ 89 .15 ] / [ 89 .16 ] .

[2] ينظر قواعد النحو العربي قفي ضوء نظرية النّظم، سناء حميد البياتي دار وائل، عمان –الأردن – ط 1، 2003 ص 357.

أما المفعول به فمضمر في الأولى والثانية كذلك مضمر لكن يعبر عنه بالتعدي لأنّ الفعل الذي وقع عليه تعدّى بحرف الجرّ "الباء" في كلمة "به" أما الهاء فضمير متصل في محل جرّ اسم مجرور.

إنّ ارتباط فعل الجواب "أمنتم" الذي ينتمي إلى سمة متعدّ بالرّكن الحرفي " به" وفق ما تقتضيه الضرورة البلاغية إذ يكسب الفعل مرونة أكثر لتغطية مجالات دلالية مختلفة، وقد كان أومأ إلى هذه الظاهرة " السّيوطي" بقوله<< إنّ الفعل قد يتعدّى بعدة من حروف الجرّ على مقدار المعنى المراد من وقوع الفعل لأنّ هذه المعاني كامنة في الفعل وإنّما تثيرها وتظهرها حروف الجرّ >>[1].

وهذا يظهر لنا دور الحرف في إتمام معنى الجملة، بالإضافة إلى ذلك جاء التركيب مرتبا ترتيبا منطقيا .

**النمط الثالث الشّرط المتعمد على الطّلب:**

**نمط التركيب الطلبي: (جملة طلبية تتضمن الشّرط) :**

قال الله تعالى :<<الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى>>[2].

نظام الصورة التركيبية للجملة الطلبية << وأنْ اسْتغفروا .....مُّسَمًّى>>.

فعل أمر والواو فاعل، و"ربّكم" مفعول به والكاف ضمير متصل (مضاف إليه) والميم علامة الجمع، و"ثم" حرف عطف + فعل أمر "توبوا" وعبارة الجواب فعلية مضارعيه " يمتّعكم" مضارع مجزوم لأنّه جواب الطلب والكاف ضمير المخاطب مفعول به والفاعل ضمير مستتر "متاعا" مفعول مطلق وحسنا نعت و<< إلى أجل>> جرّ ومجرور متعلّقان ب "يمتعكم" مسمّى صفة ل "أجل "مجرورة بالكسرة المقدّرة على الألف للتعذر.

---

[1] السمات التفريعية للفعل في البنية التركيبية، أحمد حساني ، ديوان المطبوعات الجامعية –بن عكنون –الجزائر ، سنة 1993 ، ص 79 .

[2] سورة هود [1–2–3] وردت من هذه الأساليب الطلبية : [11–52] ، [ 11–64 ] ،–[9–12] ، [ 10–12 ] ، [ 12–12 ] ،[ 12–54 ] ، [ 12–63 ] ، [13–93 ] ،[ 34–31 ]، [ 14–44 ] ، [ 15–03] ، [ 17–53 ] ، [ 18 –16 ] .

تضمنت هذه الجملة " أَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى" معنى الشّرط واستلزمت عبارة الجواب فعل الجواب المجزوم "يُمتِّعْ"، أمّا العبارة الأولى التي تضمنت معنى الشّرط وهي جملة الأمر نحو قوله: <<أَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ.....>> فقد انجزمت هذه الأفعال فيها، ويُمكن تقدير أداة الشّرط "إذا" أو " إنّ" بأنّها محذوفة في هذا الموضع ، ويكون هذا في حالة إذا وقع الفعل جوابا أو جزاءا للطلب المذكور سابقا. وذلك لأنّ السياق قد يدلّ على الشّرط من دون استعمال أداة ومن ذلك دلالة الخبر على الشّرط >>[1].

[1] التّراكيب اللغوية، هادي نهر، دار اليازوردي العلمية –عمان –الأردن –ط1 2004، ص 177 .

نخلص ممّا سبق أنّ التوسع في دراسة أسلوب " الشّرط " بالنظر إلى ما يترتب عن الشّرط في قالبه النحوي من أبعاد معنوية مفيد في الدراسة النحوية، وقد ينير السبيل في ضبط أشكالها المتنوعة، وتلون معانيها في استعمالاتها الظرفية :

كالأداة "إذا" والأداة "إذا ما " ولعل أحسن مثال عن ذلك: الشّرط ب "إذا" الذي يتضمن معنى الشّرط في المستقبل من حيث النظرة الزمانية .

إنّ ممارسة الوجهة التحليلية الوظيفية في دراستنا تساعدنا على التوغل في أعماق هذه المدونة واستخراج أسرارها الجمالية.

- لقد تفاوتت نسبة ورود هذه الأسماء الشّرطية واستعمالاتها المختلفة في الخطاب القرآني.

كما نذكر وصف التّراكيب الإسنادية (المركبة) يتضح لنا شيئا فشيئا بمقتضى المقابلة بين دراسة بنية التّركيب الإسنادي البسيط وهو ما يكون الهيكل الأول، وبنية التّراكيب الإسنادية ذات العمليات المتعددة وهو ما يكون الهيكل الثاني من الدراسة وهذه الموازنة قد تبرز عند الوصف والتقصي خصائص التّركيب الشّرطي.

# الفصل الرابع

## - أساليب الشرط في ضوء البعد الوظائفي.

- 1 الوظائف النحوية لأحرف الشرط في الخطاب القرآني.
- 2 مفهوم الوظيفة.
- 3 الهيكل الوظائفي للجملة الشرطية.
- 4 التحليل الوظيفي لبعض أساليب الشرط.
- 5 طبيعة تراكيب الجملة الوظيفية.

لقد شغل موضوع اللغة فكر العلماء والباحثين منذ قديم العصور نظرا لأهميتها التاريخية الاجتماعية والاقتصادية والدينية، فأوسعوا الصوت والكلمة بحثا، ليتجهوا بعدها إلى تحليل الجملة ،وفي ذلك ظهرت نظريات متعددة ومختلفة باختلاف منطلقاتها الفكرية، لكنها تلتقي جميعها في غاية واحدة، هي الوصول إلى كنه هذا النشاط الذي يتميز به الإنسان عن غيره من المخلوقات .

وقد أدى تطور الدراسات العلمية بشكل عام، واللغوية منها بشكل خاص إلى الاعتماد على العلوم التطبيقية التي تضْمن الدّقة والوضوح مع السهولة والسرعة ، فأصبحت دراسة اللغة العربية الفصحى في الأبحاث المعاصرة مختلفة في منهاجها عما كانت عليه قديما، وذلك كله سعيا وراء وضع نظرية لغوية عربية متكاملة الأركان، إلاّ أنّ تطوير مثل هذه النظرية يتطلب القيام بعملية غربلة دقيقة وتنقية واعية لتراثنا اللغوي.

ولا نقصد بهذا الزعم تخطئة ما جاء به قدماؤنا، وإنما نؤمن إيمانا قاطعا بضرورة الاعتماد على مناهج حديثة من شأنها تجديد الأطروحات السّابقة في مختلف الميادين ومن ذلك ما تبنته المدرسة الوظيفية التي كانت تعتمد في تحليلاتها على إظهار الأدوار التي تؤديها العناصر في أي مستوى لغوي وعلى طبيعة العلاقات التي تربط عنصرا ما ببقية العناصر الأخرى داخل كل متكامل يمثل وحدة المستوى الأعلى.

والوظائف النحوية إحدى أهم الأسس التي يرتكز عليها بناء الجملة، ومعرفة هذه الوظائف ضروري للوصول إلى الإفادة واستجلاء المعنى .

**الوظائف النّحوية لأحرف الشّرط في الخطاب القرآني:**

تعتبر الجملة المستقلة أكبر وحدة نحوية في الكلام، وتتميز بأنّ أجزاءها ترتبط بعلاقات فيما بينها وإن ترابطها عضويا ليس عشوائيا بل يخضع لنظام يحقق لها الوظيفة حيث إنّ أيا منها لا يؤدي وظيفة ما إلاّ بنوعية علاقاته بالعناصر الأخرى، ولا شك أن النحاة العرب القدامى كانوا يحيطون بخصائص الوظيفية النحوية مضمونا، وذلك من خلال لفظ "المعنى" وهكذا تكون البداية من صحة معني النحو، إذا كما قال" الجرجاني" : فلا ترى كلاما قد وصف لصحة نظم أو فساده أو وصف بمزية وفضل فيه، إلاّ وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه "[1].

والحديث عن النظم يهدي بنا إلى الحديث عن مصطلح الوظيفة النحوية، فالوظائف النحوية للكلمة هي ما تتصل بترتيب الكلمات في الجمل .

أمّا ما يقصده بمعاني النحو فهو ما يشيرون إليه تحت اسم الوظائف النحوية للكلمة في الجملة، والمقصود بالوظائف النحوية للكلمات هنا المعاني النحوية التي تحددها الكلمات في الجملة، تلك المعاني التي تدلّ على ما إذا كانت الجملة تقريرا ،استفهاما أو رجاء .....الخ، أو ما يتعلق بالأدوار التي تؤديها العناصر المختلفة التي تتغير بها المور فيمات في التركيبات النحوية المختلفة [2]. ويرتبط مصطلح الوظيفة النحوية بالمعنى النحوي والمعنى الداخلي، وكلها تعبر عن مفهوم واحد، فهو تمثل المعنى الذي تكتسبه الكلمة داخل السياق اللغوي.

فالتركيز على المعنى، إذن علاج لكل مخالفة بين ظاهر اللفظ والمعنى المخفي الذي يمكن أن نقدره في العبارة المنطوقة أو المكتوبة، كما أن الوظائف النحوية مثل جواب شرط جازم، الفاعل، المفعول به، النعت، الخبر، الحال.....الخ متعلقة بالمعنى.

---

[1] قمنا بإدراج حروف الشّرط مع أسماء الشّرط في جانب التحليل الوظيفي للحصول على تكافؤ بينهما ، لأنهما يعدان جانبا تطبيقيا واحدا .

–دراسات لغوية في العلاقة بين البنية والدلالة، د/ سعيد حسين البحري، الناشر مكتبة زهران الشرق القاهرة، ص 187.

[2] الوظائف الدلالية للجملة العربية تأليف محمد رزق شعير تقديم د/ عبده الراجحي، مكتبة الآداب، القاهرة ط1 ، 2007/1428 ، ص 19 .

أوّل ما نقف عليه في دراستنا هو أنّ الجملة الشّرطية المصدرة ب "إنْ"، إذا وباقي الأدوات مؤدية وظائف نحوية صغرى ، وتصبح في هذه الحالة جزءا من دلالة التركيب الكلي، ويمكننا اكتشاف ذلك في الخطاب القرآني وذلك بأخذ بعض العينات من الشواهد القرآنية من مختلف السور لأنّ المقام هنا لا يسمح لنا بتناولها جميعا نظرا لكثرة ورودها في القرآن الكريم ، ولذلك سنذكر بعضها بعض يأتي:

**مفهوم الوظيفة:**

إن مفهوم الوظيفة حسب وجهة نظر اللسانين المعاصرين متنوع الدلالة ويرجع ذلك إلى المنطلقات الميدانية في تفسير الظاهرة اللغوية مما يقضي على اختلافات منهجية في دراسة النحو وتفكيك الكلام على أنّ المنظور البنيوي المعاصر في دراسة اللغة يكاد يحدّد مصطلح الوظيفة لسانيا بأنّها "الدور الذي تؤديه الوحدة اللسانية في البنية التركيبية للملفوظ، ويعد كل عنصر من الجملة مشاركا في معناها العام ...."[1].

يرتبط مفهومها بمبدأ اختيار المتكلم لأدواته التّعبيرية اختيار واع فتتحدد وظيفة جزء من أجزاء الكلام بالشحنة الإخبارية التي يحملها المتكلم إياها فتكون الوظيفة هي القيمة التمييزية من الناحية الدلالية العامة، ومن خلال هذا التعريف يبدو أنّ تحديد الوظائف اللغوية التي تكثف البني اللسانية يقوم أساسا على فكرة التواصل ببيان قيمة العنصر أو دوره في الجملة بعده واحدا من مكونات الإبلاغ العام، أي تهتم بهذا العنصر بوصفه معطى ضمن سياق مقام معروفين ويكتسب قيمته وقبل الانتقال إلى معرفة الوظائف النحوية للجملة، حري بنا أن نعرف ما المقصود بالوظيفة .

وبذلك تكون اللغة في تركيبها نسقا وظيفيا يحقق كل مكون في بنيتها وظيفة ما. ومن ثم يكون لكل عنصر من العناصر دور أو وظيفة يتميز بها .

يقف "إدوارد سابير)( EdwaredSapir رائداً التيار التجريدي على المبدأ الوظيفي في تعريف الجملة هي الترجمة المنطقية للفكرة الشاملة، حتى وإن كنا نعتبرها متكونة من

[1] في اللسانيات التّداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، خلفية بوجادي، بيت الحكمة للنشر والتوزيع ط1، 2009 ، ص 118.

عناصر جدرية ومتعلقة بالقواعد وتتجسد عبر الكلمات، فالجملة مظاهرة لحالة نفسية، ومعرفية، وأحيانا فنية عندما تتجسد فيها تناسق الكلمات فيما بينها. [1]

أي أنّ كل جملة تشتمل على عنصرين أو ثلاث عناصر متميزين أوّلهما مجموعة الصور المعنوية المرتبطة بتصورات في الذهن وثانيهما مجموعة العلاقات الرابطة لتلك الصور بعضها ببعض وهذا يسمح للإنسان أنْ يسْتخلص ويُفكر بواسطة الجمل وهذا يشير مع ذلك إلى أنّ العملية تحدث في الذهن بواسطة الآليات مكتسبة بدون أنْ يصحبها وعي ما لأنّ المرحلتين من عملية الكلام .

لا تتميّزان زمنيا إلاّ في التّحليل النّحوي ويخلص من ذلك أنّها التّعبير عن قضية منطقية بواسطة اللغة لتوضيح فكرة مكتملة.

إنّ الجملة المركبة هي تركيب إسنادي له شكله اللغوي العام، وهذا التّركيب له مركّب متعدّد الإسناد بين أجزائه ومكملات الإسناد من نعت –مضاف إليه والحال ... ...وغيرها، وهذه المركّبات قد تكون جزئيات في صورة كلمة منفردة ، وقد تكون جزء ا تجسّدُ شقّاً آخر بعد تركيبها في الشكل العام للجملة المركبة سواء أكانت هذه الجملة مركبة ركنا أساسيا من أركانها أم تشكل عنصرا مكمّلاً .

لمن الملاحظة حقّاً أنّ دراسات العرب قد انطلقت من المفردات وراجعة إليها، فالوظيفة المعنية إنّما هي الوظيفة المنفردة في الجملة، أمّا الجملة ذاتها فلا حديث عنها في المجال، فهي تمثل إطاراً معنويا مركّب واسع يتضمّن مفردات ذات وظائف، ويرتبط بمفردات لها وظائفها، ولكنه لا يسند إليه وظيفة وقد حدّد علماء العربية الجملة على أنّها التركيب الذي له كيان مستقل مبنى ومعنى، ذلك لأنّ << الأصل في الجملة

[1]- EdwaredSapir le langage introduction à l'étude de la parole , traduit de l'anglais par S.M Guillemin , petite bibliothèque Payot , édition Payot rivages , pour la présente édition , 106 , boulevard , saint germain , paris , 2001 , p 42-43 .txt trad :la phrase est la traduction logique de la pensée complète , même si on la conçoit comme composée d'éléments radicaux et grammaticaux qui ressortent sous le vernis des mots ;c'est une manifestation psychologique de la connaissance , de l'art , quand on la considère ( et elle est en effet telle ) comme une harmonie parfaite de mots accordés entre eux

ادوارد سابير (1884_)1939 ; edward sapir ولد في لاونبورغ، ثم سافر إلى الولايات المتحدة ودرس أن كانت مواهبه قد صقلت واتسعت ثقافته اللغوية والأدبية والتاريخية كتب كتابه وعرف لو يكتب غيره langage new york

أن تكون مستقلّة لا تقدّر بمفردٍ فتكون جزءاً لما قبلها، وإذا كان لها موضع قُدّرت بالمفرد>>[1].

وما يتلاءم مع مفهوم الجملة في هذا القول هو الوحدة الإسنادية والوحدة الكلامية الأساسية في عملية الإبلاغ والإخبار ويصرح الزمخشري وغيره بأنّ " الجملة الشّرطية مستقلة، إلى جانب الجملة الإسمية والفعلية والظرفية. أمّا ابن هشام فقد جعلها من قبيل الفعلية .

والشرط هو تعليق جملة بجملة تكون الأولى سببا والثانية متسببا. والشّرط والجزاء جملتان في الأصل فلما دخل عليهما حرف الشّرط صارا جملة واحدة [2].

ويعرض للربط بين الجمل، فيرى أنّه لكي تحلل الجملة ينبغي أن تعرف بدايتها ونهايتها وأن يعوّل في المعرفة حدودها ، على بدء الاستقلال التركيبي وعدم ورود الملحوظ عنصرا من عناصر مركب آخر في ظل هذين الضابطين يفسر اعتبار النحاة القدامى الجمل الابتدائية والاستئنافية والاعتراضية جملا لا محل لها من الاعراب بتوافر شّرطي الإسناد والاستقلال بخلاف التي لها محل من الاعراب فإنّها تفتقر إلى الاستقلال .

فتحديد وظيفة نحوية داخل الكلام إنّما هو موكل إلى المحل الذي يرشدنا "إلى مركب (العامل * المعمول ) وعلى المعنى الوظيفي الرئيس أو الفرع الذي تحتله الكلمة أو المركب في خانات الجملة المجرّدة ثم وموكول إلى الموضع الذي يبين ما إذا كانت الحركة الإعرابية مطابقة للفظ الذي يحتل ذلك الموضع أم يوجد اختلاف بين حركة مجاري الكلام الظاهرة ونظام مجاريها النظري[3]" ولهذا يمكن القول إنّ العلاقة الاعرابية لا تفصح عن الوظائف النحوية بمجرد الرجوع إلى الملحوظ بل كذلك بالرجوع أساسا

---

[1] الجملة الوظيفية في القرآن الكريم –صورها بنيتها العميقة –توجيهها الدلالي، رابح بومعزة، جدار الكتاب العالمي، عمان، الأردن، عالم الكتب الحديث إربد ، ط 1 ، 2009/1429 ، ص 39 .

[2] لغة القرآن الكريم في سورة النور دراسة في التركيب النحوي صبر كإبراهيم السيد ، دار المعرفة الجامعية إسكندرية دط –1994–1414 هـ ص239 .

[3] مصطلح النحوي وتفكير النحاة العرب توفيق قريرة، دار محمد علي للنشر كلية آداب منوبة –تونس ط1 2003، ص 197 .

إلى البناء الذهني المجرد للجملة. وقد ترتب على تقسيمات النحاة السابقة وتحديدهم الجملتين الاسمية والفعلية دخول مصطلحات في الدرس اللغوي لها صبغة قسرية أدت إلى أو ساهمت في إيجاد ما يسّمى بالإعراب المحلي والتقديري"[1].

**الهيكل الوظائفي للجملة الشّرطية في الخطاب القرآني:**

لاريب أنّ أبرز صعوبة نواجهها في هذه الدراسة هي افتقارنا إلى تصنيف دقيق لنوعية الوظائف النحوية، لذا يجب علينا في بحثنا هذا استخلاص كشف يضيء جوانب من قضية تصنيف أنواع الوظائف النحوية في الجملة الشّرطية ويساهم في إبراز طاقات تكافئها ورجحانها تبعا للتواترات التي سيفضي بنا البحث إلى ضبط نسبها .

وأوّل ما نبدأ الوقوف في كشفنا هذا هو أنّ الجملة الشّرطية تتنوع وظائفها بتنوع حالات اندراجها في صلب الكلام فإنّ أبْقَيْنا على المفهوم الكلاسيكي لمبدأ تفكيك الخطاب.

**التحليل الوظيفي لأدوات الشّرط:**

**الاستئناف:**

من الملاحظ أن هذا المصطلح كلاسيكي في محتواه وهو دقيق وصريح في حقله الدّلالي [2].بما يثيره من فكرة تركّب الكلام من سلاسل التشكيل الجملي أو مجموعات وظائفية تعمل على التشكيل المتراص كالبنيان المشدود كل يأخذ برقاب بعض كأنّها سلاسل أو حلقات تتعاقب وفقها الجمل بما تحمله من معان ككرة الخيط إذا جذبت منها طرفا تتابعت كلّ الخيوط الواحدة تلوى الأخرى. أو بعبارة أخرى: تثير لنا فكرة التركيب المتتابع الذي تنتظم فيه هذه الكلمات والمر فيمات حيث يصبح التّركيب الشّرطي في هذه الحالة مترابطا عضويا بسياقه النّحوي (اللفظي والمعنوي)، ومن مظاهر ورود هذه الوظيفة في الخطاب القرآني أن تتعاقب الجمل الشّرطية الاستئنافية في سلسلة متوالية، ويُرى أنّ الاستئناف هو اجتماع أو مجمع جمل مستقلة في مستوى الخطاب ذات وظيفة واحدة

[1] في النحو اللغة وتراكيبها منهج وتطبيق، خليل أحمد عمايرة، عالم المعرفة المملكة العربية السعودية –جدة ط1، 48/1404 ص 82.

[2] يراجع الشّرط في القرآن الكريم ، عبد السّلام والهادي الطرابلسي ص 146.

تتمثل في كونها مكونات مباشرة للخطاب، ويتحقق ذلك بواسطة أدوات استئناف لفظية أو معنوية [1].

كما يكون الربط بين طرفي الجملة الشّرطية وجوابها سريع اتّصالها في كلام متصل يكون في جمل حوارية وهي المجاب بها في حوار قصصي أو المردود بها استفهام في كلام مستمر ومتصل يكون في الحوار دون انقطاعها كآنية الذّهب التي هي بطيئة الانكسار هيّنة الإعادة لا يكسرها أدنى شيء ولها وصل ومثال عن ذلك:

قوله تعالى: <<قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا (76) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا >>[2].

واستئناف هذه الجمل بشكل متواصل يكون مُحَمَّلا بالثمار المقصودة ومشحون بمقاصد منها التّعلم من المواقف والظروف الصّعبة التي يمر عليها المَرْءُ.

وذلك نجده في قوله تبارك وتعالى :<< وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَهُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنِّ مِنَ الشَّاكِرِينَ>>[3].

**تصنيف الأفعال المكملة للوحدة (التلازمية)**

| الصنف | الماضي | المضارع |
|---|---|---|
| العدد | 10 | 04 |

قد خرجت عن هذه الظاهرة ثلاثة تراكيب متلازمة هي:

إذا +/ف/+عملية استنادية // دون رابط + عملية استنادية

حتى إذا +/ف/ + عملية استنادية متعددة // دون رابط + عملية استنادية

[1] ينظر المرجع نفسه ص 146.

[2] سورة الكهف الآية 77 .

[3] سورة يونس الآية 21-22 .

لكن +/ف/+عملية استنادية // لام للتوكيد+ عملية استنادية، فالربط في هذه التراكيب الثلاثة "تم بأدوات محددة للتلازم، ولا يتم الهيكل الأول من التركيب بدون الثاني فالتراكيب جميعا وردت في شكل عملية آلية متعاقدة الوحدات في نظام مفاتيحه الأداة وما يقابلها لانغلاق الوحدة التامة."[1]

إذ تطوي في ثنايا الخطاب سلسلة من الجمل المتعالقة بعضها ببعض.

وهوما نلاحظه في الجمل الشّرطية المتعاقبة الواحدة تلوى الأخرى بداية من قوله: <<وَإِذَا أَذَقْنَا..... ..... الشَّاكِرِينَ>> جاءت مشحونة بما يدلّ في وضوح على أنّ ثمّة ما يثير ترابطا قويّا بينها حيث تؤدي وظيفة منتظمة ومترابطة تمثلت في وظيفة الاستئناف ومما يرتبط أيضا بهذه الفكرة ما يراه في ترابط جزئي الجملة الشرطية, فكما أن الفاء تربط جملتين في الغالب، إحداهما يمكن تأويلها بمفرد فكذلك إذا المسماة بإذا الفجائية 'ونحن نعلم أن الجواب المتصل بإذا علق الجواب، وما نكتشفه أيضا أنّ هذه البنية الوظيفية تقوم أيضا بوظائف أخرى، سنراها فيما يأتي بيانه :

هذه الوظيفة النحوية النصية أي وظيفة الاستئناف قد استقطبت 712 جملة من مجموع الجمل الشّرطية الواردة في بعض السور القرآنية التي نحن بصدد دراستها، فإذا تجاوزنا هذه الوظيفة الاستئنافية لا حظنا أنّ الجملة الشّرطية تدخل في هياكل وظائفية متنوعة، وفي هذه الحالة يكون نمط التركيب الشّرطي مترابطا عضويا بسياقه النحوي، وأوّل ما نلاحظه أنّ الجملة الشّرطية تقوم بوظيفة بعض العناصر الأساسية. وقد وردت الجملة الشرطية معترضة ومستانفة لما قبلها ومسبوقة ب "همزة الاستفهام "أأ"والفعل " رأى" وهو من الأفعال التي ترد الجملة الشّرطية مفعولا لها وهذا الفعل يندرج ضمن أفعال القلوب : نحو قوله تعالى : <<أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ .....>>[2]

| أداة استفهام | حرف استئناف | ف+ فا | ج.شر معترضة | ج.شر محذوف |
|---|---|---|---|---|

**ج استفهام وجوابه**

[1] دراسات لسانية تطبيقية مازن الوعر، دار طلاس دمشق، ط1 سنة 1989 ، ص263 .

[2] سورة الشعراء الآية 205 .

**المسند:**

-ويكون في الجملة الاسمية العادية أو الجملة المنسوخة، فترد الجملة الشّرطية خبراً لإنّ:

قال الله تعالى :<< (19)إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ (20)>>[1].

كما ورد خبرا لأن:

<<ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُكَفَرْتُمْ>>[2] .(40-12)

ش ج

ج.ش.خبر" أن"

ومن أنواع الوظائف التي يؤديها التركيب الشّرطي وظيفة هي إلى العنصر الأساسي أقرب منها إلى العنصر المتمم وهي المفعولية أو على وجه التحديد وظيفة المفعول به، ذلك أنّ هذا العنصر يحتل مرتبة وسطى بين الالتحام مباشرة بالفعل والاندراج في صلب الهيكل النحوي للجملة تبعّا لسلسلة المتممات، غير أننا نلاحظ هذه الوظيفة هي نفسها تتفرع بعض الفروع، فهناك درجة من المفعولية اصطلح عليها النحاة بوظيفة: مقول القول.

وتتميز بأنّ العنصر -اللغوي- لفظا كان أو جملة إذا ما شحنها بقي له استقلاله التركيبي فكأنما هو وارد بين قوسين لذلك عبر النحاة عن ذلك بقولهم " محكي بالقول"[3] وهو ما يمكن أن نقربه من الأسلوب المباشر في السرد والحديث. فالجملة التي تؤدي وظيفة "مقول القول "تبقى مستقلة بنفسها بنيويا بحيث إذا عزلتها عن ارتباطها الوظائفي سلمت بنيتها النحوية تماما، ولعل ذلك هو السبب الذي جعل الجملة الواردة في هذا السياق والمستهلة بحرف مصدري إنما تستوجب الأداة " إنّ " لا الأداة "أنّ" وبذلك يبرز طابع الاستقلال البنيوي في مقول القول أو ما يسمّى بالجملة المحكية بالقول بينما ينعدم هذا الاستقلال البنيوي في التراكيب المستهلة ب "أنّ"، عمّا قبلها كقولنا: "علم أن ....." أو

[1] سورة الكهف [20-19] 20/18.

[2] الآية 12 من سورة غافر .

[3] الشّرط في القرآن الكريم لعبد السلام والهادي الطرابلسي، ص 148.

" ظن أن ذ ..." . وترد الجملة الشّرطية في هذه الوظيفة مباشرة بعد صيغة القول :<< وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ.....فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي >>[1].

جواب الشّرط (مقول القول)، مثل ذلك ما ورد في الآيات الكريمة من سورة العنكبوت، يقول عز وجل "وإبراهيم إذ قال لقومه : اعْبُدُوا الله واتّقُوه ذَلكُم خَيْر لَكُم إنْ كُنْتُم تَعْلَمُون إنّمَا تَعْبدُون مِن دُون الله أوثَاناً وتَخلُقُون إفْكًا إنّ الذِين تَعْبدُون مِن دُون الله لا يمْلكون لكم رزْقا فابتغوا عند الله الرِّزق واعبُدوه واشْكُروا له إليه ترجعون وإنْ تكذبوا فقد كذب أمَم من قبْلكم وما على الرَّسُول إلاّ البَلاَغُ المُبِين". الملاحظ أن الآيات من الخامسة عشرة إلى الثامنة عشرة جملة مقول قول إبراهيم (عليه السلام) يتوجه بها إلى قومه بوحي من الله سبحانه تعالى وهي رسالة تحتمل مرسلين ومرسل إليهما.

كما ترد في مواطن عديدة أخرى مفصولة عن فعل القول مع القسم :

<<قَالَ لئن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَافَلا تُصَاحِبْنِي>>[2].
ش ج

ج.ش."مقول القول "

وترد الجملة الشّرطية أيضا مقولا للقول استفهامية في نفس الوقت :

ش ج

<<وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِأَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ >>[3]. (32-10)

ج.ش."مقول القول "

وتؤدي الجملة الشّرطية هذه الوظيفة النحوية بتواتر قدره وبنسبة مئوية تساوي .

أمّا النوع الثاني من وظيفة المفعولية فهو الذي تكون الجملة الشّرطية فيه مندرجة في صلب هيكل نحوي أوسع منها بحيث يستوعبها بنيويا المفعول به .

---

[1] الآية 36 من سورة إبراهيم .

[2] الآية 76 من سورة الكهف

[3] الآية [10-9] من سورة السّجدة

وتشحن الجملة الشرطية هذه الوظيفة بعد أصناف من الأفعال أبرزها الأفعال التي في نحو قوله تعالى :

ش ج

<<قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًامَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ>>[1].

ج.ش."مفعول به "

الاستفهام في الجملة الشّرطية استفسار عن الوظيفة النحوية المرتبطة بإنجاز الفعل أم لا . ويظهر الاثبات هنا بكونه قد أثبت لهم العجز عن تخليص أنفسهم من العذاب وبما أوردناه نستطيع أن نحرر القيد العاملي الآتي : << العلاقات الدلالية إذا انتقاها الفعل عملت في مكونات الجملة الوظائف النحوية >>[2].

إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف" ( 23-17 )[3]

ش ج

ج.ش."مفعول به "

وردت الجملة الشّرطية 53 مرة مفعولا به فتكون المئوية من مجموع الجمل الشّرطية الواردة في القرآن .

وترد كذلك خبرا للفعل الجامد "عسى" نحو قوله تعالى :

<<فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْأ ن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ>>[4].

المصدر المؤوّل (أن تفسدوا) في محل نصب خبر "عسيْتم"

جملة .شر

جملة "عَسَيْتُم " ← لا محل لها من الإعراب استئنافية.

---

[1]. الآية 50 من سورة يونس .

[2]. محاضرات في النظرية اللسانية والنماذج النحوية ، محمد الأوراغي (قضايا لسانية ) ج 1 منشورات ضفاف بيروت ، دار الأمان الرباط–لبنان– منشورات الاختلاف الجزائر العاصمة ط1 1439/2018 ص 262 .

[3] سورة الإسراء، الآية 23.

[4] سورة محمد الآية [22].

وجملة "تَوَلَّيْتُمْ" لا محل لها اعتراضية وجواب الشّرط محذوف دلّ عليه ما قبله .وتستقطب وظيفة الخبر 38 جملة شرطية من بين مجموع الجمل الشررطية الواردة في القران الكريم .

**وظيفة التّعليل:**

طرائق التّعليل في تخصيص المقصدية: إن سنن العربية في الإنشاء والتّعبير تعّد مرجعا مهما في التأويل من ذلك، إفادة الشّرط للتخصيص تضمنا فمن ذلك فعليه أن يتعلم لغة العرب ومعرفة جهات التسوير لدلالة الاختصاص في التّركيب اللغوي حيث أنّه لا يتّضح المقصد من المسألة إلاّ بذكر الصور، فمن الصور التركيبية التي يجب مراعاتها والاهتمام بها الشّرط والجزاء، فإنّ سلم اقتضاء الشّرط تخصيص الجزاء به ،فنحن نعلم من مذهب العرب أنّها وضعت باب الشّرط لتخصيص الجزاء به ،فإذا أمعنّا النظر في متضمّنات التعليل رأينا أنّ العرب قد ألّفوا فيه بين طرفي حقل دلالي، إذْ ما يعلّل الحدث أي ما يفعل الحدث لأجله –كما تدقق النظرة التحليلية لدى النحاة ، وقد يكون سببا لبروز الحدث وقد يكون غاية له ،وبصرف النظر عن القضايا الفلسفية في بيان السبب والنتيجة فإنّ المقياس اللغوي النحوي للتمييز بين طرفي القضية قد يكون زمنيا إذا ما سمح السياق به. إنّ ذكر السبب هو التّعليل للحدث بمعطيات سابقة له زمنيا. ولعّل النص القرآني قصد إلى الإحاطة بطرفي القضية حين تناول نفس الفكرة في قوله :

<<وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم>>[1]. وفي قوله تعالى" وإن تولوا فقد أبلغتكم"[2].

ففي الآية الأولى نلاحظ اندراج كل<< منَ خَشْيَةَ ومن إمْلاقٍ>> في وظيفة المفعول لأجله هو الذي جعل معناها لدى المفسّرين واحدا يكاد يتطابق. ونحن نظن أنّ السياق يُمحّض <<خَشْيَةَ >> إلى التّعليل بالنتيجة بينما تقرّ عبارة << من إمْلاقٍ>> مبدأ التّعليل بالسبب أما في الآية الثانية فجملة "فقد أبلغتكم" جملة تعليل لجواب الشرط المقدر. بهذه الضوابط التصويرية أجاز علماء الأصول أنساق خطابية وربطوها بالدلالة المقصدية

[1] سورة الإسراء (31–30) .

[2] سورة هود الآية 57 .

لها، إلاّ أنّ النص الشرعي لسمو أحكامه وثبوت مقتصدتيه يتجاوز خطابه التحليل المنطقي إلى التحليل اللغوي، بمعنى أنّ المرجعية المعرفية للخطاب الشرعي هي ذات توجه معروف قوامه قاعدة عامة هي جلب المنفعة ودرأ المفسدة. إلاّ أنّ وجه الدلالة فيها ونوعيتها وامتدادها الزمني والمكاني مردّه إلى سبر لغوي لتركيب الخطاب. وفي هذا الشأن يتّخذ الإمام الغزالي من هذه المسألة قاعدة دلالية عامة، تتأسس على حمل الخطاب مقصدية معينة، بناء على قصد المخاطب واستقراء للسياق العام الذي جرى فيه تصريف الخطاب إذْ المخاطبين ليسوا سواء في تلقي الدلالة فإذا قال الرجل لجميع نسائه الحاضرات "طلقتكن" وجميع عباده "أعتقتكم" فإنما يكون مخاطبا من جملتم من أقبل عليه بوجهه وقصد خطابه وذلك يعرف بصورته وشمائله ونظره .[1]

فنلمس هنا تعيين ملح لمقصديه الخطاب عند الإمام الغزالي، ويمكن ترسيم هذه المقصدية كما يأتي : [2]

المتكلم . ⟵ المتلقي

الخطاب ⟵ مقصدية الدلالة العامة .

تخصيص، المقصدية ⟵ مقام المتلقي العام (قصد الخطاب –حال المتلقي، المهتم بالخطاب ).

إن تخصيص المقصدية مرجعه إلى السياق العام للخطاب ومقام المتلقي وحاله .

ويعّد هذا التخصيص أداة مهمة في التأويل وفي قراءة النصوص التراثية كتبت بمراعاة العرف الاجتماعي العام في تصريف الألفاظ، فلو أوصى رجل بجميع ماله،وكان العرف يفيد لفظ "المال" بالغنم فقط، فإنّ الدلالة المنعقدة هي الدلالة العرفية. وقد قسم العلماء أدوات العموم إلى أدوات شكلية لفظية، وأدوات معنوية، اقتضائية من ذلك العقل والعرف. كما أنّ الشّارع صنع في الخطاب سرّ إعجازه اللغوي بأن ركب بالمحدود ( النسق اللغوي) تعابير للدلالة على اللامحدود، وهو عالم المعنى الممتد عبر الزمن إلاّ أنّ ثمة قرائن غير لغوية ( منطقية) تعمل كسند إشاري وإيصالي للنظام اللغوي ، ولذلك فتح علماء الأصول في باب تخصيص العام منافذ مهمة ،وقدموا أدوات تأويلية من بينها:

[1] ينظر النص والتأويل –دراسة دلالية في الفكر المعرفي التراثي، منقور عبد الجليل، ديوان المطبوعات الجامعية، ص 121.

[2] المرجع نفسه ص 121 .

التخصيص بدليل العقل أو الحس وبديل العرف ، والتخصيص بنص مستقل عن النص العام إلاّ أنّه مقارن له في النزول .

**الحال:**

وهي من الوظائف التي تشترك مع وظيفة النعت في التخصيص، إلاّ أنّ جمهور النحاة تواضعوا على أنّ الحال على معرفة وهو ما يميزها عن وظيفة النعت، غير أنّنا نلاحظ الجملة المؤدية لوظيفة الحال وإن كانت غايتها الأولى في التخصيص فإنها تكتسب بموجب السياق معاني مختلفة تجعلها تخلص إلى شحنات دلالية أخرى توافق في بعض من الأحيان مفاهيم وظائفية أخرى .فهي تقتصر أحيانا على ضبط حالة صاحبها أي وصف حال النبي عليه السلام والصلاة بأنه لا يعرف الحقيقة ويبحث عنها فقد قال عز وجل في ذلك ": "نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين3)[1]".

وقد تصرح للتعليل المبين للسبب في هذه الآية ، قال تعالى :

"وما لكم لا تؤمنون بالله والرّسول يدعوكم لتؤمنوا بربّكم وقد أخذ ميثاقكمإن كنتم مؤمنين[2]"(57-8)

ج ش

ج.ش."السبب"

**الجملة المؤدية وظيفة التّفسير:**

التفسير من المفاهيم الوظائفية التي تنفرد بها الجملة الوظيفية التي تكون جزءا من الجملة المركبة الإسنادية سواء أكانت هذه الجملة فعلية أو اسمية. إلاّ أنّه في الواقع صورة متمخّضة عن إحدى الوظيفتين هما وظيفة التأكيد ووظيفة البدل ، لذلك عرّفت الجملة التفسيرية أنّها : الجملة التي توضح معنى مبهما أو تفصّل معنى جملا ورد قبلها ،ويؤكّد "عبد القاهر الجرجاني " هنا على أنّه << ينبغي تقدير كل العناصر في بنية الجملة بطريقة أو بأخرى ،فهي تقوم بدور ما ،إمّا دلالي أو نحوي أو صوتي، وباختصار لا يوجد عنصر متطفل في بنية الجملة. وهو في مقدمة الجرجاني الموجزة لكتابة "دلائل الإعجاز" يقدّم أطروحة لنظريته لأقصى حدود العمومية والاقتصاد، حيث يلتقي هذا

[1] سورة يوسف، الآية 03.

[2] سورة الحديد، الآية 08.

التوجه الرافض للحشو والمؤيد للاقتصاد، مع المفاهيم الحديثة حول التّفسير الكامل والاقتصاد عند تشومسكي في بحوثه في أواخر الثمانينات، الجرجاني كثيرا ما يقصر النّحو على العناصر الأساسية >>[1].

والجملة التفسيرية تشتمل على نمطين من الارتباط البنيوي:أولها صريح أو لفظي كأن تتصدّرها الأداة "أي " أو يتقدمها فعل التفسير << أعني – اقصد .....وثانيهما الارتباط المعنوي أو الضمني وهو الوارد في القرآن .

–أمّا الجملة الشّرطية فإنّها لم تؤد هذه الوظيفة في القرآن إلاّ في إطار الجار والمجرور أي في حالات يكون التركيب الشّرطي فيها شاحنا لحلقة المجرور من سلسلة الكلام، ولمّا تنافر حرف الجر وأداة الشّرط تنافرا دلاليا إذا الأول ذو مضمون إقراري بينما الثاني افتراضي تعذر اتصالهما مباشرة فلزم عن ذلك أن كانت الجملة الشّرطية المسبوقة بحرف جر والمتمحضة للتعليل قائمة في بنيتها على تقديم الجواب وتأخير الشرط. ونجد في قيام الجملة الشرطية بهذه الوظيفة التنوع الثنائي من تعليل قائم على بيان السبب وتعليل قائم على بيان النتيجة فالنوع الأول يؤديه غالبا حرف اللام المتصرح للتعليل :

ونقف على النموذج لذلك في قوله تعالى :

"لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَإِنْ شَاءَ>>[2]

وأمّا النوع الثاني فتختص له حتى الغائية . من ش

**مفهوم الغاية:**

إنّ مدّ الحكم إلى غاية ب: ( إلى وحتّى ) يدلّ على نفي الحكم عمّا بعدها .وعرّفه صاحب مسلّم الثبوت :<< هو نفي الحكم فيما بعد الغاية >>[3]، من ذلك قوله تعالى: <<ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ>>[4]. يفهم منه عدم الصيام في الليل. وقوله الرّسول صلى الله عليه وسلم :<< لا زكاة في مال حتى يحول الحول>>فدلّ الحديث بمنطوقه على

[1] أبحاث في نظرية اللغة، سعود بن حميد السُبَيْعي، منشورات ضفاف بيروت ط1 ن 1436 /2015 ص49.

[2] سورة الأحزاب، الآية 23–24.

[3] الألفاظ والدلالات الوضعية ، بحث في مناهج الاستنباط ، نذير بوصبع ص 397

[4] سورة البقرة آية 187.

عدم وجوب الزكاة في المال قبل حولان الحول، والمفهوم المخالف وجوب الزّكاة بعد حولان الحول . والفرق بين الغاية والشّرط،<< أنّ حكم الغاية يتعلق بها قبل وجودها ، وحكم الشّرط يتعلق به بعد وجوده >>[1] .

ومنه ما ورد في قوله تعالى : <<حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا .....>>[2]

وكان جوابا على قول موسى عليه السلام في الآية 78–79 وذلك في قوله :<<أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا>>[3].

**الجملة الشرطية المؤدية وظيفة النعت:**

الجملة التي تقوم مقام النعت تعدّ من العناصر غير الإسنادية التي يطول بها بناء الجملة المركبة، وذلك بإطالة عنصر من عناصرهما، سواء أكان ذلك العنصر إسناديا أم غير إسنادي .

ولمّا كانت هذه الجملة المؤدية وظيفة النعت تابعة، فإن نظام اللغة يوثق علاقتها بمتبوعها ويتبدى ذلك في ضرورة التطابق بينهما من حيث الإعراب والنعت وظيفة قائمة على التخصيص وتتميز عن الحال بكونها خاصية قارة في المنعوت بينما الحال صورة عرضية لصاحبها.

والأصل في الجملة الواقعة نعتا التي تأتي لتفيد المنعوت بذكر صفته أن لا يفصل بينهما وبين منعوتها فاصل (واو أو غيرها) لأنّه لا ينفصل بين الشيئين اللذين يجعلان بمنزلة اسم واحد مضمرا أو ظاهرا لأنهما قد صارا اسما واحدا. يقول سيبويه: وهو بصدد الحديث

[1] الألفاظ والدلالات الوض، المرجع نفسه ص 398

[2] الآية [ 70.–71 ] من سورة الكهف .

[3] الآية 78–79 من سورة الكهف .

عن الذي وصلته: ومما لا يكون إلاّ رفعا، قولك: أ أخوك اللذان رأيت ؟لأن "رأيت" صلة اللذ ان وبه يتمّ اسما، فكأنك قلت : <<أأخواك صاحبان>>[1].

فالجملة (الركن الاسمي ) بتعبير ميشال زكرياء .

" اللذان رأيت " هي حسب سيبويه موقع الاسم صاحبان. واستنادا إلى تحليله هذا تتخذ محله من الإعراب فتكون في محل رفع، لأنّها في موضع خبري .[2]

ولعله يحسن بنا في النعت معالجتنا لمثل هذه الجمل التي تؤدي وظيفته قد تكون فعلية أو اسمية، وفي الحالين كلتيهما قد تجيء هذه الجملة مركبة .

على نموذج لذلك في قوله تعالى :<<اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ>>[3].

صورة الجملة الشّرطية المركبة الواقعة في محل رفع نعتًا، وصورتها التركيبية نقف عليها في قوله تعالى:<<وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا>>[4].

حيث إن الجملة الشّرطية المركبة التي نقف على مثال لها في الآية الكريمة <<وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا>> تؤّدي وظيفة النّعت ,لأنها معطوفة على الجملة المضارعية البسيطة <<الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا>>، المؤدية وظيفة خبر مبتدأ " عباد الرحمن" ، وبنيتها العميقة << غَيْرَ المُسْرِفِينْ حِينَ إِنْفَاقِهِمْ>>[5].

**صورة الجملة الشّرطية المركبة في محل نصب النعت:**

**صورتها:**

تستوقفنا عندها الآية الكريمة <<وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (34) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ>>[6] .

---

[1] الجملة الوظيفية في القرآن الكريم، صورها بنيتها العميقة، توجيهها الدلالي، رابح بومعزة، جدار للكتاب العالمي، عالم الكتاب الحديث ، اربد –عمان ، الأردن ط 1 2009/1429 ص384.

[2] المرجع نفسه ص 384.

[3] الآية 35 من سورة النور

[4] سورة الفرقان الآية 67

[5] ينظر، الجملة الوظيفية ، صورها بنيتها ص 421.

[6] سورة الحج الآية 35

إذْ إنّ الجملة الشّرطية المركبة " الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم " المؤلفة من الجملة الماضوية التي للشرط << إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ>>، والجملة الماضوية التي لجواب الشّرط "وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ" مؤدية وظيفة النّعت للمنعوت المخبتين المنصوب لوروده مفعولا به وبنيتها العميقة " الواجلة قلوبهم حين ذكر الله "[1].

قال الله تعالى :<<قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ على أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ>>[2]. أي إن أنهيت عشرا فمن فضلك وإحسانك.

ج.ش."تفسير"

وأدّت الجملة الشّرطية وظيفة التفسير في القرآن 4 مرات بتواتر نسبته 0,29 %

**صلة الموصول:**

فلّما تحظى صلة الموصول بدراسة نحوية مستقلة، إذ كثيرا ما يتفرغ النحاة إمّا إلى دراسة الاسم الموصول وإمّا إلى دراسة علاقة كلّ من الصلة والاسم الموصول بالسياق الوظائفي عامة وبذلك ذهب النحاة القدامى –وعلى رأسهم ابن هشام –إلى إدراج الصلة فيما ليس له " محلّ إعرابي " من الجمل معتبرين أن الوظيفة النحوية قد شحنها الاسم الموصول نفسه، بينما يذهب بعض المحدثين إلى اعتبار الاسم الموصول وصلته كلاّ لا يتجزأ وهو القائم بالوظيفة النحوية في السياق الذي يرد فيه .

ونحن إذا أمعنا النظر في صلة الموصول بمفردها وجدناها تركيبا لغويا قائم الذات، متكامل البنية النحوية، حاويا لشبكة الوظائف من حيث الإسناد، وظيفته النحوية تحديد الاسم الموصول الذي هو بدوره يرتبط عضويا بالسياق التركيبي .

والجدير بالملاحظة أن "الصلة" يتحتم إبرازها وظيفة قائمة الذات لا سيما إذا عطفت عليها جملة أخرى بحيث إن مفهوم العطف الوظائفي لا يستقيم إلاّ إذا برز المعطوف عليه .

---

[1] الجملة الوظيفية، المرجع السابق، ص 421.

[2] سورة القصص الآية (26_27 ) .

وجاءت الجملة الشّرطية في القرآن صلة للاسم الموصول المشترك منه والخاص :

<<وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حرفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ>>[1].
ج ش

ج .ش."صلة"

وقال أيضا: <<وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا>>[2].
ش ج

ج.ش."صلة"

وأدّت الجملة الشّرطية وظيفة الصلة 22 مرة بنسبة 1,59 %.

**جواب الشّرط:**

وهي من أطراف الوظائف التي تؤديها الجملة الشّرطية في القرآن إذ هي تسمح بتركيب شّرطي مزدوج تنطلق الجملة الأم شّرطية ثم يعلّق جوابها بشّرط ثان فيكون شّرط في صلب شّرط آخر.

وقد اتسمت الجملة الشّرطية بمرونة واسعة في أداء هذه الوظيفة تجسمت في نوعية بنية الجملة الشّرطية فقد أدتها بالأداة إنّ : <<إِن كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ[3] وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ قل إنْ افتريتهفعليّ ...>>[4].
ش2 ج2 ش1

ج.ش= ج1

كما أدتها بالأدوات: لو (21–47) –لو ما (7–6/15) –إذا (232–2 )، بل لقد أدت الجملة الشّرطية هذه الوظيفة وهي مجردة من الأداة : " طلبية" ، <<قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا>>
ش ج

ج.ش= ج1

---

[1] سورة الحج –11

[2] سورة النحل (16 – 35).

[3] الفعل في نحو ابن هشام، عصام نور الدين، دار الكتب العلمية_ بيروت الطبعة الأولى، 2007 ، ص260 .

[4] سورة هود – /[34–35]

[5] الآية 95 من سورة الكهف

كما تجدر الإشارة إلى اقتران فعل جواب الشرط بالفاء "وذلك إذا كنت فعلية فعلها جامد، أو طلبي ,أو منفي بلن، أو ما أو مقرون بقد، أو حرف تنفيس ". ومثال ذلك قوله تعالى "إِنْ تَرَنِ أَنَاأَقل مِنْك مالا وولدا ( 39) فعسى ربي أن يؤتين خيْرا مِنْ جنتك... " [1] وردت عبارة الجواب هنا فعلية وفعلها جامد"عسى" . كما تجسمت مرونة الجملة الشّرطية في ترتيب أجزائها فقد أدتها وهي على بنيتها الأصلية كما أدتها وهي على ترتيب عكسي لتؤدي معنى الموعظة : <<فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ>>[2].

وأدت الجملة الشّرطية وظيفة جواب الشّرط في 76 موضعا بنسبة 1,88 %.

**جواب الظرف:**

وهي وظيفة مطابقة من حيث التركيب والطرافة للوظيفة الانفة الذكر ولا فرق إلاّ في أنّ التركيب التلازمي المستوعب للجملة الشّرطية هو تركيب ظرفي :<<وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مردّ له>>[3]

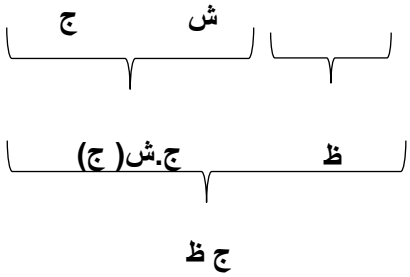


أمّا تواتر هذه الوظيفة فمرتان أي بنسبة 0,14 .%

**جواب القسم:**

للقسم صياغتان: إحداهما إنشائية، ولعلها الأصل، وعندئذ يكون القسم ضرباً من التوكيد، شأنه شأن كثير من الأدوات المكثفة للمعنى : <<والعصر إنّ الإنسان لفي خسر >> (2/1- ) .أمّا الصياغة الثانية فهي خبرية بحيث يأتي مضمون القسم جملة هي بمثابة "مقول القسم "، وفي هذه الحال ينحل أسلوب القسم إلى فعل قائم الذات ، وبهذه الكيفية ورد القسم الذي كان مضمونه جملة شّرطية في القرآن : فيقسمان بالله ( 106-5 ) . وأقسموا بالله ( 109-6) (53-24 ) (42-35).

---

[4] سورة الكهف 39

[2] سورة الأعلى -/ -9 ] .

[3] سورة الرعد الآية11

<<وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قل لا تقسموا طاعة معروفة ...>>[1].

ش ج

وقامت الجملة الشّ [illegible] ، مرات بنسبة 0,29 %.

ج.ش (جواب القسم)

**جواب النداء:**

النداء من الأساليب الإنشائية وهو يتشكل أشكالا متنوعة فقد يكون نداء لذاته، أي أن يهدف إلى مجرد المناداة وهو ما يكاد يتمحض إلى مجرّد طلب الانتباه أو أحيانا التماس القدوم والاقتراب، وقد يكون النداء صياغة لفظية تنبّه المتقبل للرسالة اللغوية كي يصغي إلى مضمونها فيكون أسلوب النداء عندئذ قائما على ثلاثة عناصر: حرف النداء أو حرف التنبيه وهو بمثابة الحافز، والمنادى، ومحتوى النداء ويكون عادة جملة قائمة الذات متكاملة العناصر بحيث تؤدي وظيفة تركيبية هي وظيفة مضمون النداء ثم إن المنادى نفسه قد يجسم في لفظ بسيط وقد ينحلّ إلى جملة تكون موصولة: قال الله تعالى : <<أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ في جَنْبِ اللهِ وَإِن كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ>>[2].

فتكون الجملة " إن كنت " جواب النداء " لمن السّاخرين " .

وقد تنوعت أشكال الجملة الشّرطية وهي تقوم بهذه الوظيفة في القرآن، فأدتها وهي مستهلّة بالأدوات : إن ( 6–49)، إمّا ( 94–93/23 )، من ( 1–60)، لو ( 135–4)، لولا (24–21)، إذا ( 9–58) كما أدتها وهي طلبية مجرّدة من الأداة : (37–35) .

وأدتها وهي على ترتيب أصلي (30–33) كما أدتها على ترتيب عكسي ( 172–2) .

وبلغ تواتر قيام الجملة الشّرطية بهذه الوظيفة 61 مرّة أي بنسبة 4,42 %.

أول ما يلفت انتباهنا عند استنطاق هذه الجداول هو أن الجملة الشّرطية ترد في القرآن الكريم في سياق الاستئناف بنسبة كبيرة تتجاوز نسبة ورودها في سياق الأبنية النحوية التي تستوعب التركيب الشّرطي في صلبها ، فقد وردت مستأنفة 862 مرة أي بنسبة 62,66 %. وهذا الاستقراء الأولي يسمح لنا باستنتاج أن الجملة الشّرطية تمتاز بالتكامل

[1] سورة النور / الآية 52 –53

[2] سورة الزمر (56 ).

البنيوي المفضي إلى التكامل الدلالي ممّا يؤهلها إلى الاستقلال النسبي في الخطاب بحيث تكون لها الطاقة الإخبارية التي تمكنها من افتتاح حلقة الكلام وغلقها في السياق نفسه .

أمّا عن نوعية الوظائف التي أدتها الجملة الشّرطية في القرآن فإنّ أول ما يمدنا به هذا الاستقراء العام هو اتصاف التركيب الشّرطي بمرونة نوعية إذ أدى إجمالا 15 وظيفة على الرغم من الفوارق في التواترات، والجدير بالذكر أننا قد تعمدنا اهمال العطف كوظيفة مستقلة كما يقرها النحو العربي المتعارف، واقتصرنا على إدراج كلّ ما هو معطوف في نوعية الوظيفة التي عطف عليها، إلاّ أن تقييمنا لمرونة الجملة الشّرطية في أداء الوظائف النحوية يبقى نسبيا، ريثما تمدّنا البحوث بكشف عام عن أصناف الوظائف التي يقوم عليها نحو العربية عامّة، إلاّ أننا نستطيع تحسس بعض ظواهر المرونة في صلب مجموعة الوظائف التي استقيناها بالفعل، وأوّل ما يمدنا به هذا الكشف أن هذه الوظائف تنقسم نوعين من الانقسام: أما الانقسام الأول فحسب أهمية الوظيفة في خلايا تركيب الجملة الأساسية كالمبتدأ والخبر، كما قامت بوظيفة بعض العناصر المتممة كالنعت والحال وغيرهما .

وأما الانقسام الثاني فيتمثل في نوعية الوظائف ومدى اقترانها بالمفرد، وفي هذا المجال نرى أن الجملة الشّرطية قد أدت وظائف تؤديها المفردات عادة ولكن تنحل حلقاتها الوظائفية إلى جمل لمقتضيات لغوية متنوعة كوظيفة الخبر والمفعول به والتعليل .....إذ ترد تلك الوظائف متجسمة في مفرد كما ترد متشكلة في جمل، ولكن الجمة الشّرطية إلى جانب ذلك قد قامت بوظائف لا تقوم بها إلاّ الجمل إطلاقا كوظيفة صلة الموصول وجواب الشّرط وجواب الظرف وجواب القسم وجواب النداء، ويمكن أن نلحق بهذه السلسلة وظيفة المفعولية .

ثم إن الكشف الذي أفضى إليه بحثنا في مجال الوظائف يمكن أن يكون نقطة انطلاق لاستنتاجات بالخلف أي لاستنتاجات بالسلب إن صح التعبير، معنى ذلك أنّه لو كان لدينا كشف عام للوظائف النحوية العربية لأمكننا –بالمقارنة العكسية – أن نستخرج الوظائف التي لم تؤدها الجملة الشّرطية في القرآن وريثما تسدّد الدراسات اللسانية المعاصرة هذه الثغرات فإننا نتلمّس بعض الاستنتاجات في هذا المضمار عن طريق

الحدس لا غير فهناك وظائف لم تؤدها الجملة الشّرطية –لا قصورا منها أو قلة ثراء في النص القرآني، ولكن لأنّها وظائف لا تؤدها الجملة إطلاقا إمّا لمناقضتها لمفهوم الجملة – كوظيفة المسند أي وظيفة الفعل ذاته في الجملة الفعلية وإمّا لارتباطها بمتصور ذهني لا يكون مركبا كالتمييز والمفعول معه وربما أيضا المنادى والقسم رغم طاقة الجملة الموصولة في تعويضها.

ولكن هناك وظائف لم نر الجملة الشّرطية أدتها في القرآن حيث نرى الجملة عادة تؤديها، من ذلك وظيفة الفاعل ونائب الفاعل وكذلك وظيفة المفعول المطلق .

هذه بعض أبعاد المرونة التي تتصف بها الجملة الشّرطية في قيامها بجملة من الوظائف النحوية. والناظر في هذه الوظائف يجد أنّها لا تنصهر انصهارا تاما في صلب التراكيب الواسعة، معنى ذلك أنّ الجملة التي تؤديها لا ترتبط بسياقها العام ارتباطا عضويا مماثلا لارتباط الجملة القائمة بوظيفة الخبر والحال مثلا، فالجملة الواردة مستأنفة أو مقولا للقول أو جوابا للنداء إذا عزلناها عن السياق الواردة فيه ظلت بنيتها على الأقل سليمة التركيب على هذا الأساس يمكن أن نقول إن الجملة الشّرطية تجنح إلى الاستقلال أي إلى الانفراد بحلقة تامة من حلقات سلسلة الخطاب. وربما لذلك اطرد في الدراسات النحوية الحديثة اعتبار الشّرط وظيفة من جملة الوظائف، وربما لذلك أيضا نزع بعض القدماء إلى اعتباره نوعا ثالثا إلى جانب الاسمية والفعلية، على أنّ القدماء فككوا التركيب الشّرطي واعتبروا جواب الشّرط وحده وظيفة قد تبين لنا الآن أن الشّرط في مفهومه لا يمكن أن يكون وظيفة ولا حتى جواب الشّرط منه، ففي أي نوع من أنواع المصطلحات يندرج لفظ "الشّرط " ؟ أو إن شئنا أن نطرح القضية بشكل آخر قلنا: ما هو مدلول مصطلح الشّرط في الدراسة النحوية ؟ .

قد سبق أن تبسطنا في مفهوم الشّرط لغة واصطلاحا ولكن الذي يهمنا الآن هو ضبط هوية المصطلح. وفي هذا المضمار تحس الاستعانة بالمنهج العام الذي سار عليه العرب في ضبط المصطلحات النحوية عموما ولا سيما المصطلحات الخاصة بالجمل فقد قامت هذه المصطلحات على ثنائية: مصطلحات وظائفية ومصطلحات شكلية، فأمّا الوظائفية فهي تلك التي استوحى النحاة تسميتها من وظيفتها النحوية كالفاعل والمفعول

والنعت والحال، وأمّا التشكلية فهي تلك التي تسمّت بمنزلتها في الكلام أو بخصائص بنيتها وطرافة تركيبها كالمضاف إليها والواقعة مستثناة .

والشّرط في رأينا يدخل في التصنيف الثاني شأنه بقية التراكيب التلازمية.

–لذلك فإن تحديد هوية الشّرط لا تتم إلاّ في ضوء نظرة لغوية شاملة تعيد مقاييس التصنيف النوعي الذي ترضخ له الجملة العربية، وفي انتظار هذا العمل الشمولي نبادر باستخلاص أن الشّرط مصطلح دال على نوع من التراكيب ذات الطرافة المبدئية قد يتعذر إدراجه ضمن التصنيف النوعي الجاهز لدينا في النحو المتعارف إلاّ إذا قضينا على خصائصه الأسلوبية العامة .

**طبيعة تراكيب الجملة الوظيفية:**

إنّ أهم الخصائص البنيوية والسّمات التي تلوح للقارئ في تعامله المتكرر مع الخطاب القرآني، هو شُيُوع الاتّكاء إلى سند الجملة الفعلية: أصلية وفرعية وهي ظاهرة كثيرا ما يتعمدها أساطين الشّعر الجديد بمختلف توجهاته وهو ما يبينه الجدول الآتي:

| السور القرآنية | عدد ورود الجملة الفعلية | |
|---|---|---|
| | الأصلية | الفرعية |
| سورة يونس | 40 | 08 |
| سورة هود | 31 | 05 |
| سورة يوسف | 18 | 03 |
| سورة الرعد | 07 | 02 |
| سورة إبراهيم | 08 | 02 |
| سورة الحجر | 05 | 01 |
| سورة النحل | 19 | 05 |
| سورة الإسراء | 10 | 13 |
| سورة الكهف | 35 | 03 |
| سورة مريم | 05 | 04 |
| سورة طه | 05 | 04 |

| | | |
|---|---|---|
| سورة الأنبياء | 09 | 06 |
| سورة الحج | 16 | 08 |
| سورة النور | 15 | 09 |
| سورة محمد | 15 | 01 |
| سورة المدثّر | 03 | 01 |
| سورة الفلق | 02 | / |

ويتبين من خلال الجدول أنّ تواتر الجملة الفعلية الفرعية يشكل نسبة أقل [1 إلى 10 ] من مجموع تواتر نظيراتها الجمل الأصلية، وهذا ما نلمسه في الهوة الفارقة بين منحنييها في الخطاطة الآتية.[1]

**دلالة الأفعال:**

يبدو الدقة في صناعة التراكيب والعبقرية من طرف المبدع، والإبداع في هذه التراكيب الشرطية نابع في استخدام صيغ الأفعال جليّة للدلالة على معان مخصوصة في أزمنة معلومة محددة مرادة، ولعل أبرز ما يلوح للقارئ (الدّارس) في هذا المقام هو ايحاء الأفعال بمعاني التحوّل والتجدّد والاستمرار والوصف للأحوال لكلّ من يؤمن أو يشرك بالله تعالى ويتجلى هذا التعبير الزمني بالأفعال من خلال الآيات القرآنية التي حملت تساؤلات عن أحكام تشريعية: كالقتال في الأشهر الحرم، والخمر والميسر –كيفية رعاية الأيتام، والتمتع بالطيّبات .....إلخ .

[1] نظرا لوحدة هذه الظاهرة الأسلوبية للشرط في القرآن المبين، اجتبينا ما درس منها، وذكرنا البعض الآخر على الهامش للإحالة على بعض السور التي وردت فيها تراكيب شرطية تشتمل على الجمل الأصلية والفرعية بنسب متفاوتة ومتمايزة منها: سورة الفرقان –الشعراء – النّمل– القصص– العنكبوت – الروم – لقمان –السّجدة – الأحزاب – سبأ– فاطر – يس– الصّافات – ص– الزّمر– غافر – فصلت – الشورى – الزخرف – الدخان – الجاثية –الأحقان – الفتح– الحجرات – الذاريات – الطور– النّجم– القمر – الرحمان – الواقعة– الحديد – المجادلة– الحشر– الممتحنة– الصف– الجمعة– المنافقون – التّغابر– الطلاق– التحريم– الملك –القلم– الحاقة– المعارج– نوح– الجن– المزمّل– القيامة– الإنسان– المرسلات– نبأ– النازعات– عبس– التكوير– الانفطار– المطففين– الإنشقاق– البروج– الأعلى– الفجر– الشمس– الليل – الضحى– العلق– الزلزلة– العاديات .

وقد جاءت الإجابة في غاية الإقناع كما هو الحال في الآيات. كاستعمال أفعال في جواب الشرط، وكثيرا ما نجد هذه الأفعال لا تجرى على ضرب واحد. إذ يحصل تصرّف في التحول الداخلي للسياق نفسه بالمخالفة في أزمنة الأفعال، كأن يرد في السياق ذكر الفعل المضارع ثم ينكسر النسق السياقي بمجيء الفعل الماضي في السياق نفسه أو العكس، مما يثير التساؤل عن معرفة سبب التحول فقد استخدم الفعل الماضي في التحول تركيزا منه على المسخ الفعلي الذي له في تاريخ البشرية نظير لقوله <<فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ>>[1] كما تعكس أزمات الخوف والقلق الذين ولدا في الأنبياء يأسا متجذرا في أعماق الأنا الفردية ، وتذمرا من إنكار المشركين .

أما المضارع فقد وجد حاضرا بقوة في جانب التّعبير عن مختلف المواضيع والقضايا الدينية وكذلك مجيء المضارع بعد الماضي في هذا النمط من التحول يكون على نوعين :

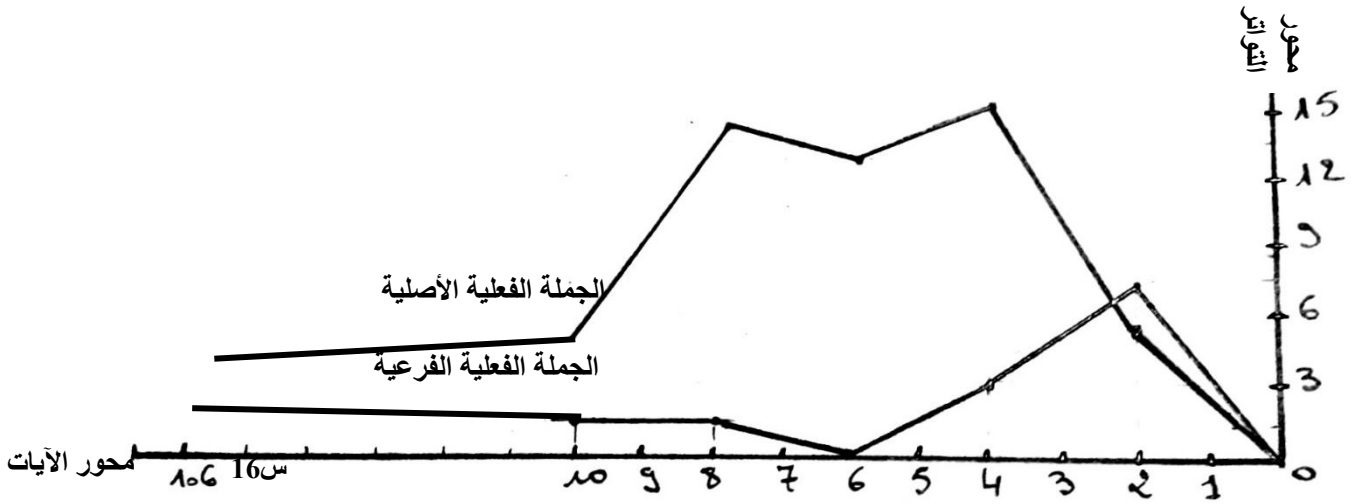


نوع يستعمل فيه المضارعة للدلالة على حدث قد مضى وانقضى، ونوع آخر للدلالة على حدث يقع في الحال والاستقبال والتعبير بالأفعال في مختلف الأزمنة يفرض عليه

[1] سورة الأعراف الآية 166 .

دلالة سياقية ودلالته التعبيرية ، وهذا التحوّل يكشف عن تصادم الأزمنة على مستوى البنية السطحية وهذا يستدعي تحولا في المعنى .

هذا وأشير إلى أنني أدرجت في مدار الجملة الفعلية جملا من صنف:

2- الجمل الاسمية المنسوخة ، لكونها ذات أساس فعلي أيضا، وهو الناسخ الذي قد اكتسبت به البنية الحاوية معنى الحدوث والتحول في إطار .

3- الجمل الفعلية المشكلة لطرفي العلاقة التضامنية أو الاقتضائية (أسلوب الشّرط) .

إنّ ظاهرة ارتفاع تواتر الجملة الفعلية بنوعيها، تقتضي الوقوف عندها والتّنقيب فيها للكشف عن أسبابها، والعلل التي يرتّد إليها وجودها، وهي فيما أحسب تعود إلى ذلك التدفق الهائل من الحركة، الذي يعمّ عالم الخلق الأدبي في آفاق الخطاب القرآني، إنّها حركة إبداعية متوالدة الدلالات المنبعثة، ومتدافعة، متشابكة خيوطها، مختلفة المناحي والوجهة. حركة يفرضها الفعل التاريخي الخالد، فهي بسبب من ذلك تتمطى طاغية عن جمود الأشياء، حاملة معنى الصفات داخلها وسكون الأرض وماشابهها، لتتجاوز أشباه الأحياء إلى الجمادات، التي تتفاعل من جهتها مع نغمة الوحي.

**جدول تواترات الأدوات :**

| الأداة | التواتر |
|---|---|
| إن | 296 |
| من | 149 |
| لو | 98 |
| إذا | 72 |
| لولا | 60 |
| الطلب | 63 |
| ما | 14 |
| إما | 11 |

| | |
|---|---|
| أينما | 05 |
| أنى | 02 |
| أياما | 02 |
| كلما | 02 |
| المجموع | |

أول ما يكشفه لنا هذا الجدول أن الجملة الشّرطية تنزع إلى القيام بجل الوظائف إذا سبقت ببعض الأدوات المعينة وهي حسب غلبة هذا النزوع:

إنْ = 12 وظيفة.

إذا = 10 وظائف.

من = 8 وظائف.

لو =8 وظائف.

أما نسبة توزيع الوظائف على الأدوات فتتمثل في :

حدّ أقصى = 12 وظيفة ب "إنْ".

وحدّ أدنى = وظيفة واحدة ب "مهما" .

فإذا نظرنا في نسبة تواتر الوظائف موزعة على الأدوات لاحظنا أن الأدوات الأربع سالفة الذكرإنْ–إذا–لو–من) قد استوعبت معا كل الوظائف التي هي 15. والجدير بالتذكير أن هذه الأدوات الأربع تستقطب 1168 جملة شرطية من بين 1379 أي ما يقابل نسبة 88,32%.

أمّا بقية الأدوات الواردة في النص القرآني وعددها 11 بما في ذلك الطلب فلم تستوعب جميعا إلاّ وظائف من بين 15 على أنّ جل ما تتردّد به هذه الأدوات من وظائف إنما يكاد ينحصر في الاستئناف ومقول القول. فإذا أردنا أن نبين تقاطع تواترات الأدوات مع تواترات الوظائف وجدنا حقل التقاطع تمثلها لأدوات: إن –من –لو.

خلص البحث إلى أنّ الجملة الشّرطية تشكل جملة وظيفية مركبة تنهض بوظائف نحوية متنوعة كل كلمة في الجملة ترتبط بالبؤرة فيها، والتي هي فعل الشّرط مع مرفوعة والمبتدأ مع الخبر بسبب علاقة معينة وبهذا بدأ يتحقق النظم في التراكيب الإسنادية الشّرطية. إنّ التراكيب الشّرطية المحولة تتوارى خلفها لطائف وأغراض بلاغية تخرج عن غرض الإخبار الأصلي وتستعمل في التواصل الراقي.

إنّ الجملة الوظيفية الشّرطية تكون دائما جزءا من الجملة أو الوحدة الإسنادية المركبة سواء كانت هذه الجملة المركبة فعلية أو اسمية.

وجملة القول أنّ تنوّع أساليب الكلام والوظائف النحوية من الميزات الهامة للغة القرآن الكريم التي عرفت عناية فائقة بنحوها العربي، فهو دليل على غناها واتّساعها وقدرتها على استيعاب الحالات النّفسية، بالإضافة إلى الجوانب الفكرية والحسية التي ترسخ بها الطابع الإعجازي .

كما أنّ تنوع الجملة الشّرطية باعتبارها نموذج متفرد الخصائص من نماذج الجملة العربية، سواء من حيث طبيعة الأسناد أو الأطراف المشاركة فيه، قد جعلها تشكل جملة وظيفية مركبة تنهض بوظائف نحوية متعدّدة كلّ كلمة في الجملة والتي هي الشّرط وجوابه والمبتدأ مع الخبر بسبب علاقة معيّنة الإسنادية الشّرطية، كما أنّ التّراكيب المحولة تتوارى خلفها لطائف وأغراض بلاغية تخرج عن غرض الإخبار الأصلي وتستعمل في التواصل الرّاقي .

إنّ الجملة الوظيفية الشّرطية تكون دائما جزءاً من الجملة أو الوحدة الإسنادية المركبة سواء أكانت هذه الجملة المركبة فعلية أو اسمية.

وبناء على كل ما سبق من معطيات نستخلص أن التحليل الوظائفي للجمل يمكنه أن ينتهج السبيل التالية:

1-تعيين منزلة الجملة من النص وهي إحدى اثنتين، وإمّا متكاملة في ذاتها وتمثل حلقة من حلقات الخطاب فهي إذن استئنافية وإمّا هي مندرجة عضويا في بعض أ جزاء النص: معنى ذلك أنّ الجملة إمّا أن تكون استئنافية وإمّا أن ترد "حشوّا " في صلب الخطاب.

2-تعيين بنيتها التركيبية وهي إمّا بسيطة وإمّا مركبة وفي المركبة ماهي مركبة تركيبا داخليا "احتضانيا" تستوعب فيه جملة أم جملة أو جملا أخرى، وماهي إلاّ مركبة تركيبا خارجيا تلازميا يقوم على تعاضد جملتين على الأقل.

3-تعيين نوعها حسب سّلم من التصنيف ما زال النحو العربي مفتقرا إلى ضبطه، ذلك أنّ التصنيف الثنائي إلى فعلية واسمية لا يفي بمقتضيات الواقع اللغوي.

4-تعيين وظيفتها النحوية: وفي هذا المضمار يبقى الاستئناف مجرد وظيفة نصانية وفيما عدا الجمل المستأنفة نبحث دائما عن الوظيفة النحوية في المعنى القصوى.

5-تعيين خصائصها الأسلوبية وفي هذه المرحلة تضبط مميزات التركيب التي لا يمكن أن تستغل نحويا في مستوى الجملة، إلاّ أن تحلل عناصرها التركيبية فيتناول كل عنصر على حدة وإذا ائتلفت تجاوزت مدار النحو إلى مدار الأسلوب ، ذلك إن معاني الجمل الأسلوبية هي نتيجة البنية التركيبية التي ترد عليها، وهكذا يكون الاثبات والتعجب والاستفهام والشّرط وغيرها معاني أو أساليب تولدها بنى خاصة لا يتسع مدار النحو لاستقطابها ، كما أن هذه المرحلة الخاصة هي الدخل في الاعتبارات البلاغية منها في مشاغل النحاة وإنما تحدثنا عنها هنا لنقدم منهجا شاملا في التحليل ولأن دراسة الشّرط لم تتضح لنا إلاّ بالنظر إلى وظيفة الأسلوب في الكلام وإذا أردنا التدقيق قلنا أن دارس النحو يمكنه الاكتفاء بالمراحل الأربع الأولى في تحليل الجمل .

**خاتمة:**

لقد حاولنا في هذه الدراسة أن نقدّم قراءة تحليلية لمجموعة نماذج متعدّدة من أسلوب الشرط في القرآن الكريم، ومُحَاولة تطبيق المنهج التَّداولي بُغْيَةَ مَعْرِفَة مَدَى تمثل هذا المنهج وفق الدّراسات البنيوية والوظيفية ومَدَى الْتِزَامِهَا بحدودِه وخروجِهَا عَنْه، ومَدَى نجاعة الإجراءات المعتمدة في إضاءة النص القُرْآني أولاً وإحاطتها بإحْدَى مستوياته ثانيا. ولا يجب أن نَقْتَصِرَ على حُدُودِ البلاغة والدّراسة اللغوية أو نُقَلِّدْ الطّريقة الغرْبية متجاهلين خصوصية النّص العربي بُنْيَة ودلالة، والتعامل معه مجرّد شواهد ولا متجاوزين كذلك سياق تلك الأمثلة وعلاقتها ببقية أجزاء النص، وإنْ كنّا نُقِرُّ بأنّ النّص كلّ متكامل على المستوى النظري، ولقد توصلنا إلى مجموعة من النّتائج من أهمّها ما يأتي:

1-لقد تعدّدت مفاهيم "الشّرط"، ولكن الاختلاف بين آراء النّحاة ليس كبيرا، إذ تتّفق كلّها على كلمة "الشّرط".

2 أسلوب الشرط تركيب لغوي مزدوج استخدمه النحاة قديما وحديثا، و كان نوعين هما: كلام والجملة.

3-إنّ الأنماط الكلامية المولدة المتناثرة في كتب النحويين والأصوليين هي بنيات سطحية تعكس عمق التفكير النّحوي والدّلالي عندهم.

4-إنّ دراسة جملة الشرط في الخطاب القرآني تمنح البحث ثراء وتنوعا بفضل حضورها وتنوعاتها التركيبية، ممّا يعطيها دلالات وأبعاد مختلفة، ويجعلها مظهرا أسلوبيا يساهم في بناء الصورة. 5 لقد استعمل المبدع أدوات أصلية حيث إنّ غالبية الأدوات المستعملة هي إن، إذا، من، لو، ويطرد تواترها من أما بقية الأدوات الأخرى وهي ـــما _لولا _أما _,لمّا _أيّانا _ أنّى ،ويقل استعمالها وقد تجيء بعض الأدوات بمعنى إن الشرطية.

6- لأسلوب الشرط دلالة سياقية اتضحت معالمها من خلال تناول المظهر التركيبي للبنية الشرطية كما توجد دلالات سياقية لا تظهر إلا بالرجوع إلى التداولية .

7- تعتمد عبارتي الشّرط والجواب على روابط لفظية منها اللام والفاء, كما يوجد رابط آخر يسوغ أن يستعمل في وظيفة الربط والتعليق يتمثل في "إذا "، التي يمكن أن تكون بمعنى المفاجأة أيضا . 8- وغالبا ما يستعمل المتكلم روابط لفظية أخرى من مثل اللام في أدوات "لو" ، "لولا"

9- عمد المتكلم إلى استعمال الصيّغ الإنشائية من نداء وأمر واستفهام وقسم مع أسلوب الشرط في هذا الخطاب، فأكسبه بذلك عذوبة وحيوية مع تنوع المعاني.

10 -إنّ الأداة "إنْ" التي يسميها الخليل "أم الجزاء" لملازمتها الشرط في أصل الوضع تولد ما يقارب نصف التراكيب الشرطية المتلازمة، فاستخدامها في الخطاب القرأني يبين أن معناها يخرج عن معنى الشرط المحض كثيرا، لأنها في الأصل تكون للمشكوك وفي حالات أخرى تخرج لغرض آخر كالمقطوع بثبوته بالإضافة إلى ذلك توجد أدوات الشرط أخرى مثل "إذا "، "من"، وردت كثيرا في هذا الخطاب ، وهي بذلك تولد ما يقارب نصفه.

11- وقد تحذف الأداة ويبقى أثرها واضحا في التركيب، كأنّها حاضرة بكامل أبعادها، وظهر لنا ذلك من خلال أسلوب الطّلب. كما ترد "إن" داخل التركيب في صور مختلفة وهي بذلك تشكل أنماط تعبيرية متنوعة من الصيغ والأشكال.

ويكون ذلك بحسب مقتضى المقام وفي بعض الحالات تخرج معاني الأدوات عن معناها الأصلي لتؤدي دلالات وأغراض أخرى تفهم من السياق اللغوي من مثل الأداة الظّرفية الشّرطية "إذا" التي تخرج عن معناها الشرطي إلى الظرفية الزمانية.

كما تخرج إلى معنى الحالية في سياق الآيات الكريمة خاصة بعد واو القسم.

12_ورود الجملة الشرطية بإنْ_من _إذا_لو، مختلفة النّوع في طرفيها. فأمّا عبارة الشرط فتنوّع إلى ما هو قائم على فعل ماض ,مضارع أو اسمية منسوخة ،وأمّا عبارة الجواب فتنوّع إلى اسمية عادية واسمية منسوخة أو فعلية ماضية ومضارعية.

13 لقد تبين لنا أنّ الوظيفة الدلالية للجملة الشرطية عموما هي القدرة على توفير علاقة اقتضاء شكلي بين السّبب والنتيجة يمثلها الجواب، مستوى ثان. وقد تؤدّي الجملة الشّرطية بعض الوظائف النّحوية، كأن تؤدّي الكلمة وظيفة المسند أو المسند إليه، أو وظيفة جواب الشرط أو القسم أو النداء أو وظيفة المفعول به...إلخ.

14- الاستقامة في الصياغة: باعتبار أنّ التّركيب المستساغ والمقبول ما وافق أصول القواعد العربية واستعمالاتها، وهذا ما أشار إليه "سيبويه" في باب الاستقامة من الكلام.

15- ويمكن أن يكون الشرط جملة وكلاما إذا كان تاما من حيث الإفادة ، وترتبط بالبعد الإبلاغي والتواصلي الذي يؤديه التركيب.

ويترتب على ذلك أنّ الشّرط يمكن أن يكون جملة وكلاما إذا كان تامّا من حيث الفائدة.

16- يكون التركيب الشرطي عرضة لعدّة تحولات لغوية تنتج بدورها عدة دلالات مختلفة. كما اتّسم هذا التركيب بالترتيب المنطقي بين عبارتي الشرط والجواب، وتميز بعض الجمل الأخرى بمخالفته لقواعد النحو العربي، مثل تقديم الجواب وتأخير الشرط.

17- أنّ هذه الأدوات لا تدلّ على معنى في ذاتها ,وإنما تستعمل للربط والتعليق في الكلام الذي يعد الوظيفة الهامة والعامة التي تقوم بها ولهذا تسمى بالكلمات التركيبية لوظيفتها في التركيب اللغوي.

18- كان لأسلوب الشّرط أثر كبير في تكوين بنية الحجاج في الخطاب القرآني ,وذلك باعتماد الاحتجاج عن طريق الأمثلة في النصوص القصصية .كما يرى البعض أن تأثير استخدام الشرط على الخطاب يعود إلى الكيفية التي يستعمل بها كذلك الكم والملاءمة.

19- توجد علاقة وطيدة بين أسلوب الشرط واللسانيات التداولية. واتضح ذلك من خلال التعريفات التي تشير إلى العلامات.

ذلك ما استطعنا الوصول إليه وهو قليل من كثير، مازال يحتاج إلى أعمال أخرى تدعمه وتدرس نظام هذه الجملة الفدّة في هذا الخطاب أو غيره من النصوص العربية، للوصول إلى تحديد خصائص هذه البنية اللغوية في كل أطوارها، وإذا تمّ ذلك، أدركنا سّر تطورها المستمر. وفي ختام هذا البحث، نرجو أن تكون قراءتنا لهذا المنهج العلمي ومحاولة تطبيقه قد أسهمت فعلا في بلورة وتوضيح بعض الرؤى المتعلقة بالشّرط.

## فهرس المصادر والمراجع

-القرآن الكريم (برواية ورش عن نافع) .
1. أبحاث لغوية في اللسانيات النص القرآني بين التنظير والتطبيق أشواق محمد، إسماعيل النجار عالم الكتب الحديث إربد الأردن ط1 2013 .
2. ابن مضاء وموقفه من أصول النحو العربي ، بكري عبد الكريم ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، سنة 1402 هـ / 1982 م .
3. الإبهاج في شرح المنهاج للقاضي البيضاوي، تأ : عبد الكافي السّبكي، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان، ج : 1-2-3 ، (د،ط) ، سنة 1416 هـ /1995م.
4. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين الشيوطي الشافعي، دار الفكر للطباعة ( د.ط. ت)، ج 2/1 .
5. أثر التخريجات الدلالية في فقه الخطاب القرآني، عرابي أحمد، ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر سنة 2010 .
6. أثر المعنى النحوي في تفسير القرآن الكريم بالرأي، بشيرة علي فرج العُشيْبي، منشورات جامعة قاز يونس بنغازي ،ط1، 1999 .
7. الأساليب الإنشائية في النحو العربي عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي مصر ط ح سنة 1979/1399 .
8. استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت -لبنان ، ط1، 2004 م .
9. أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ت. محمد الغالي، المكتبة العربية، صيدا بيروت، ط ح ، 1420هـ /1999 .
10. الأشباه والنظائر، ابن عبد الكافي الشبكي، تح، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت (لبنان) ط1 ، 1422هـ /2001 م .
11. الأشباه والنظائر في النحو، عبد الرحمان بن أبي بكر السبوطي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

12.الأشباه والنظائر للسيوطي، وضع خوامشه عزيز الشيخ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط2 ، 2007/1428 م .
13.الأصول في النحو لابن السراج، تح : عبد الحين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط 1، ج 2 1405هـ /1985 م
14.الأصول في النحو لابن السراج، تح : محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدّينية، القاهرة ج2، ط 1 سنة 2009/1430 .
15.الإعراب والمعنى في القرآن الكريم، محمد أحمد خضير، مكتبة الأنجلو المرية القاهرة (د .ط .ت ) .
16.آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة دار المعرفة الجامعية مصر، سنة 2002 (د،ط) .
17.الألسنية العربية، ريمون طحان، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، ( أ د ط ت).
18.الألفاظ والدلالات الوضعية، نذير بوصبع، دار الوعي (الجزائر) د ط سنة 2008م.
19.أنظمة الربط في العربية (دراسة التراكيب السّطحية، بين النحاة والنظرية التوليدية التحويلية، حسام البهنساوي، مكتبة زهراء الشرق القاهرة، ط1، 1423هـ/ 2003م.
20.الإيضاح العضدي لابن علي الفارسي، حققه حسن شادلي فرهور، دار التأليف مصر ج 1، ط1 سنة 1969/1389 .
21.الإيضاح في علوم البلاغة، المعنى والبيان والبديع، الخطيب القزويني، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان 1424 هـ /2003م.
22.البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، د–محمد العمري، أفريقيا الشرق، المغرب _ بيروت لبنان، 1999.
23.البلاغة والخطاب، محمد مشبال منشورات ضفاف بيروت دار الأمان الرباط، منشورات الاختلاف الجزائر ط1 1435.2014.
24.البنية التركيبية للحدث اللساني عبد الحليم بن عيسى ، منشورات دار الأديب .

25. بنية النص القرآني _دراسات موازنة بين البنى العقائدية واللغوية والفنية لابتسام السيد عبد الكريم علي المدني ،منشورات دار النهضة العربية بيروت لبنان، بيت الحكمة العراق بغداد الطبعة الأولى ،)1431.2010
26. البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ..محمد علي بيضون دار الكتاب العلمية. لبنان .ج1،_ط1 2002_1424هـ.
27. البيان والتبيين، لأبي عثمان بن بحر الجاحظ تحقيق ،عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة .
28. التأويلية من الرواية إلى الدراية المبادئ لتأصيل البحث التأويلي العربي مختار لزعر، ديوان المطبوعات الجامعية وهران 2007
29. تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحداثية، محمد عزام، منشورات اتحاد الكتاب العرب (دمشق) 2003 ، ( د ، ط ) .
30. تحليل الخطاب في نظرية النحو الوظيفي نعيمة الزهري ، منشورات صفات الاختلاف ، دار الأمان ، الرباط 1435 هـ / 2014 م .
31. التحليل النحوي في الدرس اللغوي القديم و الحديث خالد بن سليمان بن مهنا الكندي دار المسيرة عمان،ط1 2007/1427 ، ط2 2009/1430 .
32. التّحويل في النحو العربي ، رابح بومعزة ، عالم الكتب الحديث ، أربد (الأردن) جدار الكتاب العالمي ، عمان (الأردن ) ط1 ، 1429 هـ / 2008 م .
33. التداولية عند العلماء العرب – دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللسان العربي، مسعود صحراوي، دار التنوير، حسين داي (الجزائر) ط1 2008/1429 .
34. الترابط النص بين الشعر والنشر، زاهر بن مرهون، الداودي، دار جرير ، عمان ط1 سنة 2010/1431 .
35. الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب،خليل بن ياسر البطاشي، دار جرير ، عمان (الأردن) ط 1سنة 2009/1430 .
36. التراكيب الإسنادية الجمل : الظرفية ، الوصفية ، الشّرطية ، على أبو المكارم ، مؤسسة المختار ، القاهرة (مصر) ط1 ، 1428 هـ /2007 م .

37.التراكيب اللغوية، هادي نهر، دار اليازوردي العلمية، عمان (الأردن) ط1 2004 م.
38.تفسير القرطبي لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، تح ، سالم مصطفى البدري المجلد 10-19، محمد علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت لبنان
39.التّقديم والتأخير ومباحث التراكيب بين البلاغة والأسلوبية، مختار عطية، دار الوفاء الإسكندرية( د. ط. ت ) .
40.التّناص دراسة في المنهج و التأويل و رهانات الترجمة ،عيساني بلقاسم ، منشورات ضفاف لبنان ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، دار الأمان الرباط ط1437،1هـ /2016.
41.تيسير الوصول إلى فقه الأصول ، الشيخ أحمد الشريف الأطرش السنوسي ،دار الغرب ، ج1 ، سنة 2000 ، (د. ط ).
42.جدلية الحركة والسكون نحو مقاربه أسلوبية دلائلية في الخطاب الشعري عند نزار قباني " الغاضبون نموذجا ، نواري سعودي أبوزيد بيت الحكمة العامة الجزائر .
43.جدلية الفعل القرائي عند علماء التراث لدراسة طلالية حول النص القرآني ، ديوان المطبوعات الجامعية (الجزائر) سنة 2010 م.
44.جملة الشّرط عند النحاة والأصوليين العرب في ضوء نظرية النحو العالمي لتشومسكي مازن الوعر ، مكتبة لبنان ، ناشرون الشركة المصرية العالمية للنشر لو نجمان .
45.الجملة العربية ، دراسة لغوية نحوية، لمحمد إبراهيم عبادة ، منشاة الناشر المعارف الإسكندرية ( د. ط. ت) .
46.الجملة الفعلية ، علي أبو المكارم ، مؤسسة المختار ، القاهرة ( مصر) ط1 ، سنة 1428 هـ /2007 م.
47.الجملة الوظيفية في القرآن الكريم –صُورها بنيتها العميقة –توجيهها الدّلالي ، رابح بومعزة جدار للكتاب العالمي –عمان –الأردن- عالم الكتب الحديث –إربد – الأردن ط1 ، 1429هـ /2009م .

48.الحداثة في الشعر العربي (أدونيس نموذجا)، سعيد بن زرقة ، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، سنة 2004 م .
49.الخصائص لابن جني ت عبد الحميد الهنداوي منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت لبنان ج2 .
50.الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه ، هاجر مدقن ، دار الأمان ، منشورات ، الاختلاف –الجزائر 1434 / 2013 .
51.الخطاب القرآني ،مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي ،لسليمان عشراتي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،1998.
52.الخطيئة والتفكير من البنيوية إلى التشريحية، نظرية وتطبيق، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء (المغرب) بيروت، لبنان، ط6 سنة 2006 م.
53.دراسات في اللسانيات العربية –بنية الجملة العربية –التّراكيب النحوية والتداولية عبد الحميد السّيد ، دار الحامد للنشر والتوزيع الأردن –عمان .
54.دراسات في ظواهر نحوية عبد الرحمان فرهود حساس أسعد خلف العوادي تقديم فاخر الياسري دار الحامد عمان ط1 1431 .
55.دراسات لسانية تطبيقية ، مازن الوعر ، دار طلاس دمشق،ط1989،1.
56.الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية ، د/ صفية مطهري ، من منشورات إتحاد الكتاب للمصرية (القاهرة) سنة 2005 م .
57.ديوان الجزائر شعر الثورة سليمان العيسى _ أطفالنا للنشر والتوزيع الجزائر سنة 1993.
58.ريشة الشاعر، "رابح ملوك" بحث في بنية الصورة الشعرية وأنماطها عند الماغوط دار ميم الجزائر للنشر، ط1، 2008.
59.السّيمات التّفريعية للفعل في البنية التركيبية_ مقاربة لسانية_لأحمد حساني ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر.
60.الشّاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه ،خديجة الحديثي، مطبوعات الجامعية الكويت سنة 1974/1394م.

61.شرح الأشموني على ألفية بن مالك ، قدم له حسن حمد ، إشراف إميل بديع يعقوب دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج3 ، ( د. ط. ت).
62.شرح التسهيل لابن مالك ، تح :عبد الرحمان الشيد ، محمد بدوي المختون ، هجر للطباعة والنشر ، ط1 سنة 1990/1410 م.
63.شرح الرّضي على كافية ابن الحسن الاستراباذي ، تع ، عبد العالي سالم مكرم ، عالم الكتب ، القاهرة، ط1 ، سنة 1421هـ /2000 م .
64.شرح ألفية بن معطي ، تح: علي موسى الشومل ، دار البصائر ، الجزائر ، ط1، 2007 م .
65.شرح المفصل للزمخشري لابن يعيش ( موفق الدين بن يعيش ) ، قدّم له : إميل بديع يعقوب ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان /ج 3-4-5 ط1 سنة 1422هـ /2001م .
66.شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، تصنيف جمال الدين بن عبد الله بن هشام النصاري ، قدم له إميل يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان سنة 1424هـ/2004 م .
67.شرح قطر النّدى وبل الصدى لابن هشام ، بركات يوسف هبود ، شركة دار الأرقم ،بيروت –لبنان ( د . ط. ت ).
68.الشرط في القرآن الكريم على نهج اللسانيات الوصفية ، عبد السّلام المسدي.، محمد الهادي الطرابلسي، الدار العربية للكتاب ليبيا ، تونس سنة 1985م .
69.شعرية الخطاب في التراث النقدي والبلاغي ، عبد الواسع أحمد الحميري ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط1 ، 2005/1425م .
70.الشّواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح ، جمال الدين بن مالك الأندلسي ، تح: طه محسن ، الجمهورية العراقية ،دار أفاق عربية للصحافة والنشر الإسلامي سنة 1985/1405م .
71.شواهد الشعراء المخضرمين في الثرات النحوي ، مجدي إبراهيم ، محمود فهمي حجازي ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني (بيروت).

72.الشّواهد القرآنية في كتاب سيبويه، محمد إبراهيم عبادة، مكتب الآداب القاهرة (د . ط. ت) .
73.صراع الأنماط اللغوية ، رانيا سالم الصرايرة ، الشروق سنة 2002 م .
74.الصّناعتين ( الكتابة والشّعر) أبو الهلال العسكري، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية ط1 1371_1952.
75.الظاهر والمختفي ، عبد الجليل مرتاض ، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون الجزائر ،( د. ط. ت) .
76.الفعل في نحو ابن هشام ،عصام نور الدين ، دار الكتب العلمية _ بيروت الطبعة الأولى سنة2007م.
77.في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، خليفة بوجادي ، بيت الحكمة للنشر والتوزيع ، ط1 ، 2009 م .
78.في اللسانيات المعاصرة ، الاقتصاد الصرفي و نظريته المفاضلة أحمد طيبي عالم الكتب الحديث إربد جدارا الكتاب العالمي الأردن.ط1 2015 .
79.في تداولية الخطاب الأدبي _المبادئ والإجراء لنواري سعودي أبي زيد ،بيت الحكمة العلمة الجزائر الطبعة الأولى ،سنة 2009.
80.في رحاب اللغة العربية لعبد الجليل مرتاض ،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ' الطبعة الثانية 2007 71 – لسانيات اللفظ وتداولية الخطاب ، ذهبية حمو الحاج ، منشورات دار الأمل تيزي وزو ( د. ط) سنة 2005 .
81.في نحو اللغة وتراكيبها منهج وتطبيق ، لخليل أحمد عمايرة ،عالم المعرفة ،المملكة العربية السعودية، _جدة الطبعة الأولى سنة 1404،،1984.
82.اللسانيات العربية والإضمار –دراسة تركيبية دلالية، محمد الغريسي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع إربد جدارا للكتاب العالمي ،الأردن ط1 ، 2014 م .
83.لسانيات النص القرآني بين التنظير والتطبيق ، أشواق محمد إسماعيل النجار ، عالم الكتب الحديث إربد ، –الأردن ط1 2013 .
84.لسانيات النص –مدخل إلى انسجام الخطاب محمد خطابي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ، ط2 ، 2006 م .

85.اللسانيات وتحليل النصوص رابح بوحوش ،جدار للكتاب العالمي عمان، عالم الكتب الحديث إربد الأردن 2009.
86.اللسانيات وتطبيقاتها على الخطاب الشعري لرابح بوحوش ،دار العلوم ،عنابة حقوق الطبع محفوظة ،سنة 1427_2006.
87.اللسانيات ونحو النص ، إبراهيم محمود خليل ، دار المسيرة ، عمان ، ط1 ، سنة 2007/1427 م.
88.اللسانيات، المجال، والوظيفة والمنهج، مير شريف أستينية ، جدار الكتاب العالمي، عمان، إربد، عالم الكتب الحديث إربد، الأردن ، ط1 سنة 2008/1429م.
89.لغة القرآن الكريم " دراسة لسانية تطبيقية للجملة في سورة البقرة " محمد خان دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع –عين مليلة الطبعة الأولى ، 2004 م .
90.لغة القرآن الكريم في سورة النور –دراسة التركيب النّحوي ، صبر إبراهيم السيّد ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية (د . ط) 1414ه /1994 م .
91.المباحث البلاغة عند الزمخشري من خلال تفسير الكشاف، الشارف لطروش، دار أهم الكتاب ، ( د .ط ) سنة 2010م .
92.المباحث البلاغية عند الزمخشري من خلال تفسير الكشاف ، الشارف لطروش دار أم الكتاب ( د . ط) سنة 2010م .
93.مباحث التخصيص عند الأصوليين والنحاة محمود سعد ، منشاة المعارف الإسكندرية جلال حزي وشركاه ( د . ط .ت) .
94.مباحث في اللسانيات ، أحمد حساني ،ديوان المطبوعات إلى علام اللغة ، إبراهيم خليل ، دار المسيرة، عمان ، ط1 ، سنة 1430ه /2010م .
95.المبني للمجهول وتراكيبه ودلالته في القرآن الكريم ، شرف الدين الراجحي ،دار المعرفة الجامعية (د . ط 1999) .
96.محاضرات في النظرية اللسانية والنماذج النحوية ،لمحمد الأوراغي ،منشورات ضفاف ،دار الأمان الرباط ،منشورات الاختلاف الجزائر الطبعة الأولى،2018 _1439

97.مختصر تفسير ابن كثير ،تح: الشيخ محمد علي الصابوني ، لشركة الشهاب بالجزائر قصر الكتاب البليدة ( د . ط) سنة 1410هـ /1990م .
98.المسائل العسكريات في النحو العربي –لأبي على النحوي ، تح : على جابر المنوري ، لدار العلمية ودار الثقافة ، ط1 سنة 2002 م .
99.المستوى النحوي في بضار التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز أبادي، محمد أحمد سليمان ،دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ( د . ط ) سنة 2005 م.
100. مشكلة العامل النحوي ونظرية الاقتضاء، دار الفكر، دمشق، ط1، سنة 2003/1424م .
101. المصطلح النحوي وتفكير النحاة العرب ، توفيق قريرة ، دار محمد علي للنشر، كلية الآداب منوبة للنشر –تونس ، ط1 ، 2003 م.52 محاضرات في النظرية اللسانية والنماذج النحوية ،لمحمد الأوراغي منشورات ضفاف_بيروت، دار الأمان الرباط، منشورات الاختلاف ، الجزائر العاصمة الطبعة الأولى سنة2018_1439 .
102. معاني النحو ، فاضل صالح الشامرائي ، دار الفكر ، ك4 ، ط1 سنة 1420هـ /2000 م .
103. المغني الجديد في علم النحو ، محمد خير حلواني ،دار الشرف العربي ، لبنان بيروت سورية، حلب، طابعة جديدة منقحة سنة 1424هـ /2003م .
104. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام ، تح: حنا الفاخوري ،دار الجيل ، بيروت، ج1 سنة 1991/1411م .
105. المقتضب لمحمد بن يزيد المبرد / ت : محمد عبد الخالق عظيمة ،دار الكتاب المصري (القاهرة) ،دار الكتاب ، بيروت .
106. مقدمة ابن خلدون (العبر وديوان المبتدأ و الخبر ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ج1 ، ط8 سنة 1424هـ/2003م .
107. مقدمة في علمي الدّلالة والتخاطب ، لمحمد يونس علي ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت لبنان ، ط1. 90 مناهج النقد الأدبي ،مفاهيمها وأسسها تاريخها

وروادها وتطبيقاتها العربية، يوسف وغليسي، جسور الجزائر الطبعة الثانية ، 3أكتوبر ،1431_2010 .

108. المقرب ابن عصفور الحضرمي الأشبيلي، ت. عادل أحمد عبد الموجود، منشورات، محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان سنة 1998 (د.ط).

109. من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس ، مكتبة الإنجلو المصرية ، ط 5 سنة 1975.

110. المناهج النقدية وخصائص الخطاب اللساني ، رابح بحوش ، دار العلوم للنشر والتوزيع الحجار /عنابة حقوق الطبع محفوظة ، سنة 2010_ 1431هـ.

111. المناهج في القواعد والإعراب ، محمد الأنطاكي ، دار الشرق العربي ، لبنان ، بيروت سورية، حلب ( د . ط .ت) .

112. الميسر في البلاغة العربية ، ابن عبد الله شعيب ، علم البيان ، علم المعاني، والبديع دار الهدي عين مليلة ، الجزائر (د .ط .ت ).

113. نحو الجمل ، التعليقات الوافية على شرح الأبيات الثمانية للعلامة عبد العزيز محمد بن يوسف، تح :مختار بوعناني، دار الفجر، وهران ، ط1 ، سنة 1995 م.

114. النحو العربي / ما يدور بين الحرفية والفعلية والاسمية في لغتنا العربية، علي محمود النابي، دار الكتاب الحديث، القاهرة ( د . ط .ت ) .

115. نحو العربية، الإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة دراسة تفسيرية ، محمد عبد السلام شرف الدين، دار مرجان، القاهرة ، ط1 ، سنة 1404هـ/1984م.

116. نحو الفعل ، أحمد عبد الستار الجواري، المؤسسة العربية ، بيروت (د .ط ) سنة 2006.

117. النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة ، عباس حسن دار المعارف ، ج4 ، ( د .ط .ت) .

118. نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية ، مازن الوعر ، دار طلاس، للدراسات والترجمة ، دمشق ، ط1 ، سنة 1987 م .

119. النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعني النحوي الدلالي لمحمد حماسة عبد اللطيف،القاهرة،ط1، سنة 1983م.

120. النظرية اللغوية في الثراتالعربي ، محمد عبد العزيز عبد الديم ، دار السلام جمهورية مصر العربية ، القاهرة ، ط1 ، سنة 1427هـ /2006م .
121. نظرية بنائية في النقد الأدبي ، صالح فضل ، دار المعرفة ، القاهرة ، سنة 1992م.
122. الوسائط اللغوية (اللسانيات النسبية والأنحاء النمطية ، محمد الأوراغي ، دار الأمان الرباط ، ط1 سنة 2001/1421م .
123. وصف اللغة العربية دلاليا في ضوء مفهوم الدلالة المركزية ، دراسة حول المعنى وظلال المعنى ، محمد يونس علي ، دار الكتب الوطنية الجماهرية العظمى ، ( د . ط .ت ) .

**ثالثا: الدوريات والبحوث:**

1-مجلة العربي ، العدد 429 ، صفر 1421 هـ / يونيو سنة 2000 .
2-مطارحات في اللغة والأدب ، مجلة علمية محكمة تصدر عن معهد الآداب بالمركز الجامعي لغليزان /الجزائر / دار الخلدونية ، الجزائر .العدد 01 نوفمبر 2009 .
3-القلم، مجلة لغوية أدبية دورية أكاديمية محكمة ، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران .العدد 06 جويلية 2007 .
4- حوليات التّراث، مجلة تصدر عن كلية الآداب والفنون ،منشورات مستغانم ج (1-2) .العدد 02 سنة 2004.
5-الحوار الثقافي، مجلة فصلية أكاديمية محكمة المجلدة 06.العدد 04 أفريل 2018 .
6-مجلة الممارسات اللغوية جامعة مولود معمري تيزي وزو، مخبر الممارسات اللغوية ، آراء مازن الوعر اللغوية ، و قضايا جملة الشرط بين النحاتي و الأصوليين ، قبابلي عبد الغني ، ع 5، 2011 .
7-مجلة التواصل ، العدد 14 الصادرة في شهر جوان 2005 عنابة ، الجزائر .
8-مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية العدد 17 السداسي الأول

**الرسائل الجامعية**

_ أثر الفكر اللغوي والبلاغي في تأويل القرآن عند الزمخشري ,الشارف لطروش , أطروحة لنيل درجة الدكتورة في اللغة العربية وآدابها ,سنة 2007_2008م.

**رابعا: المعاجم:**

1-لسان العرب ، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ،دار صادر ( د .ت . ط) .

2- القاموس المحيط ، الإمام مجد الدين بن محمد بن إبراهيم الفيروز أبادي ،دار الكتب العلمية ، بيروت ،لبنان ، منشورات محمد علي بيضون ، ج 2.

**1-المراجع الأجنبية:**

1. l'énonciation littéraire pragmatique pour le discours littéraire, par Dominique maingueneau Nathan /her, paris 2001 dunod paris 1997 et bardos 1990 pour la 1ere édition.
2. le langage introduction à l'étude de la parole, par Edward Sapir, traduit de l'anglais par S.M. Guillemin petite bibliothèque Payot édition originale publié aux Etats-Unis par Harcourt Inc. 2001, édition Payot de rivages, pour la présente édition.
3. les échelles argumentatives, par c.oswarld Ducrot,édition de minuit , paris 1985.
4. elements de pragmatique linguistique, par Alain Berren, les éditions de minuit paris 1985.
5. pragmatique du discours l'interprétation de l'énonce, par Juquesmoeschler Armand colin annerebouyl
6. structure syntaxique, par Michel braudeau, aux éditions du seuil paris
7. Discours et analyse du discours, par Dominique maingueneau , une introduction , Armand colin 2014, paris , p17 .
8. Structure syntaxique , par noam chomsky trd :de michel braudeau aux éditions du seuil paris .

# فهرس المحتويات


| | |
|---|---|
| إهداء | |
| مقدمة | أ |
| **المدخل: مفاهيم نظرية** | |
| **تمهيد** | 02 |
| **1. تحديد الإطار اللغوي الدلالي للشرط** | **02** |
| **2. التعريف بمفهومي الجزاء و الجواب** | 05 |
| **3. الخطاب وأبعاده التواصلية.** | 06 |
| **4. التّداولية** | 14 |
| **الفصل الأول : الشّرط مفاهيمه ومجالاته** | 34 |
| تمهيد | 35 |
| 1-الشّرط عند النحاة | 36 |
| 2-الشّرط عند الأصوليين | 55 |
| 4-الشّرط عند اللسانيين | 65 |
| **الفصل الثاني : فحص الحصيلة التركيبية والدلالية لأحرف الشّرط** | 79 |
| تمهيد | 80 |
| 1. التحليل اللغوي لحروف الشّرط ( التحليل التركيبي والدلالي ) | 81 |
| أ- النمط الأول :حروف الشّرط الجازمة : إنْ – | 81 |
| 1-الشّرط المعتمد على الأداة إن | 81 |
| ب – النمط الثاني :حروف الشّرط غير الجازمة : لو- لولا- أمّا | 119 |
| -الشّرط المعتمد على الأداة لولا | 123 |
| -الشّرط المعتمد على الأداة إمّا | 126 |

| | |
|---|---|
| **الفصل الثالث : الفحص التحليلي لأسماء الشّرط في ضوء البعد التركيبي والدلالي** | 135 |
| تمهيد | 136 |
| 1-التحليل التركيبي والدّلالي لأسماء الشّرط الجازمة وغير الجازمة | 137 |
| - النمط الأول: أدوات الشرط الجازمة: الشّرط المعتمد على الأداة من | 137 |
| - الشّرط المعتمد على الأداة ما | 146 |
| - النمط الثاني: أداة الشرط غير الجازمة: الشّرط المعتمد على الأداة إذا | 153 |
| - النمط الثاني :أدوات الشرط غير الجازمة: الشّرط المعتمد على الأداتين (حتّى، إذا) | 164 |
| - النمط الثالث : صورة الأمر المعلق بصفة متضمنة معنى الشرط | 171 |
| - الشّرط المعتمد على كلّما | 179 |
| - صورة الجملة الماضوية الشّرطية المركبة الأولى للأداة لمّا | 181 |
| - الشّرط المعتمد على الأداة أينما | 184 |
| - الشّرط المعتمد على الأداة أيّما | 187 |
| - الشرط المعتمد على أنّى | 188 |
| - الشّرط المعتمد على الأداة إِذَامَا | 191 |
| - الشرط المعتمد على الطّلب | 192 |
| الفصل الرابع : أساليب الشّرط في ضوء البعد الوظائفي | 195 |
| تمهيد | 196 |
| 1-الوظائف النحوية لأحرف الشّرط | 197 |
| مفهوم الوظيفة | 198 |
| الهيكل الوظائفي للجملة الشرطية | 201 |
| التحليل الوظيفي لأدوات الشرط | 201 |
| الخاتمة | 226 |
| فهرس المصادر والمراجع | 229 |

| | |
|---|---|
| فهرس المحتويات | 241 |